الكتاب : الديباج الوضي
المؤلف : الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن إبراهيم بن علي الحسيني المتوفى سنة 749 هـ

الديباج الوضي

في الكشف عن أسرار كلام الوصي (السفر الأول)

المجلد الأول

الإمام المؤيد بالله

أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني

تحقيق

خالد قاسم محمد المتوكل

تصدير

لعل التساؤل الأول الذي يبرز إلى أذهان كثير ممن يطلع على "نهج البلاغة" هو سؤال الانتساب.

هل هذا الكتاب حقاً يجمع بعضاً مما قاله وكتبه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؟ أم أن الشريف الرضي رحمه الله قام بتأليفه كله ، أو أجزاء منه ثم قام بنسبته للإمام ؟

تعدد الإجابات إزاء هذا التساؤل المشروع بين "سنية" و"شيعية" و"معتزلية" تسعى جميعاً، على اختلاف أساليبها، وتباين منطلقاتها، إلى إثبات أن مضمون "نهج البلاغة" هو لعلي بن أبي طالب

وبين التساؤل والإجابة تختفي قضية في غاية الأهمية

هذا السؤال يخفي واقعاً مؤلماً نعيشه، يتعلق بطبيعة تفكير المسلمين اليوم، ومنذ أمد بعيد. وهي النظر إلى العلوم أولاً من خلال النظر إلى مصدرها، وليس إلى مضمونها. فلا يهم ما يقال، بقدر من قال. والسبب يعود إلى عنصر آخر يتعلق بدور العقل المسلم في معرفة وتقييم القضايا الدينية على وجه الخصوص. فبقدر ما يغيب العقل عن هذه الساحة، بقدر ما يكون أي موضوع ذا صبغة دينية معتمداً على القائل، وليس على القول. ولا شك في أن ما ينسب للإمام علي له صبغته الدينية المتفردة، إن مضموناً، لكثرة ما فيه من قضايا تعالج مفردات دينية متنوعة، أو انتساباً من حيث مقام الإمام علي الديني كصحابي جليل لدى بعض المسلمين، أو كوصي لدى بعض آخر.

هذه النظرة ستجعل الاستفادة من نهج البلاغة متوقفة بدرجة كبيرة على إثبات نسبة الكتاب إلى الإمام علي.

(1/1)

وواقع الحال، أن خطب وكلمات نهج البلاغة، لا يمكن أن تثبت كلها كلمة كلمة إلى الإمام علي باستعمال المناهج الصارمة للمحدثين باختلاف طوائفهم. وغاية ما يمكن أن نعمله هو أن نثبت الانتساب الإجمالي للنهج إلى الإمام علي، بحيث نقول إن مجموع الكتاب له نسبة إلى الإمام، وأما بعض مفرداته فقد تصح عنه، وقد لا تصح. وعليه، فإن هذا المنهج سيحرمنا كثيراً من الاستفادة من هذا السفر العظيم.

وأما إذا انطلقنا من حيث أن الكلام يستمد صحته وصوابيته من ذاته أولاً بذاته، من خلال العقل، وليس من خلال قائله، فإن نظرتنا إلى نهج البلاغة واستفادتنا منه ستختلف. حينها، سننظر إلى النهج من حيث مضامينه التي تفتح لنا آفاقاً للتأمل والتفكير. مضامين قد نختلف معها، كما قد نوافقها، ولكنها في نهاية الأمر تثير عقولنا لاستكشاف أبوابٍ لم نكن على اطلاع عليها.

إن نهج البلاغة من حيث مضمونه بحر متلاطم من المعاني الروحية، والصراعات السياسية، والحكم التأملية، والنظرات الفلسفية، والمشاهدات العلمية، يخوضه المرء فيجد نفسه ينتقل من موج إلى موج، كل ذلك من خلال أسلوب أدبي في غاية الرقي .

(2/1)

إن هذا السفر النفيس، يجسد شخصية الفيلسوف المتأمل لما وراء الطبيعة، من خلال الكلمات التي قيلت في الله تعالى، وفي أصل الكون. كما نجد فيه شخصية الفارس من خلال الخطب الحماسية التي تدفع أجبن الناس إلى خوض ساحات الوغى. وتلتفت هناك فتجد فيه شخصية الحكيم الذي اختبر الحياة قروناً من الزمان، فجاءت منه الكلمات التي تدلنا على طريقة الحياة بشكل منساب لا تكلف فيه، وبعمق لا نظير له. كما تجد فيه شخصية المنظر السياسي من خلال الكلمات التي أرشد بها عماله إلى طرائف الحكم. كما تجد العارف بالله الذي لا يرى لوجوده، بل ووجود كل ما حوله إلا تجلياً لعظمة الله ولقدرته. كما تجد الخاشع لله، الذي لا هم له إلا بأن يلتئم وجوده مع إرادة الله جل جلاله وعز سلطانه. وتجد أيضاً شخص المراقب الذي ينظر إلى ما حوله من الخلق، فيصفه. وتجد السياسي الذي يحاول أن يوازن بين مجموعة كبيرة من المتناقضات التي اتسم بها عصره، ولكن من خلال وسائل وطرائق لا تبعده عن أصل مراده، وأهم غاياته. ثم تجد أن كل تلك السمات تتداخل معاً بحيث تخرج بكثير منها من خلال خطبة واحدة أحياناً.

وفي كل ذلك تجد وحدة ووحشة لرجل لم يكن من حوله قادراً على استيعاب مراده، ولا على الوصول

إلى مقامه. ولذلك تجد في خطابه لمن حوله، نفثة الحسرة، حسرة من يرى الآفاق كلها، ولكن بغير أن يقدر على أن ينقل الناس إليها. لقد كان يريد أن يسبح بهم في ملكوت الله، وأن يرتفع بهم إلى مقامات الكرامة والعزة، ولكن أرادوا الاستكانة، وطلبوا الدعة، فكانت عليهم الذلة في الدنيا والسخط في الآخرة.

(3/1)

لا شك، أن عظمة الكتاب، التي تكشف عن عظمة قائلها، تثير فينا الفضول نحو معرفة هذه الشخصية التي جمعت في آن واحد جملة من السمات المتضادة... ومن هذا المنطلق فحسب، قد نسعى لتحقيق نسبة الكتاب.. ولكن ليس من منطلق الاستفادة منه. هذه الشخصية التي يقف المرء أمامها حائراً، شخصية لا تنتمي إلى زمن من عرفناهم من البشر... شخصية من تلك التي تقف بين مليارات الخلق ممن مضى، وممن سيأتي...

وكأي عظيم، فإن نهج البلاغة بما فيه من معان وآفاق، كان بحاجة إلى دراسة، إلى تأمل، إلى قراءة لا تكون عابرة، وإنما قراءة مستلهمة، ومقارنة، ومتعمقة، بحيث لا تأخذ ما في النص أخذاً عجلاً ، وإنما تنظر فيه وتضعه في سياق الوقائع والمعاني ....

وقد تحصل لهذا الكتاب من الشروح والتعليقات والحواشي ما جعله نصاً متفرداً استطاع استيعاب الكثير من المدارس والتيارات والفهوم التي أخذت تجول وتصول بحثاً عن دقائق معانيه وفرائد مبانيه.

ومن تلك المحاولات الرائعة هذا الكتاب الذي بين يديك.

ومؤلفه من تلك الشخصيات التي اتسمت بكثير من السمات التي كانت للإمام علي عليه السلام. فقد جمع بين الشجاعة والإقدام وأخلاق الفارس الذي لا يداهن الظلمة مع ورع شديد وعبادة ووله وخشوع مع صدق نفس وديانة متينة فكانت قراءته للنهج قراءة من عاش جزءاً كبيراً من تجربة صاحب النهج بحيث سرت روحه في سلوكه وتجسدت صفاته في حياته حتى بات مثالاً يحتذي طيب الأصل وفرعاً يتدلى من سموق تلك الشجرة المباركة.

ولا شك أن خير من يقرأ تجربة ما هو من يعيش تلك التجربة بذاته ويجسدها بسلوكه العملي بين الناس .

(4/1)

فلنقرأ الشرح مع المؤلف بعقلية المتأمل والمُسائل والمحاور ... ولنتأمل في النهج معاً نحن وإياه، بحيث نقرأه من خلال عقله وعقولنا، لتثمر بذلك القراءة ، وتتعمق المطالعة...
لقد ترك النهج بصمات كبيرة على أجيال متتابعة ... وكل أملنا أن تستمر آثاره، وأن تتوسع آفاقه الرحبة بحيث لا يكون للصراعات الضيقة دور في صرف الناس عنه ، وفي حرمانهم من الاستفادة منه.
والشكر موصول للمحقق الذي لم يتوانَ جهداً في تحقيق النص وتتبع موارده وتخريج نصوصه وشواهده مما أضفى حلة بهية على العمل فجزاه الله خيراً وبارك في وقته وعمله.
مؤسسة الإمام زيد بن علي (ع) الثقافية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق العدل المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وعلى أصحابه المنتجبين الأخيار.
وبعد ..

إن الحديث عن فضائل ومناقب وخصائص الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام يطول ويطول جداً، إذ أنها جمة كثيرة وشهيرة، وليس في وسع الباحث أو الكاتب ضبط ذلك وإحصاؤه في مثل هذه العُجالة، إذ أنه يحتاج في رقمه إلى مجلدات كبار، وتلك المناقب والفضائل قد اشتهرت بين الخاص والعام عند جميع المسلمين ومنذ العهد النبوي وبزوغ فجر الدعوة، على صاحبها وآله أفضل الصلوات والتسليم، فظهرت على الآفاق، وطارت كل مطار، وطفحت بذكرها المئات من المؤلفات والمصنفات، وتداولها الناس جيلاً فجيل، وخلفاً عن سلف، بين أوساط جميع المذاهب الإسلامية، وحسبك معرفة أنك لا تجد مذهباً من مذاهب المسلمين، إلا وقد ظهر من بين أبناءه من ألَّف وصنّف في ذلك الباب، فعمرت المكتبة الإسلامية بالمئات من المصنفات الحافلة.
قال ابن أبي الحديد في كتابه (شرح نهج البلاغة)16/1-17، تحت عنوان: القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وذكر لمع يسيرة من فضائله ما لفظه: (فأما فضائله عليه السلام؛ فإنها قد بلغت من العظم والجلالة، والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمج معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر، الذي لا يخفى

على الناظر، فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

(6/1)

قال: وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، وحتى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما سُتِرَ انتشر عَرْفُه، وكلما كُتِمَ تَضَوَّعَ نشرُه، وكالشمس لا تستر بالرَّاح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذْرِها، وسابق مضمارها، ومجلي حلبتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى). انتهى ما نقلته من ابن أبي الحديد رحمه الله.

وغاية ما يمكن أن أقوله هنا: إن قلمي ولساني لعاجزان ومقصران عن إيفاء الإمام علي عليه السلام حقه، ولو بضرب من الاختصار والإيجاز، لكنني أقتطف نبذة يسيرة من فضائلهعليه السلام صاغها قلم العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله في كتابه الروضة الندية في شرح التحفة العلوية ص392-410، حيث قال ما لفظه:

وكفاه كونه للمصطفى .... ثانياً في كل ذكرٍ وصَفِيَّا

قوله: (وكفاه): أي كفاه شرفاً وفخراً أنه يذكر ثانياً وتالياً لذكره صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه صفي ومختار لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم لِمَا تقدم من إكرامه.

(7/1)

والبيت يشير إلى ما خصَّ الله الوصي عليه السلام من إبقاء ذكره الشريف على ألسنة العالم من صبي ومكلف وحر وعبد ذكر وأنثى، فإنهم إذا ذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكروه بذكره. وهذا من إكرام الله تعالى له فإنه ينشأ الصبي فيهتف: يا محمد، يا علي، والعالِمُ والعامي وغيرهما، وهذا من رفع الذكر الذي طلبه خليل الله، في قوله: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي

الآخِرِينَ}[الشعراء:84]، وهو الذي امتن الله به على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}[الشرح:4]، (وكفاه شرفاً) أنه أول السابقين إلى الإسلام، (وكفاه شرفاً) أنه أول من صلى، وأنه الذي رقى جنب أبي القاسم لكسر الأصنام، (وكفاه شرفاً) أنه الذي فداه بنفسه ليلة مكر الذين مكروا به، (وكفاه شرفاً) أنه الذي أدّى عنه الأمانات إلى أهلها، (وكفاه شرفاً) أنه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الرأس من البدن، (وكفاه شرفاً) أنه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله منه، (وكفاه شرفاً) أنه سَلَّمت عليه الأملاك يوم بدر، (وكفاه شرفاً) أنه الذي قطّر أبطال المشركين في كل معركة، (وكفاه شرفاً) أنه قاتل عمرو بن ود، (وكفاه شرفاً) أنه فاتح خيبر، (وكفاه شرفاً) أنه مُبلِّغٌ براءة إلى المشركين، (وكفاه شرفاً) أن الله تعالى زوّجه البتول عليها السلام، (وكفاه شرفاً) أن أولاده للرسولصلى الله عليه وآله وسلم أولاد، (وكفاه شرفاً) أنه خليفته يوم غزوة تبوك، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى إلا في النبوة، (وكفاه شرفاً) أنه أحب الخلق إلى الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، (وكفاه شرفاً) أنه أحب الخلق إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، (وكفاه شرفاً) أن الله باهى به ملائكته، (وكفاه شرفاً) أنه نودي من السماء: ((لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي))، (وكفاه شرفاً) أنه قسيم النار والجنة، (وكفاه شرفاً)

(8/1)

أنه أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، (وكفاه شرفاً) أن من آذاه فقد آذى رسول الله، (وكفاه شرفاً) أن النظر إلى وجهه عبادة، (وكفاه شرفاً) أنه لا يُبْغِضُهُ إلا منافق وأنه لا يحبُّه إلا مؤمن، (وكفاه شرفاً) أن فيه مثلاً من عيسى بن مريم عليه السلام، (وكفاه شرفاً) أنه ولي كل مؤمن ومؤمنة، (وكفاه شرفاً) أنه سيد العرب، (وكفاه شرفاً) أنه سيد المسلمين، (وكفاه شرفاً) أنه يحشر راكباً، (وكفاه شرفاً) أنه يسقي من حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين ويذود المنافقين، (وكفاه شرفاً) أنه لا يجوز أحد الصراط إلا بجواز منه، (وكفاه شرفاً) أنه يكسى حلة خضراء من حلل الجنة، (وكفاه شرفاً) أنه ينادي مناد من تحت العرش: نعم الأخ أخوك عليٌّ، (وكفاه شرفاً) أنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قصره ومع ابنته سيدة نساء العالمين، (وكفاه شرفاً) أنه حامل لواء الحمد آدم وَمَنْ ولده يمشون في ظله، (وكفاه شرفاً) أنه يقول أهل المحشر حين يرونه: ما هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل، فينادي منادٍ: ليس هذا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولكنه علي بن أبي طالب أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، (وكفاه شرفاً) أنه مكتوب اسمه مع اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، محمد رسول الله أيدته بعلي، (وكفاه شرفاً) أنه يقبض روحه كما يقبض روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، (وكفاه شرفاً) أنها تشتاق الجنة إليه كما في حديث أنس: ((تشتاق الجنة إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان))، (وكفاه شرفاً) أنه باب مدينة علمهصلى الله

عليه وآله وسلم، (وكفاه شرفاً) أنها سُدَّت الأبواب إلا بابه، (وكفاه شرفاً) أنه لم يرمد بعد الدعوة النبوية، ولا أصابه حرٌّ ولا برد، (وكفاه شرفاً) أنه أول من يقرع باب الجنة، (وكفاه شرفاً) أن قصره في الجنة بين قصري خليل الرحمن وسيد ولد آدم عليه السلام، (وكفاه شرفاً) نزول آية الولاية فيه، (وكفاه شرفاً) أن الله

(9/1)

سماه مؤمناً في عشر آيات، (وكفاه شرفاً) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتجاه، (وكفاه شرفاً) أكله من الطائر مع رسول الله، (وكفاه شرفاً) بيعة الرضوان، (وكفاه شرفاً) أنه رأس أهل بدر، (وكفاه شرفاً) أنه وصي رسول الله، (وكفاه شرفاً) أنه وزيره، (وكفاه شرفاً) أنه أعلم أمته، (وكفاه شرفاً) أنه يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تنزيله، (وكفاه شرفاً) أنه قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، (وكفاه شرفاً) أنه حامل لوائه صلى الله عليه وآله وسلم في كل معركة، (وكفاه شرفاً) أنه الذي غسَّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتولى دفنه، (وكفاه شرفاً) ما أعطاه الله تعالى من الزهادة والعبادة والبسالة، (وكفاه شرفاً) ما فاز به من الشهادة والزلفى.
هذي المفاخر لا قعبان من لبن .... شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

(10/1)

(وكفاه شرفاً) شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يحب الله ورسوله، (وكفاه شرفاً) شهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كرّار غير فرّار، (وكفاه شرفاً) تهدده صلى الله عليه وآله وسلم لقريش بأنه يبعثه عليهم، (وكفاه شرفاً) شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له بأن الله امتحن قلبه للتقوى، وكفاه شرفاً أنه من أهل الكساء، (وكفاه شرفاً) أن الله سماه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، (وكفاه شرفاً) أنه ثان لرسوله في كتابة اسمه في ساق العرش، (وكفاه شرفاً) أنه ثانٍ لرسول الله في سؤاله من الله كلما سأله لنفسه، واستعاذته له من كل ما استعاذ منه لنفسه، كما أخرجه الإمام المحاملي، عن عبيد الله بن الحارث، قال: قلت لعلي بن أبي طالب: أخبرني بأفضل منزلتك من رسول الله؟ قال: نعم، بينا أنا نائم عنده وهو يصلي، فلما فرغ من صلاته، قال: ((يا علي، ما سألت الله عزَّ وجلّ شيئاً إلا سألت لك مثله، ولا استعذت بالله من شيء إلا استعذت لك مثله))، (وكفاه شرفاً) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدخله في ثوبه يوم توفي واحتضنه إلى أن قُبِضَ، (وكفاه شرفاً) أنه أعلم الناس بالسنة، (وكفاه شرفاً) أنه أكثر الأمة

علماً وأعظمهم حلماً، (وكفاه شرفاً) أن الصحابة أحالت السؤالات –لما سئلوا– عليه، (وكفاه شرفاً) أنه لم يكن في الصحابة من يقول: سلوني قبل فقدي غيره، (وكفاه شرفاً) دعاء النبيصلى الله عليه وآله وسلم حين ولاه القضاء بأن يُثبِّتَ الله لسانه ويهدي قلبه، (وكفاه شرفاً) قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه أقضى أمته، (وكفاه شرفاً) أن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم قرر قضاؤه وأعجب به، وقال: ((الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت الحكمة))، (وكفاه شرفاً) أنه من سادات أهل الجنة، كما أخرجه ابن السري عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة: أنا، وحمزة، وعلي، وجعفر، والحسن،

والحسين، والمهدي)).

(وكفاه شرفاً) لعنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أبغضه، كما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة، عن أنس بن مالك، قال: صعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر، فذكر قولاً كثيراً، ثم قال: ((أين علي بن أبي طالب؟ فوثب إليه، فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمّه إلى صدره وقبّله بين عينيه، وقال بأعلى صوته: ((معاشر المسلمين، هذا أخي وابن عمي، وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، هذا مفرِّج الكرب عني، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، على مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله منه بريء وأنا منه بريء، فمن أحب أن يبرأ من الله ومني فليبرأ من علي، وليبلّغ الشاهد الغائب، ثم قال: اجلس يا علي، قد عرف الله لك ذلك)).

(وكفاه شرفاً) اشتياق أهل السماوات والأنبياء في الجنة إلى عليعليه السلام، كما أخرجه الملا في سيرته عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما مررت بسماء إلا وأهلها مشتاقون إلى علي بن أبي طالب، وما في الجنة نبيء إلا وهو مشتاق إلى علي بن أبي طالب))، (وكفاه شرفاً) أن الله تعالى باهى به حملة العرش، كما أخرجه أبو القاسم في فضائل العباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم صفَّ المهاجرين والأنصار، وقال: ((هبط عليّ جبريلعليه السلام، وقال: إن الله عزَّ وجلّ باهى بالمهاجرين والأنصار أهل السماوات العلا، وباهى بي وبك يا علي وبك يا عباس حملة العرش))، فهذه والله هي الرتب التي لا يبلغها أحد من العجم ولا العرب.

رتبٌ ترجع الأمانيُّ حسرى دونها ما وراءهنَّ وراءُ

(وكفاه شرفاً) أنه يخصم الناس بسبع، كما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من حديث معاذ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: ((تخصم الناس بسبع لا يحاجَّك أحد من قريش: أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسويّة، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية)).

(وكفاه شرفاً) أنه ثاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في انشقاق الأرض عنه، وفي وقوفه عند كفة الميزان، كما أخرجه السيوطي في جامعه، قال شاذان: (ثنا) أبو طالب عبد الله بن محمد بن عبد الله الكاتب بعكبرا، (ثنا) أبو القاسم [عبد الله بن محمد بن غياث الخراساني]، أبو جعفر بن غياث الخراساني، (ثنا) أحمد بن عامر بن سليم الطائي (ثنا) علي بن موسى الرضا "، حدثني أبي موسى، حدثني أبي جعفر، حدثني أبي محمد، حدثني أبي علي، حدثني أبي الحسين، حدثني أبي علي بن أبي طالب"، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي، إني سألت ربي عزَّ وجلّ فيك خمس خصال فأعطاني: أما لأولى: فإني سألت ربي أن تنشق عني الأرض وأنفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني، وأما الثانية: فسألته أن يوقفني عند كفة الميزان وأنت معي فأعطاني، وأما الثالثة: فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر تحته المفلحون والفائزون بالجنة فأعطاني، وأما الرابعة: فسألت ربي أن تسقي أمتي من حوضي فأعطاني، وأما الخامسة: فسألت ربي أن يجعلك قائد أمتي إلى الجنة فأعطاني، فالحمد لله الذي مَنَّ عليَّ بذلك)).

(13/1)

(وكفاه شرفاً) أنه ثانٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أشرف الذكر وأعلاه وأطيبه، وأدومه وأبقاه، وذلك في صلاته وملائكته والخلائق عليه صلى الله عليه وعلى الآل؛ وأمير المؤمنين عليه السلام رأس الآل، وقد علّمهم صلى الله عليه وآله وسلم كيفية الصلاة، كما أخرج الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع في كتابه علوم الحديث: عدّهن في يدي أبو بكر بن أبي حازم بن دارم الحافظ بالكوفة، وقال: عدَّهن في يدي علي بن أحمد بن الحسين العجلي، قال: عدَّهن في يدي حرب بن الحسن الطحان، وقال لي: عدَّهن في يدي يحيى بن المساور الحناط، وقال لي: عدَّهن في يدي عمرو بن خالد، وقال: عدَّهن في يدي زيد بن علي بن الحسين، وقال: عدَّهن في يدي أبي علي بن الحسين، وقال: عدَّهن في يدي أبي الحسين بن علي، وقال: عدَّهن في يدي علي بن أبي طالب، وقال: عدَّهن في يدي رسول الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((عدَّهن في يدي جبريل، وقال جبريل: هكذا نزلت بهنّ من عند ربِّ العزة:

اللهم، صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم، بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى إبراهيم إنك حميد مجيد)).

(14/1)

مع كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

من الخصائص التي تميز بها أمير المؤمنين علي عليه السلام القدرة الفائقة على نظم خطبه ومواعظه وكتبه ورسائله وحكمه بأسلوب بلاغي وإنشائي جذاب وبلفظ فصيح وقوي سريع التأثير في النفوس لا يرقى إليه أحد، فتعلم الناس منه علوم البلاغة، قال ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح نهج البلاغة24/1 في تعداده لفضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ما لفظه: (وأما الفصاحة فهوعليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، ومنه تعلم الناس الخطابة، قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت.

وقال ابن نباته: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب.

ولما قال مِحْفن بن أبي مِحفن لمعاوية: جئتك من عند أعيا الناس، قال له: ويحك! كيف يكون أعيا الناس! فوالله ما سنَّ الفصاحة لقريش غيره). انتهى.

(15/1)

وقال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه عبقرية الإمام علي ص144.143: (وليس الإمام علي أول من كتب الرسائل وألقى العظات، وأطال الخطب على المنابر في الأمة الإسلامية، ولكنه لا ريب أول من عالج هذه الفنون معالجة أديب، وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذي يقتدى به في الأساليب؛ لأن الذين سبقوه كانوا يصوغون كلامهم صياغة مبلِّغين لا صياغة منشئين، ويقصدون إلى أداء ما أرادوه، ولا يقصدون إلى فن الأداء وصناعة التعبير، ولكن الإمام عليًّا تعلم الكتابة صغيراً، ودرس الكلام البليغ من روايات الألسن وتدوين الأوراق، وانتظر بالبلاغة حتى

خرجت من طور البداهة الأولى إلى طور التفنن والتجويد، فاستقام له أسلوب مطبوع مصنوع، هو فيما نرى أول أساليب الإنشاء الفني في اللغة العربية، وأول أسلوب ظهرت فيه آثار دراسة القرآن والاستفادة من قدرته وسياقه، وتأتَّى له بسليقته الأدبية أن يأخذ من فحولة البداوة ومن تهذيب الحضارة، ومن أنماط التفكير الجديد الذي أبدعته المعرفة الدينية والثقافة الإسلامية، فديوانه الذي سمي (نهج البلاغة) أحق ديوان بهذه التسمية بين كتب العربية). انتهى.

(16/1)

وهكذا نرى أن الإمام علياً عليه السلام استطاع بأسلوبه ذلك أن يصوغ الكلام صياغة بليغة في مختلف المناحي الدينية والفكرية، وفي شتى الميادين العلمية والعملية، وهو في كل ذلك يحافظ على الجمال في التعبير، وسرعة تغلغله في طوايا النفوس وتأثيره، وشمول مدلوله وتركيبه، وهاك على سبيل المثال قوله: (قيمة كل امرئ ما يحسنه)، فهذه الحكمة الجامعة تلقى من علماء البيان أشد الإعجاب وأصدقه، فها هو الجاحظ المعروف بأدبه وعلمه عند الخاص والعام، ينقل عنه الشهيد مرتضى المطهري في كتابه (في رحاب نهج البلاغة) ص23، ينقل عنه ثناءه على هذه الحكمة في كتابه (البيان والتبيين): (فلو لم نقف من كتابنا هذا إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية، وكأن الله عزَّ وجلّ قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله).
هذا بالإضافة إلى المكانة السامية التي تبوأها الإمام علي عليه السلام في حياة المسلمين وتأريخهم منذ بزوغ فجر الدعوة النبوية، وموقعه من نفس الرسولصلى الله عليه وآله وسلم، وإيثاره له وإشادته بمناقبه وفضائله وإظهار خصائصه ومزاياه على جموع الملأ من الناس وفي مختلف المحافل، كل تلك العوامل مجتمعة وغيرها كانت دوافعاً قوية لالتفاف الناس حوله وإقبالهم على استماع كلامه ومواعظه والحرص الشديد على حفظها، ليشكل ذلك لهم منهجاً وسلوكاً يسيرون على ضوئه، ويحتذون على مثاله، فأمير المؤمنين عليعليه السلام مع الحق والحق معه، كما قاله الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

(17/1)

فحفظ الناس كلامه عليه السلام وتداولوه فيما بينهم، ونقله السلف للخلف رواية وتلقيناً، ودرساً وتدريساً، وألّفوا لجمعه وتدوينه الكتب، يقول الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة تحقيقه

لكتاب (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد 1/5-6، بعد سياقه لسرد بعض خصائص الإمام عليعليه السلام، ما لفظه:

(كل هذه المزايا مجتمعة، وتلك الصفات متآزرة متناصرة، وما صاحبها من نفح إلهي، وإلهام قدسي، مكَّنت للإمام علي من وجوه البيان وملكته أعنة الكلام، وألهمته أسمى المعاني وأكرمها، وهيَّأت له أشرف المواقف وأعزها، فجرت على لسانه الخطب الرائعة، والرسائل الجامعة، والوصايا النافعة، والكلمة يرسلها عفو الخاطر فتغدو حكمة، والحديث يلقيه بلا تعمل ولا إعنات فيصبح مثلاً؛ في أداء محكم، ومعنى واضح، ولفظ عذب سائغ، وإذا هذا الكلام يملأ السهل والجبل، وينتقل في البدو والحضر، يرويه على كثرته الرواة، ويحفظه العلماء والدارسون؛ قال المسعودي: والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة، يوردها على البديهة، تداول عنه الناس ذلك قولاً وعملاً.

(18/1)

ثم ظل هكذا محفوظاً في الصدور، مروياً على الألسنة، حتى كان عصر التدوين والتأليف؛ فانتثرت خطبه ورسائله في كتب التأريخ والسير والمغازي والمحاضرات والأدب على الخصوص، كما انتخبت كلماته ومأثور حكمه فيما وضعوه من أبواب المواعظ والدعاء، وفي كتابي الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام(1)، وابن قتيبة(2) منه الشيء الكثير(3)).

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام توفي سنة 224هـ.

(2) اسمه عبد الله بن مسلم الدينوري، المتوفى سنة 276هـ.

(3) قلت: وكذا أورد ابن الأثير الكثير من كلام الإمام علي عليه السلام في كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر).

(19/1)

قال: (وإذا كان لكلام الإمام علي طابع خاص يميِّزه عن غيره من الخطباء، ونهج واضح يخالف غيره من البلغاء والمترسلين، فقد حاول كثير من العلماء والأدباء على مرِّ العصور أن يُفردوا لكلامه كتباً خاصة ودواوين مستقلة، بقي بعضها وذهب الكثير منها على مر الأيام؛ منهم نصر بن مزاحم صاحب (صفين)(1)، وأبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي(2)، وأبو مخنف لوط بن يحيى

الأزدي(3)، ومحمد بن عمر الواقدي(4)، وأبو الحسن علي بن محمد المدائني(5)، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(6)، وأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي(7)، وأبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي(8)، وعبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي(9)، ورشيد الدين محمد بن محمد المعروف بالوطواط(10)، وعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد(11)

---

(1) وهو كتاب صفين، لمؤلفه نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة 212هـ، ضمَّن فيه مؤلفه رحمه الله أخبار معركة صفين الدائرة بين الإمام علي عليه السلام وأنصاره، وبين معاوية بن أبي سفيان وأنصاره، وهي معروفة مشهورة.

(2) المتوفى سنة 204هـ.

(3) المتوفى سنة 157هـ.

(4) المتوفى سنة 207هـ.

(5) المتوفى سنة 225هـ.

(6) المتوفى سنة 255هـ.

(7) المتوفى سنة 346هـ.

(8) المتوفى سنة 454هـ.

(9) ويلقب الآمدي أيضاً، توفي سنة 550هـ، ومؤلفه يسمى: (غرر الحِكَمِ ودرر الكَلِمِ -خ-)، قال الزركلي في الأعلام 177/4: في تستربتي (5: 46).

(10) المتوفى سنة 573هـ، وكتابه يسمى: (مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب)، ذكر الزركلي في الأعلام أنه مطبوع.

(11) المتوفى سنة 655هـ، وهو أشهر من نار على علم، وكتابه شرح نهج البلاغة من أهم شروحه وأشملها وأحسنها وهو مطبوع ومتداول، وقد طبع عدة طبعات.

، وغيرهم كثيرون، إلا أن أعظم هذه المحاولات خطراً وأعلاها شأناً، وأحسنها أبواباً، وأبعدها صيتاً وشأواً هو مجموع ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي(1) في كتابه (نهج البلاغة)). انتهى.

وهذا يفسر لنا مدى الاهتمام الكبير الذي لقيه وحظي به كلام الإمام عليعليه السلام من قبل كوكبة من العلماء والمؤلفين والباحثين، ومنذ بداية عصر التدوين والتأليف، فجمعوا كلامه عليه السلام وأفردوا له كتباً خاصة به، ويوضح بدوره الأهمية العلمية الكبيرة المشتمل عليها كلامه عليه السلام،

إذ أنه يشكل بدوره رافداً من روافد العطاء الديني والفكري والروحي والعلمي لدى جميع المسلمين، يشهد بصحة هذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها))، وغير ذلك من الأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب.

---

(1) المتوفى سنة 404هـ.

(21/1)

وإذا كان من سبق ذكره من العلماء والمؤلفين ممن قد اهتموا بتدوين وجمع كلام الإمام علي عليه السلام في مؤلفات وكتب خاصة، فهناك أيضاً طائفة أخرى كثيراً منهم، قد رووا وأوردوا كثيراً من كلامه عليه السلام في بعضٍ من مؤلفاتهم منهم: الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني المتوفى سنة 424هالملقب بالناطق بالحق، فقد أخرج الكثير منه في كتابه الإمالي المسمى (تيسير المطالب في أمالي أبي طالب)، وسواء كان مذكوراً في كتاب نهج البلاغة أم في غيره، وهو في جميع ذلك يرويه مسنداً إلى الإمام علي عليه السلام، ومنهم الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني المتوفى، سنة 430هتقريباً، فقد أخرج وروى في كتابه (الاعتبار وسلوة العارفين) الكثير من كلام الإمام عليه السلام، وروى الأغلب والأكثر منه مسنداً، بل كان في بعض من ذلك يرويه مسنداً ومن عدة طرق، فيذكرها جميعاً، ومنهم الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري المتوفى سنة 479هـ، فقد أخرج وروى في كتابه المسمى (الأمالي الخميسية) كثيراً من كلام الإمام علي بن عليه السلام، رواه جميعه مسنداً إلى الإمام عليعليه السلام، ومنهم الحافظ ابن عساكر الدمشقي الشافعي المتوفى سنة 571هـ، فقد أخرج وروى في (ترجمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق) الكثير من ذلك، وهو في جميع ذلك يرويه مسنداً إلى الإمام علي عليه السلام، هذا ومتابعة هذا الموضوع يطول جداً والغرض الإشارة.

(22/1)

ولما ظهر كتاب (نهج البلاغة) الذي جمعه الشريف الرضي رحمه الله، وأورد فيه ما اختاره من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، انبرى بعض من المتأخرين والمغرضين إلى التشكيك في صحة نسبته إلى أمير المؤمنين عليعليه السلام، وبنوا ذلك على أسس أوهى من خيط العنكبوت، ومزاعم نسجتها خيالاتهم وأوهامهم، لا تثبت بها أدنى حجة، ولا يقبلها عقل ولا لب، وهم في كل تلك

التشكيكات والمزاعم لم يضيروا (نهج البلاغة) وصحة نسبة ما فيه إلى الإمام علي عليه السلام بشيء، ولم يرجع ضرر تلك التخرصات والتقولات إلا على أصحابها، فكتاب (نهج البلاغة)، لم تبله تلك المزاعم ولم تؤثر فيه، فهو باقٍ وموجود بين أيدي العلماء والدارسين منذ جمعه، يتناقلونه ويتدارسونه ويرويه خلف عن سلف، وتزداد شروحه والدراسات والكتابات والبحوث حوله يوماً فيوماً، وفي مختلف العصور منذ أن جمعه الشريف الرضي وإلى عصرنا الحاضر، وفي كل ذلك تظهر محاسنه فيزداد جمالاً وبهاءً، ويتسع ظهوره وانتشاره، وصدق من قال:

وبضدها تتبين الأشياء

وقول من قال:

والضد يظهر محاسنه الضد

(23/1)

فمما زعموا من ذلك، أن الشريف الرضي أو أخاه الشريف المرتضى هما أو أحدهما قام بوضعه ونسبته إلى الإمام علي عليه السلام، وزعمهم هذا يكذبه ويرده، أن من سبق الشريف الرضي وأخاه، وبأكثر من مائتي سنة أو أقل ممن سبق ذكرهم وغيرهم قد أوردوا أكثر مما في (نهج البلاغة) في مصنفاتهم، ففي كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ الذي توفي قبل ولادة الشريف الرضي وأخيه الشريف المرتضى بأكثر من مائة وخمسين عاماً قد ذكر وأورد في كتابه ذلك بعضاً مما ورد في كتاب نهج البلاغة، وذكر أن قائله هو الإمام عليعليه السلام، ومثله ذكره المسعودي في كتاب مروج الذهب، وهو أي المسعودي قد توفي قبل ولادة الشريف الرضي(1)، ومن هذا القبيل ما ذكره ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح نهج البلاغة 205/1 في شرحه للخطبة الشقشقية قال: (قال مصدق(2): كان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل، قال: فقلت له: أتقول إنها منحولة –أي الخطبة الشقشقية– فقال: لا والله، وإني لأعلم أنها من كلامه كما أعلم أنك مصدق، قال: فقلت له: إن كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضي رحمه الله تعالى، فقال: أنى للرضي ولغير الرضي هذا النَّفَسُ وهذا الأسلوب، قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر، ثم قال: لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب، قبل أن يخلق النقيب

---

(1) وذلك أن المسعودي توفي سنة 346هكما سبق ذكره، الشريف الرضي سنة359هـ.

(2) مصدق بن شبيب الواسطي، أبو الخير، المتوفى سنة 605هببغداد، قرأ على ابن الخشاب وغيره، وقرأ عليه ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة.

(24/1)

أبو أحمد والد الرضي.

قال ابن أبي الحديد: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي، إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة أحد متكلمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً). انتهى.

(25/1)

أكتفي هنا بمثل هذا إذ تفصيل ومتابعة ذلك يطول جداً، وقد ظهرت حديثاً الكثير من الدراسات والكتابات حول هذا الموضوع وردَّت على المشككين وذكرت مصادر كلام الإمام علي عليه السلام وأسانيده، ومن أراد التوسع فلينظر كتاب (مصادر نهج البلاغة) لعبد الله نعمة، وكتاب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) لعبد الزهراء الحسيني، وكتاب (دراسة حول نهج البلاغة) لمحمد جواد الحسيني الجلالي فجميع أولئك أعطوا جُلَّ اهتمامهم على البحث والمناقشة والنظر في مزاعم المشككين فردوا عليهم ذلك وفندوها، وأوضحوا بالبحث مصادر نهج البلاغة وأسانيده، فوثقوا كلام الإمام علي عليه السلام الوارد في كتاب النهج وعزوه إلى مصادره وتوسع البعض إلى ذكر أسانيده، وهؤلاء الباحثون المشار إليهم آنفاً هم من صفوف الشيعة الإمامية اهتموا بجميع ذلك، ولا زالت دراساتهم وبحوثهم تتوالى حول هذا الموضوع، لكنهم للأسف الشديد يهملون الرجوع إلى المصادر الزيدية التي حفلت بالكثير من كلام الإمام علي عليه السلام مسنداً، وعلى وجه الخصوص أمالي الإمام أبي طالب، والاعتبار وسلوة العارفين للإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الشجري، والأمالي الخميسية للإمام المرشد بالله وغيرها، وقد أعذرهم بعض الشيء إذ لم يكن بعض هذه المصادر مطبوعاً، أما اليوم فهي أو أغلبها والحمد لله مطبوعة منشورة.

(26/1)

هذا وقد تصدى للمشككين في صحة نسبة ما في كتاب (نهج البلاغة) إلى الإمام علي عليه السلام ابن أبي الحديد رحمه الله تعالى في (شرح نهج البلاغة)، فقال ما لفظه: (كثير من أرباب الهوى يقولون: إن كثيراً من (نهج البلاغة) كلام محدث، صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم، فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بنيات الطريق، ضلالاً وقلة معرفة بأساليب الكلام، وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط، فأقول:

لا يخلو أن يكون كل (نهج البلاغة) مصنوعاً منحولاً أو بعضه، والأول باطل بالضرورة، لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنينعليه السلام، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون كثيراً منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني يدل على ما قلناه؛ لأن من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفاً من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمُولَّد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، فلا بد أن يفرّق بين الكلامين، ويميّز بين الطريقتين.

(27/1)

ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبي تمام، فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونَفَسهِ، وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه، لمباينتها لمذهبه في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نُواس شيئاً كثيراً، لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه، ولا من شعره، وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة.

وأنت إذا تأملت (نهج البلاغة) وجدته كله ماءً واحداً، ونَفَساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعضٌ من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره، وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور.

ولو كان بعض (نهج البلاغة) منحولاً وبعضه صحيحاً، لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

(28/1)

واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قِبل له به، لأنّا متى فتحنا هذا الباب وسلّطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو، لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك، وكل أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الراشدين، والصحابة والتابعين، والشعراء والمترسلين والخطباء، فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من (نهج البلاغة) وغيره، وهذا واضح)(1).

شروح نهج البلاغة

لكتاب نهج البلاغة شروح كثيرة، ذكر الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عن السيد هبة الله الشهرستاني في كتابه: ما هو نهج البلاغة، أنها تنوف على الخمسين شرحاً ما بين مبسوط ومختصر(2)، وذكر الأستاذ عبد الله نعمة أن شروح نهج البلاغة أربت على سبعين شرحاً منذ عصر الرضي إلى اليوم، ما بين عربي وفارسي وهندي ومسهب وموجز(3).
وأذكر هنا بعضاً من شروحه وأسماء مؤلفيها كما يلي:

---

(1) شرح نهج البلاغة 10/127-129.
(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (مقدمة التحقيق 1/10).
(3) مصادر نهج البلاغة ص42، (ط) سنة 1392هـ/1972م.

(29/1)

---

1) أعلام نهج البلاغة، لعلي بن ناصر الحسيني، من أعلام القرن الخامس الهجري، وهو أول من شرح النهج، إلا أنه شرح مختصر جداً، كان يقتطف من بعض خطب أو كتب أو حكم أمير المؤمنين علي عليه السلام بعض الكلمات أو العبارات فيشرحها شرحاً مختصراً، وبين يدي نسخة منه مصورة صورت على مخطوط بمكتبة العلامة عبد الرحمن شايم، انتهى من نسخها يوم السبت لثلاث خلون من شهر شعبان سنة 635هبخط منصور بن مسعود بن عباس بن أبي عمرو. (وانظر أعلام المؤلفين الزيدية ص573).
2) معارج نهج البلاغة، لعلي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، المعروف بابن فندق المتوفى

سنة 565هـ(ذكره الزركلي في الأعلام4/290، ومحمد حسين الجلالي في كتاب دراسة حول نهج البلاغة ص132).
3) شرح نهج البلاغة، لأحمد بن محمد الوبري، المتوفى سنة 565هـ. (ذكره الجلالي أيضاً ص132).
4) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للقطب الراوندي سعيد بن هبة الله، المتوفى سنة 573هـ. (ذكره الزركلي في الأعلام 3/104، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة 1/5، والجلالي ص133).
5) شرح نهج البلاغة، لفخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن، المتوفى سنة 606هـ. (ذكره أبو الفضل إبراهيم في شرح نهج البلاغة (مقدمة التحقيق) ص10، والجلالي ص136).

(30/1)

---

6) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي عبد الحميد بن هبة الله المدائني، المتوفى سنة 655هـ، وهو شرح مشهور مطبوع ومتداول، وقد طبع عدة طبعات، وهو من أشهر شروح النهج وأفضلها وأكملها، قال العلامة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي حفظه الله في لوامع الأنوار 1/469 في الكلام على شروح نهج البلاغة، قال ما لفظه: وأشهر شروحه –أي النهج– وأبسطها وأجلها وأكملها وأبهجها شرح البحر المتدفق، والحبر المحقق المدقق، العالم النحرير، والحافظ الكبير عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني، الشهير بابن أبي الحديد المعتزلي. انتهى.
7) الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني الزيدي، المتوفى سنة 749هـ. (وهو هذا الكتاب الذي بين يديك، ويعتبر واحداً من أهم الشروح،وأدقها وأغزرها).

(31/1)

---

8) شرح نهج البلاغة، لميثم بن علي بن ميثم البحراني، المتوفى سنة679هـ، وله عليه ثلاثة شروح: كبير، ومتوسط، وصغير، وقد وقفت على أحدها وهو مطبوع. (وانظر دراسة حول نهج البلاغة للجلالي ص140، ومصادر نهج البلاغة لعبد الله نعمة ص42، والأعلام للزركلي 7/336).
9) شرح نهج البلاغة لعبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي الحلي، فرغ منه سنة 780هـ. (ذكره

الجلالي ص144).

10) شرح التحفة العلية في شرح نهج البلاغة الحيدرية، لمحمد بن حبيب الله بن أحمد الحسيني، فرغ منه سنة881هـ. (ذكره الجلالي ص147).

11) شرح نهج البلاغة، لقوام الدين يوسف قاضي بغداد المارديني، المتوفى سنة 917هـ. (ذكره الجلالي أيضاً ص148).

12) شرح نهج البلاغة باسم: أنوار الفصاحة وأسرار البلاغة، لنظام الدين الكيلاني، المتوفى سنة 1036هـ. (ذكره الجلالي أيضاً ص152)، وذكر الأستاذ عبد السلام الوجيه المجلد الثالث منه في كتابه: مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن512/1 في مكتبة العلامة محمد بن عبد العظيم الهادي برقم (398)، وهو بخط المؤلف واسمه: نظام الدين أحمد بن علي الجيلاني.

13) شرح نهج البلاغة، لحسين بن شهاب الدين محمد بن حسين الكركي العاملي الشامي، المتوفى سنة 1076هـ. (ذكره الجلالي ص156).

14) شرح نهج البلاغة، للحسن بن المطهر الجرموزي، المتوفى سنة 1101هـ. (ذكره الوجيه في أعلام المؤلفين الزيدية ص352، والشوكاني في البدر الطالع210/1).

(32/1)

---

15) إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين، ليحيى بن إبراهيم بن يحيى بن الهدى جحاف المتوفى سنة 1102هـ. (ذكره الوجيه في المصدر السابق ص1087، والزركلي في الأعلام134/8، والجلالي ص159)، وقد طبع بتحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي، وصدر في ثلاثة مجلدات كبيرة، الطبعة الأولى، من منشورات دليل ما، مطبعة نكارش –إيران– قم، وبين يدي حال كتابة هذه الأسطر نسخة منه مطبوعة بمجلداته الثلاثة هي ملك الأستاذ عبد السلام الوجيه.

16) شرح نهج البلاغة، لصدر الدين بن محمد بن باقر الموسوي الدزفولي، المتوفى سنة 1256هـ. (ذكره الجلالي ص163).

17) شرح نهج البلاغة، للميرزا محمد تقي الكاشاني، المتوفى سنة 1297هـ. (المصدر السابق ص164).

18) شرح نهج البلاغة، للشيخ محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الديار المصرية، المتوفى سنة 1323هـ. (المصدر السابق ص166) وقد طبع عدة طبعات مع النهج.

19) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، المتوفى سنة1324هـ. (المصدر السابق ص166، وذكر فيه أنه قد طبع سنة 1386هفي (21) مجلداً بتحقيق إبراهيم الميانجي).

20) شرح نهج البلاغة، للمرصفي محمد بن حسن نائل المصري، طبع مع النهج بمصر سنة 1328هـ. (المصدر السابق ص167، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد مقدمة التحقيق ص10).
هذا وأكتفي بما سبق إيراده من شروح كتاب نهج البلاغة إذ أن متابعة ذلك يطول، ومن أراد معرفة ذلك كاملاً فينظر كتاب دراسة حول نهج البلاغة لمحمد حسين الحسيني الجلالي ص126-175، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- لبنان - ط(1) 1421هـ/2001م.

(33/1)

هذا الكتاب

وهذا الكتاب الذي بين يديك هو أحد تلك الشروح المشار إليها لكتاب نهج البلاغة ألفه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني عليه السلام المتوفى سنة 749هـ، وأسماه (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) (ليكون -كما قال- اسمه موافقاً لمسماه، ولفظه مطابقاً لمعناه، حيث كانت العلوم درراً وهو تاجها، وحللاً وهو ديباجها).

(34/1)

ويعتبر واحداً من شروح النهج المهمة، والمبسوطة الشرح لألفاظ وعبارات كل خطبة وكتاب وحكمة وردت فيه، والمشتملة على الفوائد الجمّة في شتى العلوم والمعارف، والكاشفة عن سعة أفق كتاب (نهج البلاغة) في شموليته واستيعابه لنواحي الحياة العلمية والعملية والفكرية المترامية الأطراف والجوانب.
انتهى المؤلف من تأليفه في شهر ربيع الآخر من شهور سنة ثماني عشرة وسبعمائة، وأوضح في مقدمة الكتاب دوافع التأليف وهي: (إيضاح ما وقع في كلام أمير المؤمنين من تفسير ألفاظه الغريبة، وإظهار معانيه اللطيفة العجيبة، وبيان أمثاله الدقيقة، ولطائف معانيه الرشيقة وغير ذلك مما يشتمل عليه كلامه عليه السلام، إذ كان كلامه قد رقى إلى غايتي الفصاحة في لفظه والبلاغة في معناه؛ إذ هو منشأ البلاغة ومولدها، ومشرع الفصاحة ومورِدها، وعليه كان تعويل أربابها وضالة طلابها، فلا وادٍ من أودية الفصاحة إلا وقد ضرب فيه بحظ وافر ونصيب، ولا أسلوب من أساليب البلاغة إلا وله فيه القدح المعلا والتؤم والرقيب) إلى أن قال: (وكان فيه غرضان:
أحدهما: الإبانة عن عظيم قدر أمير المؤمنين حيث كان سابقاً لمن تقدمه، وفائتاً لمن تأخر عنه، فعلى مثاله حذا كل خطيب مصقع، وعلى منواله نسج كل واعظ أروع.

وثانيهما: ما يكون في ذلك من مذخور الأجر من الانتفاع بالزواجر الوعظية، والحكم الأدبية، والحجج القاطعة، والبراهين النافعة، وجواهر اللغة العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، بحيث لا يلقى مجتمعاً في كلام من جميع السلف الأولين، ولا متسقاً في نظام من الخلف الآخرين، خاصة في علوم التوحيد والحكمة وتنزيه الله تعالى عن مشابهة الممكنات، وذكر المعاد الأخروي، بل إنما يؤثر عنهم القليل النادر، والشاذ الشارد، إذ كان كلامه عليه السلام عليه مسحة من الكلام المعجز السماوي، وفيه عبقة من رائحة الكلام النبوي).

حرص المؤلف في المقدمة على ذكر المنهج الذي التزمه وسلكه في كتابه هذا، فقال: (واعلم أني قد سلكت فيه أحد مسلكين:

المسلك الأول: أن أقتطع من كلامه عليه السلام قطعة، ثم أعقد عليها عقداً يكون محيطاً بأسرارها وغرائبها، ويحتوي على جميع معانيها وعجائبها، وهذه هي طريقة جيدة، وفائدتها هو إيضاح معاني الكلام بالعقود اللائقة، والترتيبات الفائقة، وهي طريقة يسلكها كثير من النَّظار فيما يريدونه من إبانة معاني الكلام، ولها آفة وهو الإسهاب في الكلام الذي يورث الملل وسآمة الخواطر.

المسلك الثاني: أن أذكر اللفظة المركبة من كلام أمير المؤمنين ثم أكشف معناها وأوضح مغزاها، من غير التزام عقد لها ولا إشارة إلى ضابط، وهذه طريقة يسلكها الأكثر من النَّظار، فهذان مسلكان يمكن ذكر أحدهما، وكل واحد منهما لا غبار عليه في تحصيل المقصد وتقرير البغية، لكن أرى المسلك الثاني هو أعجب، وإلى الاختصار والتحقيق أقرب لما ذكرناه من حصول التكثير في سلوك الطريقة الأولى، خاصة في مثل هذا الكتاب فإن شجونه كثيرة، ونكته غزيرة، فلا جرم كان التعويل عليها هو الأخلق).

ومن خلال هذا المنهج الذي التزمه المؤلف عليه السلام واستقراء الكتاب من أوله إلى آخره على ضوئه، نجده قد أتى في شرحه لكلام أمير المؤمنين عليعليه السلام الوارد في كتاب نهج البلاغة، بطراز رائع ونموذج جميل، وأداء تميز به عن غيره من شروح نهج البلاغة، فهو لا يقسم كلام أمير المؤمنين إلى فصول بحيث يشتمل كل فصل على قطعة كبيرة من الكلام المزمع شرحه ثم يردف كل فصل بشرحه، كما أنه أيضاً لم يقتصر على تفسير بعض الألفاظ ويترك بعضها، بل على العكس من ذلك يفسر ويشرح مفردات كل خطبة أو كتاب أو حكمة قصيرة من أولها إلى آخرها شرحاً دقيقاً،

فهو أولاً يورد عنوان كل خطبة أو كتاب، ثم يورد على إثره النص والشرح، مراعياً في طريقته لتقسيم نصوص كلام أمير المؤمنين عليعليه السلام إلى فقرات أو عبارات غالباً ما تكون قصيرة أو كلمات مفردة، فيردف كل جزء منها بالشرح، وذلك بشكل منتظم ومتتابع من أول النص إلى آخره، فيبتدئ من أول النص بأن يورد منه قطعة أو لفظة مركبة –كما قال– فيشرحها حتى إذا انتهى من شرحها انتقل إلى التي تليها مباشرة فيوردها ثم يشرحها، وهكذا في جميع مراحل الكتاب من أوله إلى آخره، وكذا بنفس الطريقة في شرح الحكم القصار.

(37/1)

وهو في طريقته في الشرح يذكر ما عنده في ذلك، ملتزماً بمسلكه ومنهجه الذي أوضحه، واعتمد في شرحه على ناحيتين اثنتين هما: الأولى العقلية، والثانية النقلية، فمن الناحية الأولى نجده شأنه في ذلك شأن أئمة أهل البيت" وشيعتهم رضي الله عنهم في كون العقل مناط التكليف وبه يقع التمييز بين حقائق الأشياء وفهم أدلة الأحكام ومقاصدها، وهو العامل الرئيسي في سلامة البحث والنظر والتفكر والاجتهاد وغير ذلك، وتظهر الصبغة العقلية أكثر وضوحاً عند أهل البيت وشيعتهم وبشكل خاص من خلال الاطلاع على مؤلفاتهم الأصولية أو الكلامية أو المباحث النظرية والاحتجاجية والتي شاركهم في ذلك المعتزلة إلا في بعض المسائل خالف المعتزلة فيها، ولذا نجد أن تلك النزعة العقلية التي ورثها من طريقة أسلافه من أهل البيت قد اتخذت طابعاً خاصاً على كتابه هذا في كلامه على المباحث الكلامية والأصولية، إلا أنه يكاد يقترب في منهجه الاستدلالي في بحث ما أو قضية معينة من المعتزلة، فيسلك طريقتهم، والذي يبدو أن المؤلف قد تأثر بهم وبمذهبهم في مسائل معينة فشايعهم في ذلك، لكنه في الأصول المهمة كما حكاه العلامة الكبير مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار 74/2 على منهاج أهل بيته، كما ذكر فيه أنه قد صرَّح بخلاف ما روي عنه من المخالفة. (انظر المرجع المذكور74/2–82).

(38/1)

أما من الناحية الثانية وهي الناحية النقلية فقد اعتمد المؤلف عليه السلام على ذلك كثيراً في كتابه هذا، فنقل الكثير من مواد العلوم المختلفة في القرآن الكريم والحديث والفقه واللغة والنحو والصرف والبلاغة والسيرة والتأريخ والأحداث والوقائع والطب والفلك والمواعظ والحكايات وأقوال الرجال والملل والنحل وغير ذلك. فهو في تناوله لموضوعات نهج البلاغة قد اعتمد على كتب اللغة ففسر الألفاظ

اللغوية موضحاً للغريب منها، مستعيناً بإيراد الشواهد على ذلك من كلام العرب سواء كانت نثراً أم شعراً مبيناً لمعاني كل ذلك يسلك فيه طريقة اللغويين في الاستدلال والتوضيح والاحتجاج بأقوالهم، وفي شرحه للشواهد الشعرية التي تمثل بها أمير المؤمنين عليه السلام، يهتم بتوضيح المعنى والإعراب وموضع الشاهد منه كما يوضح ما عساه يشتبه من الناحية الإعرابية أو التصريفية، ولا يفوته في كثير من مواضيع الكتاب أن يبرز ما اشتمل عليه كلام الإمام علي عليه السلام من الأساليب البلاغية في علمي البيان والمعاني، والبديع، كل ذلك يفعله بمقدرة فائقة تكشف عن غزارة علمه وتبحره في اللغة وعلومها المختلفة.

وأورد في شرحه كثيراً من آيات كتاب الله العزيز والأحاديث النبوية التي تعضد استدلالاً ما، وحكى كثيراً من المواعظ والأمثال والحكم والأبيات الشعرية، وساق في طوايا شرحه عدداً جماً من الروايات في السيرة والتأريخ والأحداث والوقائع ومسائل كلامية وفلسفية، وهو بذلك يحتج ويستدل أو ينقد ويقيم أو يوافق أو يناقض أو يناقش ويحاور إلى جانب ذلك كله يهتم بكشف معاني كلام أمير المؤمنين وإيضاح مقاصدها ومراميها، وتبيين أسرارها وحقائقها.

(39/1)

وقد أورد في أثناء شرحه وفي مواضع كثيرة من الكتاب عدداً من السؤالات وإجاباتها في مختلف الأغراض، والتي تعطي المزيد من إيضاح المعنى وتكشف بدورها عن إشكالية ما قد ترد حول المعنى، فاستخدم في ذلك صيغة: سؤال، فيذكر السؤال ثم يردفه بقوله: وجوابه أو والجواب، وهذه طريقة نراها في كثير من المؤلفات.

وتعقب المؤلف عليه السلام بالنقد وفي مواضع عدة من الكتاب الشريف علي بن ناصر الحسيني رحمه الله مؤلف (أعلام نهج البلاغة) وهو كتاب شرح فيه مؤلفه كتاب (نهج البلاغة) شرحاً مختصراً جداً، ويعتبر أول (شروح النهج)، فتعقب المؤلف بعض آرائه التي أوردها فيه وناقضه فيها.

ورتَّب شرحه هذا، لكتاب (نهج البلاغة) على ترتيب الشريف الرضي رحمه الله حيث رَتَّبَه على أقطاب ثلاثة، وهي:

1) الخطب والأوامر.

2) الكتب والرسائل.

3) الحكم والمواعظ.

(40/1)

فابتدأه باختيار محاسن خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم محاسن كتبه، ثم محاسن حكمه ومواعظه، وكذا رتب المؤلف شرحه هذا على ذلك الترتيب المشار إليه، فابتدأ بشرح القطب الأول وهو الخطب والدلائل، ثم بشرح القطب الثاني وهو الكتب والرسائل، ثم بشرح القطب الثالث وهو الحكم والمواعظ القصيرة، وأضاف في نهاية الكتاب زيادة لم ترد في كتاب (نهج البلاغة) وأشار عليه السلام إلى ذلك، وقد تضمنت نقوش خواتيم أمير المؤمنين علي عليه السلام وما كتب فيها من الأذكار، وهي أربعة خواتيم: الأول للصلاة، ومكتوب فيه: (لا إله إلا الله، عدة للقاء الله)، والثاني: للحرب، ومكتوب فيه قول الله تعالى: {نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ}[الصف:13]، والثالث: للقضاء، ومكتوب فيه: (الله الملك)، والرابع: للختم، ومكتوب فيه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فذكر تلك الخواتيم ومن أي معدن هي، والأذكار المكتوبة عليها موضحاً في ذلك ما اشتملت عليه من الفوائد.
وكان أسلوبه في جميع مراحل الكتاب بليغاً، ارتفع عن الركة في التعبير والخلل في اللفظ، فجاءت عباراته قوية وبلفظ عربي فصيح وأصيل، متوخياً فيه الجزالة والمتانة والدقة والفصاحة، مراعياً في ذلك التوضيح والسهولة والسلاسة.

(41/1)

مصادر المؤلف

كما سبقت الإشارة إليه من أن المؤلف قد نقل إلى كتابه هذا من العلوم النقلية الشيء الكثير، وشكَّل ذلك أحد أهم موارد الكتاب، إلا أننا نجده في الغالب لا يذكر اسم المصدر المستقى منه مادة شرحه، فقد يقتصر في ذلك على قوله: ويحكى، أو حكي، أو يروى، أو روي، ونحو ذلك، خصوصاً في سرده لروايات تأريخية أو وعظية أو حكمية أو نقل لأقوال في موضوع ما، وفي مواضع نادرة يذكر اسم قائل كلام ما، أو قول أو ما شابه ذلك بدون ذكر للكتاب المذكور فيه ذلك الكلام أو القول، فيقول مثلاً: وحكى قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد، ويورد الحكاية بدون ذكر الكتاب الذي وردت فيه، مما يشكل صعوبة في البحث عن ذلك، خاصة عن قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد صاحب المؤلفات الكثيرة، فلا يدري الباحث في أي من تلك المؤلفات ذكر ذلك، لكن تبين فيما بعد أن كتاب (المغني) لقاضي القضاة هو الذي اعتمد عليه المؤلفعليه السلام بشكل كبير وخصوصاً في مسائل الإمامة والأحداث الواقعة في أيام الخليفة عثمان بن عفان والتي انتهت بمقتله، وكذلك فيما يتعلق بطلحة والزبير وعائشة وأخبار الجمل، والخوارج، ومعاوية وأهل الشام وغيرهم.
وينقل أيضاً عن سيرة ابن هشام (عبد الملك بن هشام الحميري) وعن الشريف علي بن ناصر مؤلف أعلام نهج البلاغة، وبالنسبة لمصادره اللغوية نجده كما سبق يذكر أقوالاً لغوية منسوبة لقائلها بدون ذكر مصادرها، يقول: قال أبو عبيدة أو قال ابن السكيت، أو حكاه الزجاج، أو قال الفراء، أو

الأخفش أو غيرهم، وذلك لا يتنافى مع مقدرة المؤلف الذهنية الفائقة وفهمه وتبحره في مختلف العلوم، وسعة وغزارة اطلاعه على الكثير من المصادر في جميع فنون العلم.

(42/1)

وعلى العموم فالمصادر المذكورة في كتابه هذا محدودة ويسيرة، منها: أعلام نهج البلاغة للشريف علي بن ناصر الحسيني، والشفاء في الطب لابن سينا، بالإضافة إلى المصادر التي ذكرها الشريف الرضي في كتاب نهج البلاغة، وكتاب الفضائل للبيهقي، والكشاف للزمخشري، ولعل من أهم مصادره اللغوية صحاح الجوهري كما تبين لي ذلك من خلال الرجوع إلى كتاب مختار الصحاح في مواضع كثيرة.

ترجمة المؤلف

1- اسمه ونسبه

هو الإمام المؤيد بالله أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إدريس بن جعفر الزكي بن علي التقي بن محمد الجواد بن الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن سيد العابدين علي بن الحسين السبط بن الإمام الوصي "(1).

وأمه الشريفة الفاضلة الثريا بنت السراجي، أخت الإمام الناصر لدين الله يحيى بن محمد السراجي الحسني(2).

2- مولده

ولد عليه السلام لثلاث بقين من شهر صفر سنة تسع وستين وستمائة بمدينة صنعاء(3).

3- دراسته ومشائخه

حفظ عليه السلام القرآن الكريم واشتغل بطلب العلم من صغره، ورحل إلى مدينة حوث، فقرأ فيها في أكثر العلوم كعلم الكلام وغيره، ثم أخذ في كتب الأئمة وشيعتهم وفي كتب غيرهم، ففاق أقرانه، وحقق وصنَّف، فمن مشائخه:

---

(1) التحف شرح الزلف 270.

(2) اللآلئ المضيئة -خ-

(3) مآثر الأبرار 991/2، اللآلئ المضيئة -خ-، أعلام المؤلفين الزيدية 1124، الإمام يحيى بن حمزة وآراءه الكلامية 23.

---

1) الإمام المطهر بن يحيى، المتوفى سنة 697هـ، أخذ عنه كتاب (أصول الأحكام) للإمام أحمد بن سليمان، ذكر ذلك الإمام يحيى بن حمزة في إجازته لأحمد بن محمد الشغدري(1).

2) الإمام الواثق محمد بن المطهر بن يحيى، المتوفى سنة 728هـ(2).

3) العلامة محمد بن خليفة بن سالم بن محمد بن يعقوب الهمداني، المتوفى سنة 675هـ، قرأ عليه في أكثر العلوم كعلم الكلام وغيره بمدينة حوث(3).

4) العلامة علي بن سليمان البصير، أخذ عنه في كتب الأئمة وشيعتهم وذلك بمدينة حوث أيضاً(4).

5) العلامة محمد الأصبهاني، ومن جملة ما سمع عليه (أمالي أبي طالب) و(مجموع الإمام زيد بن علي)(5).

6) القاضي العلامة عفيف الدين سليمان بن أحمد الألهاني، سمع عليه (سنن أبي داود) و(سيرة ابن هشام) و(أمالي السيد أبي طالب) و(نهج البلاغة)(6).

7) العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الشاوري، أخذ عنه كتاب (الفائق في الحديث)(7).

8) العلامة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري الشافعي المتوفى سنة722هـ، أجازه في (كتاب البخاري)، و(كتاب الترمذي)، و(كتاب مسلم)، و(كتاب السنن للنسائي)، و(مسند أبي حاتم في الحديث)، و(كتاب النجم والكوكب في الحديث) لأحمد بن معد بن عيسى الإقليسي النجبي المصنف، و(شرح السنة) للبغوي، و(الناسخ والمنسوخ) لمحمد بن موسى الحارثي، و(الوسيط في تفسير القرآن) للواحدي(8).

---

(1) طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث) 1225/3.

(2) المصدر السابق 1226/3.

(3) المصدر السابق 1224/3-1225.

(4) المصدر السابق 1225/3.

(5) المصدر السابق 1225/3.

(6) المصدر السابق 477/1، 1225/3.

(7) المصدر السابق 205/1، 1225/3.

(8) المصدر السابق 1225/3-1226، 1315.

9) العلامة محمد بن محمد بن أحمد الطبري، المتوفى سنة 730هـ، أجاز له الكتب الذي أجازها العلامة إبراهيم بن محمد الطبري(1).

10) العلامة شهاب الدين أحمد بن عبد الله المعروف بابن الواطن، أجازه في كتاب (شمس العلوم في اللغة لنشوان الحميري، وكتاب (التهذيب في التفسير) للحاكم الجشمي(2).

11) الفقيه حمزة بن علي، أجازه في كتاب (المهذب) في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي(3).

3- تلامذته

أخذ على الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام علماء أعلام منهم:

1) العلامة الفقيه الحسن بن محمد النحوي، المتوفى سنة 791هـ، قرأ على الإمام يحيى بن حمزة مؤلفه (الانتصار) جميعه، ولم يسمعه عليه غيره، وأجازه في جميع مسموعاته ومستجازاته وجميع مؤلفاته(4).

2) العلامة عبد الله بن يحيى بن حمزة (نجل الإمام) المتوفى سنة 788هـ، أجازه مؤلفه (الانتصار)(5).

3) العلامة أحمد بن سليمان الأوزري، المتوفى سنة 810هـ، أجازه أيضاً مؤلفه (الانتصار)(6).

4) العلامة إسماعيل بن إبراهيم بن عطية النجراني، المتوفى سنة 794هـ، أجازه أيضاً مؤلفه (الانتصار)(7).

5) العلامة علي بن إبراهيم بن عطية النجراني، المتوفى بعد سنة 801هـ، وهو من أجلِّ تلامذة الإمام، وأخذ عنه في كتب الأئمة وشيعتهم كـ(مجموع الإمام زيد بن علي) و(أمالي أبي طالب) وغيرها، وأجازه الإمام يحيى بن حمزة في كتابه (الانتصار)(8).

---

(1) المصدر السابق 1641/3، 1226.

(2) المصدر السابق 1226/3.

(3) المصدر السابق 1226/3، 410/1.

(4) المصدر السابق 1227/3، 336/1.

(5) المصدر السابق 1227/3، 650/2.

(6) المصدر السابق 135/1، 1227/3.

(7) المصدر السابق 1227/3، 248/1.

(8) المصدر السابق 1227/3، 692/2.

6) العلامة محمد بن المرتضى بن المفضل، المتوفى سنة 732هـ، قال في الطبقات في ترجمته: (ثم قرأ على الإمام يحيى فأسمعه المعقولات، وقرأ عليه المنقولات والمعقولات)(1).

7) العلامة أحمد بن حميد بن سعيد الحارثي، المتوفى في عشر الخمسين وسبعمائة، سمع على الإمام كتابي البخاري ومسلم(2).

8) العلامة أحمد بن محمد الشغدري، أجازه الإمام بإجازة ذكر فيها الكتب الحاصلة له سماعاً، وكذا الكتب الحاصلة له بطريق الإجازة، ذكر الإجازة بلفظها في طبقات الزيدية الكبرى القسم الثالث(3).

4- قيامه ودعوته

قام ودعا إلى الله سبحانه في اليوم الثاني من شهر رجب من سنة تسع وعشرين وسبعمائة(4)، وكان ظهوره في بلاد صعدة والظاهر وبلاد الشرف، وقام مناصباً للأعداء فنهض إلى صنعاء فقاتل الإسماعيلية، إلى أن مال الفريقان إلى الصلح، ولم تسعده الأيام إلى كل مرام، فسار إلى حصن هران المطل على ذمار، فاشتغل بالتأليف والتصنيف، وتقريب الشقة بين المسلمين(5).

5- علمه

كان الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام عالماً كبيراً، مجتهداً فذاً، فقيهاً أصولياً، لغويًّا، أديباً بليغاً، محققاً في شتى العلوم، يشار إليه في ذلك بالبنان، وكان مؤلفاً موسوعياً في شتى فنون العلم، وقد خلف مكتبة ضخمة من مؤلفاته، تدل على غزارة علمه وتبحره في أصول العلم وفروعه وسعة اطلاعه، فقد قيل: إن عدد مصنفاته بلغت مائة مجلد، وقيل: إن عدد كراريس تصانيفه بعدد أيامه.

(1) المصدر السابق 1071/2.
(2) المصدر السابق 1227/3، 248/1.
(3) المصدر السابق 117/1، 1225/3-1226.
(4) مآثر الأبرار 973/2.
(5) انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص1124.

وتطالعنا الكتب التي ترجمت له بقائمة طويلة من مؤلفاته ومصنفاته في شتى أنواع العلوم، ففي الفقه ألّف اثني عشر كتاباً منها كتاب: (الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) في ثمانية عشر مجلداً، لا زالت جميعها في عداد المخطوطات ما عدا المجلد الأول منه فقد طبع وجاء في (986)

صفحة، وصدر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية –عمان – الأردن، الطبعة الأولى 1424هـ/2002م، بتحقيق الأستاذين الفاضلين عبد الوهاب المؤيد، وعلي بن أحمد مفضل، ويسعيان جاهدين في تحقيق بقية الكتاب كاملاً بمجلداته السبعة عشر المتبقية، وفقهما الله تعالى وكتب لهم أجر ذلك في ميزان حسناتهما.

هذا ومن الكتب التي ألَّفها الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في الفقه كتاب (العمدة) ويقع في ستة مجلدات وغير ذلك، وفي أصول الفقه ثلاثة كتب منها كتاب: (الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد القياسية) في ثلاثة مجلدات، وألَّف في أصول الدين إحدى عشر كتاباً منها كتاب (الشامل لحقائق الأدلة وأصول المسائل الدينية) في أربعة مجلدات، وفي اللّغة والنحو والبلاغة والأدب ثمانية كتب منها: كتاب (المحصل في كشف أسرار المفصل) في أربعة مجلدات، و(المنهاج الجلي في شرح جمل الزجاج) في مجلدين، و(الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) طبع في ثلاثة مجلدات، ومنها هذا الكتاب الذي بين يديك، وهو (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) في مجلدين، وفي الزهد كتاب (تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب) في مجلد، وفي الحديث: (الأنوار المضيئة شرح الأربعين الحديث السيلقية) في مجلدين وغير ذلك كثير سيأتي تفصيلها عند ذكر مؤلفاته في هذه الترجمة.

(47/1)

هذا وقد ذكر العلامة محمد بن علي بن يونس الزحيف الصعدي المعروف بابن فند، المتوفى بعد سنة 916هـفي سياق ترجمة الإمام يحيى بن حمزة، أنه لم يبلغ أحد من الأئمة مبلغه في كثرة التصانيف، فهو من مفاخر أهل البيت"، وكذا قاله العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي المتوفى سنة 1055هـفي اللآلئ المضيئة.

هذا وقد كانت له عليه السلام آراء خاصة حول بعض القضايا أوردها في بعض مؤلفاته، فكانت مثار نظر ومناقشة، فعقب عليها بالبحث والمناقشة بعض أئمة الزيدية وعلمائهم، وعلى سبيل المثال قضية فدك، حيث يذهب الإمام يحيى بن حمزة إلى أن قضاء أبي بكر فيها صحيح، ويناقش الإمام القاسم بن محمد عليه السلام المتوفى سنة 1029هـذلك الرأي في كتاب (الأساس في عقائد الأكياس) في حكم أبي بكر في فدك، فقال ما لفظه: (الإمام يحيى والإمام المهدي عليهما السلام: وحكم أبي بكر في فدك صحيح؛ لأنه حكم باجتهاده).

يعقب الإمام القاسم على ذلك بقوله: (قلنا: هو المنازع، وأيما منازع حكم لنفسه فحكمه باطل إجماعاً، ولو لم يخالف اجتهاده، قال الشاعر:

ومن يكن القاضي له من خصومه .... أضرّ به إقراره وجحوده

وأيضاً فإن الإمام عندهما عليهما السلام علي عليه السلام، وهو لم يرض ولايته، فكيف يصح قضاؤه؟!

(48/1)

وأيضاً كانت اليد لفاطمة عليها السلام، لأن في الرواية أنها عليها السلام أتته تطلب حقها بعد أن رفع عاملها، فإيجاب البينة عليها خلاف الإجماع، وأيضاً اعتمد على خبره وهو: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما خلفناه صدقة)) مع احتمال أن يكون معناه: أن الصدقة [أي] الزكاة التي لا تحل لبني هاشم غير موروثة بل تصرف في مصرفها، ولفاطمة عليها السلام أن تعتمد على خبرها وخبر علي والحسن والحسين "، صح لنا ذلك من رواية الهادي عليه السلام، وأم أيمن أنه صلى الله عليه وآله وسلم أنحلها، مع أنه نص صريح لا يحتمل التأويل.

ثم لا يكون الأولى بترجيح دعواه لأنهما متنازعان، كل يجر إلى نفسه، مع أن الخبرين لا يكذب أحدهما الآخر، لأن خبره متضمن عدم استحقاقها الإرث بزعمه، وخبرها متضمن لعقد عقده لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، وإذا ثبت الحكم من أبي بكر لنفسه بلا مرجح كما تقرر، فالعقل والشرع يقضيان ببطلانه)، ثم ساق الكلام في ذلك وأوضحه. (انظر الأساس ص157-159).

(49/1)

وقال العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي حفظه الله تعالى في (لوامع الأنوار) في سياق ترجمة الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، قال ما لفظه: (هذا واعلم أنه كثر التمسك من المائلين بما يجدون في بعض كتب الإمام يحيى عليه السلام من التليين لميل الإمام إلى المجاملة، ومحبته للملائمة، وقد صرح بخلاف ما روي عنه من المخالفة كما يتضح لك، وهو على منهاج أهل بيته في الأصول المهمة من الدين كمسائل التوحيد والعدل والنبوة، وإمامة الوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده الحسنين، وأهل البيت " بعدهم، ولزوم ولايتهم، وحجية إجماعهم، وأبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحاشاه عن خلافهم كما هو معلوم، وإنما وقعت فلتات في أثناء بعض المؤلفات من وراء تلك المهمات، والمعتمد الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)، ثم ساق حفظه الله تعالى الكلام في ذلك وأورد كلاماً للإمام محمد بن عبد الله الوزير عليه السلام في (فرائد اللآلئ) في مسألة الذين تقدموا على أمير المؤمنين علي عليه السلام في

الخلافة، أوضح فيه رأي الإمام يحيى بن حمزة بعدم ثبوت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان، وقال فيه: (لكنا نقول قولاً واضحاً: هم قد استبدوا بالخلافة، وقد قام البرهان على صحة إمامته عليه السلام، والخلافة عندنا غير الإمامة، ولم تقم دلالة على صحة إمامتهم، فهم خلفاء وهو الإمام، وهذا قول بالغ يكفي في الإنصاف). انتهى، ثم ساق الكلام في ذلك وأورد كلاماً للإمام يحيى بن حمزة في فدك أوضح فيه أنه رجوع من الإمام يحيى من قول سابق له في قضية فدك، ......ثم قال السيد مجد الدين: قال الإمام –أي الإمام محمد بن عبد الله الوزير–: (وقد عرفت كلام الإمام يحيى عليه السلام في هذين المهمين، ورجوعه إلى مقالة أسلافه الذين لا يقال لهم إلا ما قاله يوسف الصديق عليه السلام: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}[يوسف:38]، وما حكى الله في آية الاجتباء: {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ}[الحج:78]).

(50/1)

ثم أورد العلامة مجد الدين كلاماً للسيد الهادي بن إبراهيم الوزير في (نهاية التنويه) يذكر فيه ترجيح الإمام يحيى بن حمزة لمذهب العترة النبوية واستيفاء أعاريض الكلام في ذلك، وذلك في كتابيه (الانتصار) و(مشكاة الأنوار). (انظر ذلك كاملاً في لوامع الأنوار 2/74–82).

6– قالوا فيه:

أ– قال الإمام المطهر بن يحيى عليه السلام المتوفى سنة 697هـ، والذي صحبه الإمام يحيى بن حمزة في يوم تنعم، قال فيه: (في هذا الولد لله ثلاث آيات: علمه، وخلقه، وخطه)، ذكره الزحيف في مآثر الأبرار، والشرفي في اللآلئ المضيئة.

ب– وقال العلامة المؤرخ محمد بن علي بن يونس الزحيف المعروف بابن فند رحمه الله في مآثر الأبرار 2/972: (الإمام الصوّام القوّام، علم الأعلام، وقمطر علوم العترة الكرام، حجة الله على الأنام، كان الإمام يحيى عليه السلام في غزارة علمه وانتشار حلمه حيث لا يفتقر إلى بيان، ولم يبلغ أحد من الأئمة مبلغه في كثرة التصانيف، فهو من مفاخر أهل البيت، وعلومه الدثرة(1) من مناقب الزيدية) إلى أن قال: (كان كثير التواضع، عديم التبجح بمصنفاته، حتى كان لا يسميها إلا الحواشي).

---

(1) الدثرة: الكثيرة، ومال دثر أي كثير.

(51/1)

جوقال القاضي العلامة الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ المهلا رحمه الله، المتوفى سنة 1111هفي مطمح الآمال ص253: (كانت أيامه بالعبادة عامرة، ولياليه بالقيام زاهرة، ومحافله بالعلوم نيرة باهرة، مع شدة إقباله على الآخرة، وإيثاره لما يؤثره أهل السجايا الطاهرة، فرضوان الله عليه وعلى آبائه أئمة الهدى ومصابيح الدجى).

د- وقال العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي حفظه الله في التحف ص270: (هذا الإمام من منن الله على أرض اليمن، وأنواره المضيئة في جبين الزمن، نفع الله بعلومه الأئمة، وأفاض من بركاته على هذه الأمة، وله الكرامات الباهرة، والدلالات الظاهرة).

هوقال السيد العلامة المؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي الصنعاني رحمه الله، المتوفى سنة 1308هفي اللطائف السنية97/1: (كان هذا الإمام في غزارة علمه وانتشار فضله، وتقمصه ليعسوبات العلوم، وإحاطته بمنطوقها والمفهوم، وكثرة التصانيف، وجودة الأنظار في جميع التآليف، مع حسن العبارة ووضوح المعاني في إيراده وإصداره، ولم يبلغ مبلغه أحد من الأئمة في كثرة التصانيف، فهو من مفاخر أهل البيت حتى قيل: إن عدد الكراريس من مؤلفاته زادت على أيام عمره، مع أنه بسط له في العمر ثمانين سنة).

(52/1)

و- وقال القاضي العلامة أحمد بن عبد الله الجنداري رحمه الله، المتوفى سنة 1337ه، في الجامع الوجيز -خ- في حوادث سنة 749ه: (وفيها توفي الإمام عماد الإسلام، وحافظ الزيدية الكرام، المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي، من ذرية علي بن موسى الرضا الحسيني، وكان هذا الإمام من الآيات في حفظه وورعه وعلومه ومصنفاته، وأجمع على فضله الموالف والمخالف، وقيلت فيه القصائد من مصر وغيرها، وباعه في العلم بحر لا يساجل).

ز- وقال القاضي العلامة حسين بن أحمد العرشي رحمه الله، المتوفى سنة 1329ه، في بلوغ المرام ص51: (أما الإمام يحيى بن حمزة فهو الذي حاز المفاخر الدينية، والعلوم القرآنية والسنية، وكان أعرف الناس بالكتاب وبمذهب آبائه الكرام، له التصانيف العظام).

ح- وقال الأستاذ العلامة المؤرخ المحقق عبد السلام بن عباس الوجيه حفظه الله في أعلام المؤلفين الزيدية ص1124، ترجمة رقم (1193): (أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمن، ونجوم الآل الكرام، وأكابر علماء الزيدية، إمام، مجاهد، مجتهد، مفكر، زاهد).

(53/1)

7- وفاته وموضع قبره، ومدة عمره

وكانت وفاته عليه السلام بحصن هران، الواقع قبلي ذمار، وذلك في سنة تسع وأربعين وسبعمائة 749هـ، فنقل إلى ذمار ودفن فيها، ومشهده بها مزور مشهور، وله إحدى وثمانون سنة، وقيل: اثنتان وثمانون سنة، قال العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي رحمه الله، المتوفى سنة1055هفي اللآلئ المضيئة: (ولم تظهر فيه علامة من علامات الشيخوخة، ولا حصل في جسمه شيء من أمارات الهرم لا في وجهه ولا في جسده ولا سمعه ولا بصره ولا أسنانه ولا قوته، وكان عليه السلام في غاية الجمال والكمال، وقيل: إن الفقيه حسن بن محمد النحوي رحمه الله كان يعجب من بياض لحيته وسواد حاجبيه، ويقول: هذه كرامة أكرم الله بها هذا الإمام عليه السلام، وصلى عليه السلام صلاة العشاء ليلة موته من قيام، ومات في آخر الليل من تلك الليلة). انتهى.

هذا وتذكر بعض المصادر وهي القلة ممن ترجمت له أن وفاة الإمام يحيى بن حمزة كانت في سنة 747هـ، إلا أن الصحيح أنه انتهى من تأليف كتابه (الانتصار) في أواخر سنة 748هكما ذكره محققا الجزء الأول منه تعقيباً على السيد يحيى بن الحسين مؤلف كتاب (غاية الأماني).

8- مؤلفاته

للمؤلف عليه السلام مؤلفات كثيرة كما ذكرنا، وإليك قائمة بهذه المؤلفات، منقولة من كتاب: أعلام المؤلفين الزيدية ص1124-1131 للأستاذ العلامة المؤرخ الأديب المحقق/ عبد السلام بن عباس الوجيه:

1) إجازة الحديث. قال الحِبشي: إجازة للفقيه أحمد بن سليمان، بخط المؤلف بجانب كتاب المعيار، بمكتبة الجامع رقم (84) (علم الكلام).

2) أجوبة مسائل الأوزري. قال الحِبشي: -خ- ضمن مجموع رقم (11) مكتبة الجامع، (كتب مصادره).

(54/1)

---

3) أجوبة مسائل شتى. (لعلها المذكورة في مصادر الحِبشي بعنوان جواب(38) سؤالاً -خ- سنة 832هبخط حفيد المؤلف أحمد بن عبد الله بن يحيى بن حمزة رقم (10) (مجاميع مكتبة الجامع في خمس ورقات).

4) اختيارات المؤيد. قال الحِبشي: الاختيارات المؤيدية، ذكره زبارة في أئمة اليمن229/1، ولعله مخطوط بإحدى مكتبات الهند، وذكره السيد مجد الدين باسم (الاختيار) في الفقه مجلدان.

5) الأزهار الصافية شرح مقدمة الكافية (نحو) في مجلدين، وذكر باسم: الأنهار الصافية شرح الكافية. -خ- الجزء (1،2) برقم (1،2) المكتبة الغربية الجامع الكبير.

6) أطواق الحمامة في حمل الصحابة على السلامة. قال الحبشي: -خ- في 7 ورقات ضمن مجموعة في مكتبة آل يحيى بمدينة تريم حضرموت (فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت).

7) الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام في الرد عليهم في الأسرار الإلهية والمباحث الكلامية -خ- سنة 817هق155-203 برقم (690) مكتبة الأوقاف (طبع).

8) الاقتصار في النحو. مجلد (أئمة اليمن 229/1)، التحف).

9) إكليل التاج وجوهرة الوهاج -خ- سنة832هق146-175 برقم51 (مجاميع) أوقاف.

(55/1)

---

10) الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة في المباحث الفقهية والمضطربات الشرعية، موسوعة شاملة لأقوال مختلف المذاهب والعلماء في الفقه الإسلامي، في 18مجلداً كبيراً -خ- منه ج3،2،1 -خ- سنة 1052هفي 453ورقة برقم(981) مكتبة الأوقاف، ج2خط سنة784هفي 246ورقة رقم (983)، وأخرى منه رقم (982) وفي نفس المكتبة مجلدات أخرى وهي ج5 رقم (985) وأخرى منه رقم (986)، ج8 رقم (987)، وأخرى منه988، ج10 رقم (989)، ج11 رقم (990)، وأخرى منه برقم (991)، ج13 برقم (992)، ج15 برقم (993)، ج16 بخط المؤلف سنة 748هرقم (994)، وهنالك الأجزاء 2، 3، 5، 6، 8، بخط المؤلف، و 9،16،17 في المتحف البريطاني. (انظر مصادر العمري ومصادر الحِبشي)، وجزء 5، 6 خط سنة 755هبمكتبة السيد يحيى بن علي الذارحي، ونسخ مصورة بمكتبة السيد عبد الرحمن شايم، أخرى من1 إلى4 -خ- سنة 885ه، بمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان، أخرى عشرة مجلدات مصورة بمكتبة السيد محمد بن عبد العظيم الهادي، وانظر فهرس الأوقاف، وقد جمعت أغلب أجزاءه بجهود الأستاذ علي بن أحمد مفضل والأستاذ عبد الوهاب المؤيد، وبدآ في تحقيقها وأنهيا المجلد الأول وهو معد للطبع، وانظر بقية مخطوطاته في كتابنا (مصادر التراث في المكتبات الخاصة)، نسخة من المجلد الثالث خطت سنة1052ه، مصورة بمكتبة معهد القضاء العالي، ومكتبة الأخ أحمد علي نور الدين.

(56/1)

---

11) الأنوار المضيئة في شرح الأربعين حديثاً السيلقية، شرح من أجلّ وأوفى الشروح على الأربعين السيلقية، فرغ منه سنة736ه-خ- ج1 رقم(22) (حديث) غربية، أخرى بمكتبة العلامة محمد بن

محمد الكبسي، ونسخة منه في مكتبة الوالد العلامة محمد بن قاسم الوجيه، كانت مُعَدَّة للطبع، نسخة خطية مصورة ج2 بخط حفيد المؤلف سنة 736هـمكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي.

12) الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم البيان ومعرفة الإعجاز، -خ- سنة 744هبخط المؤلف المكتبة الغربية رقم (1) (بلاغة)، أخرى رقم(1830)، ثالثة رقم(1610) مكتبة الأوقاف، رابعة ذكرها الأستاذ الحِبشي بمكتبة دار الكتب برقم (4299).

13) الإيضاح لمعاني المفتاح. (في علم الفرائض). (أئمة اليمن -الترجمان- التحف).

14) التحقيق في الإكفار والتفسيق -خ-. قال الحبشي -خ- سنة 724هفي حياة المؤلف في 140 ورقة بمكتبة الأستاذ حسين السياغي، أخرى بمكتبة الجامع (الكتب المصادرة). وقال الجنداري: في مجلدين. وقال السيد مجد الدين: التحقيق في التكفير والتفسيق مجلد في أصول الدين.

15) تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، من روائع المؤلفات في بابه وهو مرجع هام لتزكية النفوس وبناء الشخصية الإسلامية طبع مراراً ونسخه الخطية كثيرة.

16) التمهيد في علوم العدل والتوحيد ويسمى التمهيد لأدلة مسائل التوحيد -خ- سنة 733هفي 112 ورقة برقم 734 مكتبة الأوقاف الجامع، وذكر الحبشي أخرى ضمن الكتب المصادرة، أخرى المجلد الثاني -خ- سنة707هوعليها هامش بخط المؤلف بمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان.

(57/1)

---

17) جواب على سؤال ورد من الشام يبحث عن أحواله ومقروءاته ومصنفاته. قال الحبشي -خ- رقم 10 مكتبة الجامع (الكتب المصادرة)، أخرى ضمن مجموعة بخط حفيده بمكتبة الجامع رقم 10 لعلها الأولى.

18) جواب مسائل وردت على الإمام -خ- 106 (مجاميع) ق95-101 مكتبة الأوقاف.

19) الجواب القاطع للتمويه عما يرد من الحكمة والتنزيه -خ- المجموع السابق ق 136-143.

20) الجواب الرائق في تنزيه الخالق عن مشابهة الممكنات والكون في الأرجاء والجهات -خ- المجموع السابق ق22-62، أخرى -خ- سنة 997هبمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان.

21) الجواب المصلح للدين الموضح لسنن سيد المرسلين -خ- المجموع السابق ق102-107.

22) الجواب الناطق بالصواب القاطع لعرى الشك والارتياب المجموع السابق ق 63-67، أخرى بمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان ضمن مجموع.

23) الجوابات الوافية بالبراهين الشافية -خ- في 134 ورقة المجموع السابق، أخرى بمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان نفس المجموع.

24) الحاصر في شرح مقدمة طاهر (في النحو) -خ- ق8 في 196 ورقة رقم 1700 مكتبة

الأوقاف وذكر الحبشي نسخة في مكتبة عيدروس الحبشي، ونسخاً أخرى رقم 121، 122 (لغة) الجامع، أخرى بمكتبة المتحف البريطاني رقم 3824 والأمبروزيانا g102 في علم الإعراب . خ . سنة753هبمكتبة السيد محمد بن محمد المنصور.

25) الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد القياسية في (أصول الفقه) -خ- سمعت أن طالباً من آل المحبشي يسعى لتحقيقه، ومنه نسخة مصورة من السفر الثاني خطت سنة 710هفي مكتبة مركز بدر (والحاوي في ثلاثة مجلدات).

26) خلاصة السيرة. لخص فيه سيرة ابن هشام.

(58/1)

---

27) خطب الشهور والسنة -خ- ببرط مصورة بمكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي.

28) الدعوة العامة. -خ- (مجاميع) 106 مكتبة الأوقاف ق165-169.

29) الدعوة إلى سلطان اليمن -خ- (مجاميع) 106 مكتبة الأوقاف ق 170..173

30) الدعوة إلى الأمراء من آل عماد الدين، -خ- (مجاميع) 106 مكتبة الأوقاف ق173-175.

31)الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (ثلاثة مجلدات) شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين -خ- سنة 1073هفي472 ورقة يحتوي على المجلد الأول والثاني رقم 1976 مكتبة الأوقاف، أخرى ج1 مصورة مكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي.

(59/1)

---

32) رأي الإمام يحيى بن حمزة في أبي بكر وعمر -خ- ضمن 106 (مجاميع) أوقاف 4 ورقات.

33) رسالة في بيان المصدر والحاصل له. قال الحبشي منه نسخة -خ- ضمن مجموع من ورقة 46 إلى ورقة53 بمكتبة الأستاذ حسين السياغي بصنعاء.

34) الرسالة المفيدة -خ- سنة 1025هق127-138 رقم 13 (مجاميع) مكتبة الأوقاف.

35) الرسالة الوازعة لذوي الألباب عن فرط الشك والارتياب. (جواب على السيد داود بن أحمد -خ- ضمن مجموع بمكتبة السيد حمود شرف الدين خط سنة 1043هـ، أخرى -خ- سنة 797هبمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان في 106 (مجاميع) أوقاف ق113-121، وأخرى رقم 222 (مجاميع) أوقاف ت1-4.

36) الرسالة الوازعة لصالح الأمة عن الاعتراض على الأئمة . خ . 106 (مجاميع) أوقاف ق90-

94 وباسم الكاشفة للغمة ق1-22، أخرى . خ . سنة797هبمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان.
37) الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين طبع سنة1348هبمصر ضمن مجموع الرسائل اليمنية ثم طبعت منفردة وصدرت عن دار التراث اليمني سنة 1410هـ.

(60/1)

---

38) رسائل الإمام يحيى بن حمزة وكتبه وهي كثيرة ومنها رسالة إلى الإخوان بالظاهرية وشيخ بني أسعد بن حجاج أهل الظفير بحجة، (مجاميع) 106 أوقاف، وفيه كتاب تعزية إلى الفقهاء بني حبش ق199-201، وإلى الأمير عبد الله بن أحمد بن القاسم، ق 175-178، وإلى الشيخ محمد الرصاص ق193-196، وإلى سلطان اليمن المجاهد ق183-186، وإلى من بجهات الأهنوم وعذر، وكتاب له حول المنكر بثوبان ق186.190، ق 190-193 وغيرها.
39) الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية (في أصول الدين) أربعة مجلدات -خ- ج2 رقم 88 (علم الكلام) غربية، ونسخة مصورة من السفر الثاني بخط المؤلف فرغ منه سنة 711هفي مكتبة مركز بدر، اخرى مصورة مكتبة محمد بن عبد العظيم الهادي، أخرى مصورة بمكتبة السيد عبد الرحمن شايم من نفس النسخة.
40) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز فرغ منه سنة 728هوطبع في ثلاثة مجلدات فاخرة بالقاهرة سنة1332هوطبع بعدها مراراً (معاني وبيان).
41) العدة في المدخل إلى العمدة. قال زبارة في أئمة اليمن: في الفقه مختصر بالغ الأهمية يقع في جزئين.
42) عقد اللآلي في الرد على أبي حامد الغزالي، (رد عليه في مسألة إباحته للسماع) -خ- ق68-88 رقم 106 (مجاميع) أوقاف، أخرى رقم 37.
43) العمدة في مذاهب الأئمة في الفقه فرغ منه سنة 720هذكره زبارة في (أئمة اليمن) وقال: يقع في ستة مجلدات، اشتمل على جميع إيرادات المذاهب بالحجج والشواهد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقياسات، منه ج2، ج3 مصورتان بمكتبة محمد عبد العظيم الهادي، الثاني من الصوم إلى الطلاق، والثالث من الطلاق إلى الشفعة.

(61/1)

---

44) الفائق المحقق في علم المنطق مجلد (أئمة اليمن – الترجمان)، وباسم القانون المحقق (مؤلفات الزيدية ومصادر الحبشي).
45) الفتاوى. قال الحبشي: منه نسخة –خ– سنة 832هضمن مجموع رقم (لم يذكره) مكتبة الجامع.
46) القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتنزيه. (مؤلفات الزيدية) وهو السابق رقم(19).
47) القسطاس (في علم الكلام) جزءان ذكره زبارة وقال السيد مجد الدين: في أصول الفقه مجلدان.
48) الكوكب الوقاد في أحكام الاجتهاد –خ– 106 (مجاميع) أوقاف ق 122–128، وتوجد نقول منه ضمن مجموع بمكتبة السيد المرتضى الوزير.
49) اللباب في محاسن الآداب، –خ– منه نسخةضمن مجموعة ق 169–173 مكتبة الأمبروزيانا رقم g124.
50) المحصل في كشف أسرار المفصل للزمخشري في أربعة مجلدات (إعراب، نحو، صرف) قال الحبشي: –خ– سنة 728هبمكتبة الجامع رقم 98 أدب.
51) مختصر الأنوار المضيئة في شرح الأربعين السيلقية. (الأعلام 1/للزركلي، وقال أنه موجود بإحدى المكتبات).
52) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار. قال الحبشي: فرغ من كتابتها سنة 817هبمكتبة الجامع برقم 131 (علم الكلام) مع كتاب المعالم الدينية (طبع بتحقيق محمد السيد بسيوني سنة 1972م القاهرة، أخرى –خ– بمكتبة محمد عبد العظيم مصورة، أخرى مكتبة السيد مجد الدين المؤيدي خطت سنة 893 خط نسخي ممتاز عليها قراءات كثيرة، أخرى –خ– سنة 797هبمكتبة السيد عبد الله بن محمد غمضان.
53) مشكاة الأنوار للسالكين مسالك الأبرار –خ– مجلد رقم 67 (علم الكلام)، أخرى 13 (مجاميع) 18–42 غربية جامع.
54) المعالم الدينية في العقائد الإلهية. طبع بتحقيق السيد مختار بن محمد أحمد سنة1412ه.

(62/1)

---

55) المعيار لقرائح النظار في شرح حقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد القياسية. (بدأ في تأليفه في جمادى الأولى وفرغ منه في رجب سنة 715ه) –خ– سنة766هفي 141ق رقم 1487 مكتبة الأوقاف، أخرى –خ– في عصر المؤلف أو بعده بقليل سنة 747هفي 104 صفحات بمكتبة العلامة المرتضى بن عبد الله الوزير هجرة السر، قال في أوله: هو المستولي على كتاب الحاوي في أصول الفقه والمشتمل على أسراره.
56) من كلام الإمام يحيى بن حمزة –خ– 106 (مجاميع) أوقاف وفيها (من كلامه في المنع

بالفتوى بمذهب الإمام الناصر، وفي جواب سؤال رد عليه، ومن كلامه وقد طالع كتاب التصفية للفقيه محمد بن حسن الديلمي).

57) المنهاج الجلي في شرح جمل الزجاج. في النحو -خ- رقم 45 نحو غربية وهو مجلدان.

58) نور الأبصار المنتزع من كتاب الانتصار منسوب إليه في فهرس الغربية 316 رقم 316 فقه غربية. وكذلك في مكتبة جامع شهارة نسخة كاملة.

59) النهاية في الوصول إلى علم حقائق علوم الأصول. (أصول دين) ثلاثة أجزاء (أئمة اليمن) -خ- ج1 منه بمكتبة السيد سراج الدين عدلان 538 صفحة مصورة بمكتبة محمد عبد العظيم الهادي.

60) وصايا الإمام يحيى بن حمزة إلى أولاده وزوجاته 106 (مجاميع) أوقاف 150-164.

61) وصية أورد جزءاً منها زبارة في أئمة اليمن 231-233.

62) الوعد والوعيد وما يتعلق بهما. قال الحبشي منه نسخة مخطوطة في 38 ورقة بمكتبة الجامع (الكتب المصادرة).

9- مصادر الترجمة

1) مآثر الأبرار 972/2-991.

2) اللآلئ المضيئة -خ-.

3) طبقات الزيدية الكبرى (القسم الثالث) 1224/3-1232.

4) التحف شرح الزلف 270-272 ط3 مركز بدر.

5) لوامع الأنوار 73/2-82.

6) أعلام المؤلفين الزيدية، ترجمة رقم (1193) ص1124-1131.

(63/1)

---

7) مطمح الآمال 252-.253

8) اللطائف السنية 97/1-.98

9) الجامع الوجيز -خ- حوادث سنة 669هـ، سنة 729هـ، سنة 749هـ.

10) بلوغ المرام 51.

11) تأريخ اليمن المسمى: فرجة الهموم والحزن، للواسعي 206-207.

12) الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراءه الكلامية، تأليف الدكتور أحمد محمود صبحي.

13) الأعلام للزركلي 143/8-144، ومنه البدر الطالع 331/2.

14) الجزء الأول من كتاب الانتصار للمؤلف، (مقدمة التحقيق) بقلم الأستاذ عبد الوهاب بن علي

المؤيد، والأستاذ علي بن أحمد مفضل.

وصف النسخ المعتمدة

اعتمدت بمعونة الله تعالى على نسختين من نسخ هذا الكتاب، والتي هي قليلة، بالإضافة إلى نسخة ثالثة، لكنها غير كاملة، اعتمدتها كنسخة مساعدة وذلك بالرجوع إليها فيما عساه يلتبس أو يشتبه في النسختين الرئيسيتين المعتمدتين وفيما يلي وصف هذه النسخ:

1) النسخة الأولى وهي التي رمزت لها بالرمز (أ) والكلام في وصفها بسفريها كالآتي:

(64/1)

أولاً: السفر الأول منها، توفرت لدي نسخة مصورة منه صورت على نسخة مصورة أيضاً بمكتبة السيد العلامة محمد بن عبد العظيم الهادي حفظه الله، بصعدة ولم أهتد إلى معرفة أصلها المخطوط، وعدد صفحات هذا السفر من هذه النسخة (402) أربعمائة وصفحتان بما في ذلك صفحة العنوان، وعدد أسطر الصفحة الواحدة (31) سطراً، ومقاس الصفحة 29×20سم، واسم ناسخها مجهول، وكذا تأريخ نسخها، ونوع خطها نسخي جيد جداً، لكنه لا يخلو كحال معظم المخطوطات من التحريف والتصحيف، والذي يرجع بدوره إلى سهو النساخ أو صعوبة الأم المنقول عليها، أو غير ذلك، وعلى العموم فالسهو وارد على كل إنسان، فلا يكاد يخلو منه أحد، هذا وقد أشرت إلى مواضع التحريف أو التصحيف في هذه النسخة في هوامش الكتاب.

وتتميز هذه النسخة من هذا السفر أن نص كلام أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في (نهج البلاغة) يرمز له فيها قبل إيراده بالحرف (ص) وهو يعني الأصل، حتى إذا انتهى من ذلك رمز لشرحه بالحرف (ش) وهو يعني الشرح لكن لا يعلم هل ذلك جاء من جهة المؤلف أم من جهة الناسخ أم من بعض المتأخرين اجتهاداً ليتميز الأصل عن شرحه، لكن الذي ترجح عندي أنه ليس من جهة المؤلف، وإنما من غيره؛ لأن النسخة (ب) بسفريها خلت عن مثل ذلك، بالإضافة إلى النسخة الثالثة والتي اعتمدتها كنسخة مساعدة، بالإضافة أن السفر الثاني من النسخة (أ) قد خلت هي أيضاً من ذلك، وهي نسخة قديمة الخط جداً، ولعلها إحدى النسخ التي خطت في عصر المؤلف.

الصفحة الأولى من هذا السفر هي صفحة العنوان واسم المؤلف، ففي أعلاها عنوان الكتاب ونصه: (السفر الأول من كتاب

(65/1)

الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) وتحته اسم المؤلف قال فيه: (مما ولي نظم شذوره وجمانه، وتلخيص معانيه وبيانه، وحيد زمانه وفريد أوانه، تاج العترة المكلل، وطراز المجد الرفيع الأول: الإمام المؤيد بالله أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني أيده الله).

يلي ذلك مباشرة هذه العبارة: (والحمد لله شكراً على نعمه وإفضاله، والصلاة على محمد وعلى آله وسلم تسليماً).

وتحت ذلك ستة أبيات شعرية، كل بيتين على حدة، ولم يحدد قائل كل منها، وهي بخط مختلف عن خط النسخة، قال فيها:

لله در القائل:

الصبر مفتاح كل خير .... وكل صعب به يهون

وطالما نيل باصطبار .... ما قيل هيهات لا يكون

غيره:

الصبر محمود إلى غاية .... وهذه الغاية حتى متى

ما أحسن الصبر ولكنه .... في ضمنه يذهب عمر الفتى

لله در القائل:

يا من أياديه عندي غير واحدة .... ومن مواهبه تنمو على العدد

ما نابني في زماني قط نائبة .... إلا وجدتك فيها آخذاً بيدي

ويظهر أن هذه النسخة قد انتقلت إلى عدة مالكين، ويظهر ذلك على صفحة العنوان حيث كتبت هذه التمليكات في زواياها وجوانبها، وجميع ذلك بخطوط مختلفة، ففي الزاوية اليمنى تحت اسم المؤلف تمليك لفظه:

(الحمد لله، من فضل الله والله ذو الفضل العظيم على عبده وابن عبده وابن أمته المؤتم بكتابه وسنة نبيه، المتمسك إن شاء الله بهما وبأهل بيت نبيهصلى الله عليه وآله وسلم أحمد بن محمد بن حسين الأكوع وفقه الله وغفر الله له ولوالديه وختم له ولهما بالحسنى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم).

(وهذا التمليك بغير تأريخ).

وفي الزاوية اليسرى تمليك آخر لفظه:

(الحمد لله رب العالمين، من فضل الله سبحانه والله ذو الفضل العظيم على عبده وابن عبده وابن أمته المؤتم بكتابه وسنة نبيه والمتمسك إن شاء الله بهما وبأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن أمير المؤمنين غفر الله له ولوالديه وختم له ولهما بالحسنى بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم). (وهذا أيضاً بدون تأريخ).

وتحته تمليك آخر لفظه:

(من فضل الله تعالى على عبده وابن عبده الفقير إلى عفوه ورحمته وفضله السيد أحمد بن قاسم بن محمد العياني وفقه الله، بالشراء الصحيح). (وهذا بدون تأريخ).

وبجانبه من جهة اليسار بيع للكتاب قال فيه:

(بعت هذا الكتاب المبارك من سيدنا صفي الدين أحمد بن محمد بن حسين الأكوع، بثمن قبضته مستوفى، في تأريخ شهر شوال سنة 1108هـ، الفقيه صلاح بن عبد الله الصعادي (لعله الصعدي)، وبجانب هذا البيع شهادة عليه قال فيها: شهد على بيع الفقيه صلاح الصعدي والله خير الشاهدين لهذا الكتاب إلى القاضي صفي الدين أحمد بن محمد بن حسين واستيفاء الثمن، محمد بن علي).

وفي أعلى الصفحة تمليك للسيد أحمد بن فايع قال فيه: (من مواهب (الله) في ملك السيد أحمد بن فايع). وبقية التمليك غير مفهوم لضعف الخط، وهذا التمليك مؤرخ سنة 1304هـ.

وفي الجانب الأيسر من الصفحة في أعلاها تمليك آخر قال فيه: (للعبد الفقير إلى الله حسين بن أحمد الحيمي غفر الله له وصلى الله على محمد وآله رجب) وهو مؤرخ لكنه لم يتضح التأريخ جيداً لعدم وضوح التصوير في هذا الموضع.

يليه تمليك آخر قال فيه: (أفقر عباد الله وأحوجهم إليه السيد إسماعيل فايع عفا الله عنه). بدون تأريخ.

(67/1)

يليه هذه التعليقة: (أودعت هذا الكتاب شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أدّى الأمانة وبلغ الرسالة، وأن الموت حق، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الجنة والنار حق، والحساب يوم المعاد، على هذه أحيا وعليها أموت، وعليها أبعث إن شاء الله).

وفي أسفل الصفحة ثلاث شهادات أخرى علي بيع الكتاب تركتها اختصاراً، يليها تمليك آخر مجهول التاريخ قال فيه: (من فضل الله سبحانه على عبده الفقير إلى عفوه أحمد بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن علي بن أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام المنصور بالله وفقه الله تعالى لصالح العمل بمنه وفضله).

هذا ويلي صفحة العنوان أول المخطوط من هذا السفر، قال فيه:

(بسم الرحمن الرحيم، اللهم أعن ويسر برحمتك يا أرحم الراحمين، الحمد لله الحكيم الذي أنطق لسان الإنسان فأفصح بوجوده وحقائق عرفانه، المنان الذي أوضح لنا منار البرهان، فكشف لنا عن باهر حكمته وعظيم سلطانه، القيوم الذي تضاءلت العقلاء عن الإحاطة بدقيق صنعه وإتقانه....إلخ).

وآخر المخطوط:

(وقد نجز غرضنا من شرح كلامه هذا، على ما اشتمل عليه من الأسرار والمعاني والحمد لله، ولله در نصائح أمير المؤمنين فيما بذله للخلق، وأعلاها وأحقها برضوان الله ومطابقة مراده وأولاها، فلقد نال من الله عظيم الزلفى وعلو الدرجات، وقام بما بذله في ذاته من عظيم الأجر ومضاعف الحسنات).

وكتب تحت ذلك: (الحمد لولي الحمد ومستحقه، وصلواته على خير خلقه). ويظهر أنها بخط ناسخ الكتاب.

(68/1)

وبقي في آخر صفحة منه فراغ مقدار ثلاثة أسطر كتب فيها هذا الحديث النبوي الشريف: عن أبي الدرداء، عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه))، رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات. انتهى.

ثانياً: السفر الثاني من النسخة (أ): توفرت لدي نسخة مصورة منه صورت على نسخة مصورة أيضاً، توجد بمكتبة المعهد العالي للقضاء بصنعاء، برقم (212) بتأريخ 1415/5/20هالموافق 1994/10/24م، صورت على مخطوط في ملك خزانة المدرسة العلمية بحوث، أحضرها للتصوير إلى مكتبة المعهد العالي للقضاء الأخ العلامة محمد بن عبد الله الشرعي (رئيس محكمة استئناف سيئون حالياً)، وفي أول هذه النسخة استمارة من المعهد العالي تحتوي على بيانات متعلقة بالنسخة، كرقمها في مكتبة المعهد وتأريخ تصويرها، وعنوانها واسم مؤلفها، وكاتبها، وتأريخ كتابتها، وعدد صفحاتها، ونوع خطها واسم مالكها، واسم من أحضرها للتصوير وغير ذلك من البيانات.

(69/1)

وهذا السفر من هذه النسخة عدد صفحاته (397) صفحة بما في ذلك صفحة العنوان، ومقاس الصفحة الواحدة 29×20سم، وعدد أسطر الصفحة تتفاوت ما بين 35 سطراً إلى 36 سطراً، واسم ناسخها مجهول، ونوع خطها نسخي قديم جداً، قليل التنقيط، وكثير من كلماتها متداخلة بعضها ببعض، بمعنى أن كلمة ما يتصل أولها بنهاية الكلمة التي قبلها، مما يعسر فهمها وتمييزها إلا بعد جهد مضن، وهذا أحد أهم الصعوبات التي واجهتني في التحقيق، بالإضافة إلى رداءة التصوير وعدم وضوح أطراف بعض الصفحات، ولكن النسخة (ب) والنسخة الأخرى من الكتاب كانتا بمثابة الفتح في تمييز ما أبهم من هذا السفر أو عدم وضوحه، فساعدتني هاتان النسختان على فهم ما التبس من ذلك ومعرفته.

وعناوين خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام وكتبه ووصاياه وعهوده كتبت في هذه النسخة بالخط الكبير فيسهل قراءتها بسهولة، ونص كلام أمير المؤمنين في هذه النسخة عليه علامة تميزه عن شرحه، وذلك بتلوين مكان كتابته بحبر أو مادة معينة لا تؤثر على وضوحه، فهو يبرز واضحاً جلياً من بين ذلك، وكما هو واضح من خلال النسخة هذه فلا أدري ما لون المادة المستخدمة في ذلك، فالذي بين يدي هو نسخة مصورة تصويراً عادياً.

وتتميز هذه النسخة بالدقة، والتحريف أو التصحيف لا يوجد فيها إلا على جهة القلة والندرة، وبعض الكلمات مكبرة مثل قوله: سؤال، وجوابه.

والصفحة الأولى من هذا السفر هي صفحة العنوان، وهو مكتوب بالخط الكبير ولفظه: (السفر الثاني من كتاب الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي).

وتحته اسم المؤلف فقال فيه: (للشريف الحسيني يحيى بن حمزة تجاوز الله عنه وعفا)، وتحت ذلك من الجانب الأيمن مقدار أربع كلمات لم يتضح لي مفهومها بسبب عدم وضوحها في التصوير، ثم كتب تحتها اسم المؤلف ثانياً وهو بخط كبير قال فيه: (ألفه وأنشاه وكشف غامضه وجلاه السيد الإمام الأفضل العلامة العَلَم الأطول شرف العترة جمال الأئمة عماد الدين، كعبة المسترشدين يحيى بن حمزة أطال الله بقاه، وحرس علائه).

ومن خلال هذا التعريف الثاني باسم المؤلف يتضح لنا من قوله: أطال الله بقاه، أن هذا السفر نسخ في حياة المؤلف وعلى عهده وأنه من أقدم نسخ الكتاب.

وفي أسفل صفحة العنوان عبارة بالخط الكبير في سطرين كتبت من الوسط لفظها: (الحمد لله على فضله وجوده ونعمائه، والصلاة على محمد رسوله وسيد أنبيائه وآله الطيبين).

وفي نهاية الصفحة وفي حدود ثلاثة أسطر كتبت من الوسط كتابة غير واضحة، ولم يتضح منها

سوى قوله: (هذا الكتاب) ويرجع السبب في ذلك إلى عدم وضوح التصوير، ولعل ذلك تمليك للكتاب والله أعلم.

أول هذا السفر:

(بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم عونك يا أكرم الأكرمين ولطفك، ومن خطبة له عليه السلام في الوعظ: (انتفعوا ببيان الله): بالأدلة التي نصبها وقررها، فالأدلة العقلية دالة على وجوده وتوحيده، والأدلة الشرعية دلالة على المصالح والمفاسد من دينه).

آخره:

(وكان الفراغ منه في شهر ربيع الآخر من شهور سنة ثماني عشرة وسبعمائة).

وكتب بعد ذلك عبارة بالخط الكبير والتي تبدو أنها بخط الناسخ قال فيها: (الحمد لله على كل حال من الأحوال، والصلاة على محمد وعلى آله خير عترة وآل).

(71/1)

2- النسخة (ب)وهي نسخة مصورة أيضاً على أصلها المخطوط الذي يوجد بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء، وهي نسخة كاملة بسفري الكتاب (الأول والثاني)، وحصلت عليها بعد جهد مضن، وهي نسخة جيدة جداً، وتقع في (472) ورقة أي (944) صفحة، السفر الأول منها يقع في (196) ورقة أي (392) صفحة، والسفر الثاني يقع في (278) ورقة أي (556) صفحة، وهي بخط ناسخ واحد، وهو عبد الحفيظ بن عبد الواحد بن عبد المنعم النزيلي، ونوع الخط نسخي جيد جداً، فرغ من نساخة السفر الأول ظهر يوم الجمعة الأغر ثاني وعشرين خلت من شهر رمضان سنة 1071هـ، وفرغ من نساخة السفر الثاني ضحى يوم الإثنين المبارك ثامن شهر ربيع الأول سنة 1072هـ.

ومقاس صفحات هذه النسخة: 20×17سم، وعدد أسطر الصفحة الواحدة تتفاوت من (29) إلى (30) إلى (31) سطراً، والغالب (31) سطراً.

وتتميز هذه النسخة أن جميع صفحاتها مسطرة من جميع الجوانب كما احتوت على كثير من الهوامش بين السطور أو على جوانب الصفحات والتي غالبيتها تتحدث عن الفروق بين النسخ سواء كانت نسخاً من الكتاب أم من متن النهج، وقد أثبتُّ ذلك في هوامش الكتاب.

كما تتميز هذه النسخة بنوع خطها فهو كما أشرت إليه جيد جداً، وهو واضح ومنقوط يسهل قراءته وقليلاً ما يوجد فيها تحريف أو تصحيف، وعناوين خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام وكتبه وعهوده ووصاياه مكبرة بالخط الكبير، وكذا بعض الكلمات مثل: سؤال، وجوابه، أو والجواب، وهكذا، وكلام أمير المؤمنين علي عليه السلام الوارد في كتاب نهج البلاغة مكتوب بالمداد الأحمر، والشرح بالمداد الأسود، عرفت ذلك من خلال وقوفي على أصلها المخطوط.

احتوت الورقة الأولى من السفر الأول على العنوان، وذلك في صفحة واحدة منها قال فيه: (كتاب الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي).

(72/1)

تحت ذلك مباشرة اسم المؤلف قال فيه: (نظم شذوره وجمانه وتلخيص معانيه وبيانه، وحيد زمانه وفريد أوانه، تاج العترة المكلل وطراز المجد الرفيع الأول: الإمام المؤيد بالله أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني أيده الله).

وتحته كتب: (بخزانة سيدنا القاضي العلامة فخر الأمة صلاح بن عبد الله الحيي حفظه الله ومتع بحياته. آمين).

وعلى هذه الصفحة عدد من التمليكات، فعلى الزاوية اليسرى من تحت العنوان والمؤلف تمليك لفظه: (هذا الكتاب ملك الوالد الحاج العزي محمد بن أحمد بن علي العرجبي أطال الله بقاه بالبيع الصحيح بتأريخه شهر محرم سنة1300هـ).

يليه تمليك آخر وبخط مختلف عن التمليك الأول قال فيه: (الحمد لله، ملكه من فضل الله عليه محمد بن علي العزاني غفر الله له في شهر الحجة سنة1245هـ).

يلي ذلك مباشرة بخط مختلف عن سابقه قوله: (ثم صار بالميراث إلى ولده عبد الله بن محمد بن علي العزاني، ألحقه الله بأبيه صالحاً مسلماً وأحسن ختامه، وجعل ما بقي من أيامه بالمشي على نهج أبيه عالماً أو متعلماً شهر شعبان سنة1264هـ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه).

وبجانب ذلك التمليك بخط أكبر من سابقه تمليك آخر لفظه: (الحمد لله وحده، صار هذا الكتاب العظيم من فضل الله العلي الكريم ملكي بالشراء بواسطة علي دخان المنادي بالكتب بثمن واف مسلَّم إليه، والحمد لله رب العالمين، محب محمد وآله صلى الله وسلم عليهم يحيى بن صالح بن يحيى السحولي عفا الله عنهم) وهذا التمليك مجهول التأريخ.

(73/1)

وفي أسفل هذه الصفحة أيضاً تمليك آخر قال فيه: (الحمد لله، ثم صار بحمد الله سبحانه في نوبة الحقير إلى مولاه العلي الكبير، محمد بن يحيى مداعس وفقه الله تعالى، بطريق الشراء الصحيح بتأريخه ربيع الآخر سنة1334هفلله الحمد وسبحان الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم).

وفي الجانب الأيسر من هذه الصفحة أربعة تمليكات أخرى قال فيها على التوالي:

1- الحمد لله انتقل إلى ملك الفقير (الحقير) إلى ربه العلي محمد بن أحمد بن عبد السلام النزيلي بالوجه الصحيح الشرعي، والحمد لله رب العالمين. (وهذا التمليك بدون تأريخ).
2) من فضل الله على عبد الله بن محسن بن أمير المؤمنين بن المؤيد بالله غفر الله له ولوالديه بتأريخ ربيع الآخر 1140هـ.
3- صار من كتب الفقير إلى الله الغني أحمد بن عبد الرحمن موسى. (وهذا بدون تأريخ).
4- أفقر العباد إلى رحمة الله السيد إسماعيل بن محمد فايع عفا الله عنه. (وهذا أيضاً بدون تأريخ).
وفي أعلى الصفحة أيضاً تمليك آخر لفظه:
(الحمد لله رب العالمين، من خزانة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين أطال الله مدته، ذي القعدة الحرام سنة1353هـ).
وفي أول صفحة من المخطوط وهي بدايته والتي تلت صفحة العنوان، على الجانب الأيمن منها وقفية للكتاب من الإمام يحيى حميد الدين وهي بخط ممتاز قال فيها:

(74/1)

(الحمد لله من وقف مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين طول الله عمره، على مكتبة الجامع المقدس، من جملة الكتب الموقوفة هنالك بنظر الحافظ وعلى الشروط المحررة بالقلم الشريف في غرة السجل العام الموجود بيد الحافظ وصورته لدى ناظر أوقاف صنعاء، وقفاً صحيحاً شرعياً نافذاً من حينه، تقبل الله منه وجزاه خيراً، وحرر بتأريخه شهر ربيع الثاني سنة 1360هـ).
أول السفر الأول:
(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الحكيم الذي أنطق لسان الإنسان فأفصح بوجوده وحقائق عرفانه، المنان الذي أوضح لنا منار البرهان، فكشف لنا عن باهر حكمته وعظيم سلطانه، القيوم الذي تضاءلت عقول العقلاء عن الإحاطة بدقيق صنعه وإتقانه).
آخره:
(وقد نجز غرضنا من شرح كلامه هذا على ما اشتمل عليه من الأسرار والمعاني، والحمد لله، ولله در نصائح أمير المؤمنين فيما بذله للخلق، وأعلاها وأحقها برضوان الله وبمطابقة مراده وأولاها، فلقد نال من الله عظيم الزلفة وعلو الدرجات، وقام بما بذله في ذاته من عظيم الأجر، ومضاعفة الحسنات).
وقال الناسخ بعد ذلك ما لفظه:

(75/1)

(تم السفر الأول من كتاب الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً على تمامه وكتبه، والله المسئول أن ينفع به المؤمنين، وأن يأجر من أنشأه وجبر ينابيعه للناهلين، وأن يجعله يوم القيامة له نوراً، وأن يغفر لنا وله ولجميع المسلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وآله الميامين وصحابته أجمعين. فرغ من رقم هذه النسخة الضنينة الجليلة الثمينة، الجديرة بأن تشرى بالمهج، فضلاً عن العرض الأحج، وأن يظن بها عن الحبيب ولا حرج، ظهر يوم الجمعة الأغر ثاني وعشرين خلت من الشهر الأشهر، ذي الفضل الأجزل الأكبر، شهر رمضان المعظم من عام إحدى وسبعين وألف، سنة (1071هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، ما رقم حرف بالأقلام، بخزانة سيدنا القاضي الأعلم الأوحد الأمجد الأكرم، علي الهمة، فخر (كلمة غير مفهومة) ذي السؤدد الذي لا يضاهى، والفخر الذي لا يتناهى، والعناية التامة، والهمة السامية، تشييد أركان الوراثة النبوية وتأبيد بناها، من لا يضبط محامده القلم ولا بعضها، ولا يسامي سماها، ضياء الدين صلاح بن عبد الله الحيي أحيا الله ذاته وحياها، وبلغه من الآمال منتهاها، وحرس مهجته وأطال بقاها، وغمر ببركته وعلومه وسناها، على مر الدهور ومداها، بيد العبد الفقير المعترف بالتقصير عبد الحفيظ بن عبد الواحد بن عبد المنعم النزيلي تولاه الله وبلغه من الآمال أقصاها). انتهى.

وكتب في آخر هذه الصفحة ما لفظه:

(76/1)

(بلغ مقابلة وتصحيحاً على الأم المنسوخ عليها بحسب الطاقة والإمكان والاعتناء التام وإن كان في الأم بعض سقم والأغلب الصحة، وقل من ينجو من الخطأ والزلل إلا كتاب الله عزَّ وجلّ، بتأريخ نهار الإثنين سادس عشر شهر شوال سنة 1071هـ، بخط مالكه الفقير الحقير صلاح بن عبد الله الحيي).

ومن الورقة (197) بدأ السفر الثاني من الكتاب، احتوت الورقة (197) على العنوان، واسم المؤلف كتبها داخل دائرة منقوشة جميلة الشكل، فقال:

(السفر الثاني من كتاب الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي).

يليه اسم المؤلف فقال فيه: (ألفه وأنشأه وكشف غامضه وجلاه السيد الإمام الأفضل، العَلَم العلامة الأطول، شرف العترة، وجمال الأسرة، عماد الدين، كعبة المسترشدين، منهل شرب الصادين، وحيد

زمانه وفريد أوانه، الإمام المؤيد بالله أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني قدس الله روحه الطاهرة في الجنة، وأعاد من بركاته لوليه).
وكتب تحت ذلك داخل دائرة أيضاً جميلة الشكل وأصغر من سابقتها وبخط جميل قوله:
(بخزانة سيدنا القاضي العلامة خدن وحور عين الكتب، المملق لما فيها شوق وحب، ذروة الكمال وعين أعيان أهله، الفخر الذي لا ينال، وواسطة عقد اللآل، ضياء الدين صلاح بن عبد الله الحيي، أحيا الله بطول بقاه كل إحياء، وجمع له خيري الآخرة والدنيا، وأحسن له الآخرة).
أول السفر الثاني من هذه النسخة:
(بسم الله الرحمن الرحيم، ومن خطبة له عليه السلام في الوعظ، (انتفعوا ببيان الله): بالأدلة التي نصبها وقررها، فالأدلة العقلية دالة على وجوده وتوحيده، والأدلة الشرعية دالة على المصالح والمفاسد من دينه ...إلخ).

(77/1)

آخره:(وكان الفراغ منه في شهر ربيع الآخر من شهور سنة ثماني عشرة وسبعمائة، تم كلام الإمام المؤيد عليه السلام، عظم الله أجره وشكر سعيه. اتفق الفراغ من زبر هذه النسخة الكريمة التي هي للمثل عديمة، البالغة في الرشاقة والعناية والرواقة الغاية، الوحيدة النسخ، العديمة المثل، الموصوفة بالنهاية التي لا يحاط بمحاسنها ذاتاً واسماً ومعنى، ويعيي ذلك أتم نعتها بما ذكره ليعرف قدرها ويضن بها عن الابتذال والسماحة، ولو كان فيه أعظم مطلب وإنجاحه، ضحى يوم الإثنين المبارك من يوم في شهر ربيع الأول من شهور عام اثنين وسبعين وألف عام من هجرة نبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، أبرزها كريم السعاية وعظيم العناية والإيثار لها على سائر ضروريات اللوازم التي لا بد منها، واشتداد الرغبة وجعلها أعظم طلبة لا غنى عنها، من مالكها سيدنا القاضي العلامة الذي لم يدع فخراً إلا قصده وأمّه، واستولى عليه وزمّه، ولا علواً إلا احتمل في بلوغه إليه كل أزمة حتى يبلغ منه مرامه، ففاق أهل الآفاق، وراق تعبه في الأوراق،

(78/1)

ولم يحص القلم بعض محاسنه الرشاق: صلاح بن عبد الله الحيي، بلغه الله من فضله ما يرجى ومتع المسلمين بطول مدته وبقاء وجهه الوضي وتقبل منه ذلك السعي الحميد والوصل المديد وجازاه عليه بالفضل الثري ليس عليه مزيد وجعله خالصاً لوجهه الكريم مقربا لنا وله من جنات النعيم

وتشرف برقم الكتاب الجليل والسفر الجميل ذكرى بالدعاء الصالح من مالكه والناظر فيه الفقير إلى كرم مولاه القدير عبد الحفيظ بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن بن الحسين النزيلي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين سائلاً الدعاء بحسن الخاتمة والتوفيق إلى ما يرضي الله سبحانه والعصمة عن
معاصيه، ورضوانه الأكبر، وبلوغ الأمل والوطر في الدنيا والآخرة، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كلما كتب بكتب حرف وكلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون أبداً مضاعفاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين).
وقال في آخر صفحة منه:
(الحمد لله، بلغ مقابلة وتصحيحاً على حسب الطاقة والإمكان على نسختين لم يكن فيهما قوة الصحة، ولكن فقد أفادت كل واحدة ما لم تفد الأخرى، فلله الحمد كثيراً بكرة وأصيلاً، في الليلة المسفر فيها صبح الخميس يوم 25 شهر جمادى الأولى سنة 1073هبمحروس المحويت، ولله الحمد كثيراً بكرةً وأصيلاً، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمه ويفتح علينا بالعمل بمقتضيات كلام أمير المؤمنين وحكمه، بحق محمد وآله، كتب مالكه الفقير صلاح بن عبد الله الحيي لطف الله به).
وفي جانب آخر صفحة منه كتب: (الحمد لله فرغ من قراءته عبد الله الفقير إليه في أوقات أخرى ضحوة يوم الجمعة 23جمادى الآخرة سنة 1286هـ). ولم أعرف اسم كاتب هذه العبارة لأنه مطموس عليه.

(79/1)

3- النسخة الثالثة وهي نسخة مساعدة وهي نسخة مصورة أيضاً وقد أفادتني كثيراً، وهي نسخة غير كاملة ومتبور من أولها عدد كثير من الصفحات وكذا من آخرها بالإضافة إلى عدم الدقة في ترتيب صفحاتها عند التصوير، وهي متنوعة الخطوط بقلم أكثر من ناسخ، فجاءت خطوطها متفاوتة بين ضعيف وجيد، وعناوين خطب أمير المؤمنين وكتبه وعهوده ووصاياه مكتوبة بالخط الكبير، وناسخها مجهول، وتأريخ النسخ للسفر الأول سنة949هـ، وقال في آخر السفر الأول منها: وقد نجز غرضنا من شرح كلامه هذا على ما اشتمل عليه من الأسرار والمعاني والحمد لله، ولله در نصائح أمير المؤمنين فيما بذله للخلق وأعلاها، وأحقها برضوان الله ومطابقة مراده وأولاها، فلقد نال من الله عظيم الزلفة وعلو الدرجات وفاز بما بذله في ذاته من عظيم الأجر ومضاعفة الحسنات).
وقال الناسخ بعد هذا: (تم السفر الأول من كتاب الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي في العشر الأواخر من جمادى الأولى من سنة تسع وأربعين وتسعمائة، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل).

(80/1)

عملي في التحقيق

1- قمت بمقابلة المصفوفة على النسخة التي تم عليها الصف وهي النسخة التي رمزت لها بالحرف (أ) وذلك لضبط النص وتصحيحه وتقويمه، ثم بعد الانتهاء من مقابلة المصفوف على النسخة (أ) قمت بمقابلته ثانية على نسخة أخرى من الكتاب وهي التي رمزت لها بالحرف(ب)، وفي خلال ذلك استعنت بنسخة ثالثة للمخطوط، وذلك بالرجوع إليها فيما اشتبه والتبس في النسختين، وأثبت الفروق بين النسخ وأشرت إلى ذلك في هوامش الكتاب، وفي حال وجود كلمة أدق وأوضح في النسخة (ب) أو في النسخة الثالثة أدرجت ذلك ضمن نص الكتاب وأشرت إلى ذلك في الهامش بجعل الكلمة الواردة في (أ) فيه مع توضيح السبب في ذلك مهما أمكن.

2- قسمت النص إلى فقرات، والفقرات إلى جمل، واستخدمت في ذلك علامات الترقيم المتعارف عليها.

3- خرجت أغلب ومعظم الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب وهي كثيرة جداً، خرجت ذلك مهما أمكن وفي حدود المراجع التي بين يدي، واعتمدت في تخريج بعضها على الكمبيوتر.

4- قارنت كثيراً من نصوص كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام الواردة في الكتاب مع كتاب نهج البلاغة المطبوع، وأشرت إلى مواضع الفروق والاختلافات في الهامش.

5- قمت بتفسير الكثير من الكلمات اللغوية واعتمدت في ذلك على قواميس اللغة المشهورة والمتوفرة لدي.

6- ترجمت لكثير من الأعلام الواردة أسمائهم في الكتاب، وتركت كثيراً من المشاهير منهم لشهرتهم، وذكرت المصدر في كل ترجمة.

(81/1)

7- وثقت الكثير من الشواهد الشعرية اللغوية الواردة في الكتاب في الهامش، وذلك بذكر اسم الكتاب الوارد فيه كل شاهد على حدة، وذكر اسم قائله إن وجد، ولم يذكره المؤلف، أو روي لقائل آخر، وذكر شرحه من المصدر المذكور فيه مهما أمكن.

8- بحثت عن الكثير من الروايات التأريخية وغيرها التي ذكرها المؤلف، والتي لم يعزوها إلى مصدرها، فما وجدته من ذلك ذكرته في الهامش وذلك بذكر المصدر وغير ذلك مما يستلزم التوضيح.

9- رجعت فيما أمكنني إلى المصادر التي بين يدي والتي ذكرها المؤلف ورجع إليها وأشرت إلى ذلك في الهامش.

10- رقمت خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام أو ما يجري مجراها المذكورة في الكتاب وكذلك الكتب والرسائل والحكم القصيرة، ترقيماً متسلسلاً لتمييز كل خطبة أو كتاب أو حكمة قصيرة على حدة.

11- أثبت في النص بعض عناوين الخطب التي لم ترد عناوينها في الكتاب، ووردت في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، أو في كتاب نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده، أو أي كتاب لنهج البلاغة مطبوع تمكنت من مطالعته، وجعلت ذلك بين معقوفين وأشرت إليه في الهامش.

12- علقت في الهامش على بعض نصوص الكتاب وتوضيحها، وذكر بعض الفوائد المتعلقة بها، بغية إمتاع القارئ وخدمة للنص وطلباً للمزيد من الفائدة، وإبانة ما عساه يلتبس أو يشتبه، واعتمدت في ذلك على أقوال العلماء والباحثين.

13- جعلت نص كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام بين قوسين وميز النص بينهما بالقلم الكبير.

(82/1)

كلمة شكر

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من مدّ لي يد العون والمساعدة في تحقيقي لهذا الكتاب الجليل وأخص بالذكر أستاذي العلامة المؤرخ المحقق الأديب الأستاذ الفاضل/ عبد السلام بن عباس الوجيه الذي قام معي بدور كبير في سبيل إنجاح هذا العمل وإخراجه ليرى النور، فأمدني بالمصادر والمراجع العديدة من مكتبته الخاصة في الحديث واللغة والتأريخ والتراجم، والتي رجعت إليها في جميع مراحل الكتاب فأفادتني كثيراً. كما أنه حفظه الله قد بذل معي جهداً كبيراً، فتفضل بمراجعة الكتاب وقراءته قبل طباعته وإخراجه الإخراج النهائي، وأتحفني بملاحظاته الموضوعية والمنهجية ولفت انتباهي إلى معلومات وتوضيحات وتصويبات واستدراكات لم تكن في الحسبان، وعلى العموم فإنني لا أستطيع أن أفيه بحقه، ولكني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يكتب له عمله ذلك في صحيفة حسناته، إنه سميع مجيب الدعاء.

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لأخي الشقيق الأستاذ الفاضل/محمد بن قاسم بن محمد المتوكل الذي بدوره بذل معي جهوداً كبيرة في مقابلة النسخ ومتابعة التصحيحات، وكذلك أخي النبيل الأستاذ الفاضل/ أحمد بن محمد بن عباس إسحاق، والذي قام بدور كبير تمثل في توفير النسخ الخطية المصورة من الكتاب، وبذل جهداً قبل إخراج الكتاب الإخراج النهائي، وذلك بقراءته

ومتابعة عمليتي التنسيق والإخراج، وأشكر كثيراً الأخ الأستاذ عبد الحفيظ النهاري على جهوده الكبيرة في الإشراف على إخراج الكتاب وكذلك أخي الطباع/ خالد الزيلعي والذي قام بطباعة الكتاب، وكان متميزاً في جميع مراحله بالدقة والإجادة.

(83/1)

كما لا يفوتني هنا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الكبير والتقدير والاحترام للأخوة القائمين على مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، أولئك الجنود الأوفياء الذين يبذلون كل ما في وسعهم من وقت وجهد ومال في سبيل إنجاز مثل هذه الأعمال في طباعة كتب التراث الإسلامي في اليمن وإخراجه إلى النور، والذي لا يزال معظمه في عداد المخطوطات، وقابعاً في أدراج المكتبات الخاصة والعامة، فإلى جميع أولئك وإلى من عداهم ممن ساعدني في هذا العمل أبعث إليهم جميعاً ومرة أخرى أسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير والاحترام سائلاً الله العلي القدير أن يكتب لهم ولي بكل حرف حسنة، وأن يجعل ذلك من أفضل ما يصعد إليه من العمل الصالح، وأن ينفع به الإسلام وأهله إنه ولي ذلك والقادر على ما هنالك.

وختاماً أسأل الله العلي العظيم أن يجعل عنائي في تحقيق هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعتق رقبتي ورقاب والدي وجميع المؤمنين والمؤمنات من النار وأن يعز الإسلام وأهله، ويذل الشرك وحزبه، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وحسبنا الله وحده، وصلوات الله وسلامه على سيدنا وحبيبنا ومولانا ونبينا محمد بن عبد الله وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

خالد بن قاسم بن محمد المتوكل

صنعاء بتأريخه 29/ ربيع الثاني/ 1424هـ

الموافق 2003/6/29م

(84/1)

بسم الله الرحمن الرحيم

[اللَّهُمَّ، أعن ويسِّر برحمتك يا أرحم الراحمين](1)

---

(1) سقط من (ب).

(85/1)

الحمد لله الحكيم الذي أنطق لسان الإنسان فأفصح بوجوده، وحقائق عرفانه، المنان الذي أوضح لنا منار البرهان، فكشف لنا عن باهر حكمته، وعظيم سلطانه، القيوم الذي تضاءلت [عقول](1) العقلاء عن الإحاطة بدقيق صنعه وإتقانه، وتلاشت أحلام ذوي النهى عن إدراك حكمته، ومعرفة حقيقة شأنه، وكلّت ألسنة الفصحاء عن ضبط عوارفه وحصر مزيد إحسانه، المتعالي الذي قصَّ قوادم أجنحة الفكر عن التحليق إلى تعريف ذاته، وأحسر جياد أبصار ذوي البصائر عن التطلع إلى حقيقة صفاته، فسبحان من استغنى عن غيره في إحكام ما أبدع من المكونات وإثباته.
والصلاة على المنتجب من طينة العنصر الأطيب الراسخ، والمصطفى من سلالة المجد الأقدم الشامخ، مجد رسخ أصله فاستقر وأعرق، وعلا فرعه فطال وبسق، وطابت مغارسه فا خضر وأونق، وصفت مشاربه فأثمر وأورق، وعلى صنوه الأعظم، وطوده المكرم، المشتق من طينته، والمشارك له في أصله وأرومته، مستودع الأسرار النبوية، ومستند(2) الحكم الدينية والدنيوية، وعلى آله الطيبين الهادين إلى منارات الدين وأعلامه، والموضحين لشرائعه وأحكامه، ما صدع فجر وأنار، وأظلم ليل وأسفر نهار.

---

(1) زيادة في (ب).
(2) في (ب) ومستند الأحكام: الحكم الدينية و...إلخ.

(86/1)

أما بعد: فإني جردت همتي، وشحذت غرار(1) عزيمتي، في هذا الإملاء بعد استخارة ذي الطول، والاستعانة بمن له القوة والحول، إلى إيضاح ما وقع في كلام أمير المؤمنين من تفسير ألفاظه الغريبة، وإظهار معانيه اللطيفة العجيبة، وبيان أمثاله الدقيقة، ولطائف معانيه الرشيقة، وغير ذلك مما يشتمل عليه كلامه عليه السلام، إذ كان كلامه قد رقى إلى غايتي الفصاحة في لفظه، والبلاغة في معناه، إذ هو منشأ البلاغة ومولدها، ومشرع الفصاحة وموردها، وعليه كان تعويل أربابها، وضالة طلابها، فلا واد من أودية الفصاحة إلا وقد ضرب فيه بحظ وافر ونصيب، ولا أسلوب من أساليب البلاغة إلا وله فيه القدح المعلا، والتوءم والرقيب(2)، وهذا مع اعترافي بكلول الجد عن بلوغ ذلك الحد في شرح مشكلاته، وإقراري بقصور باعي، وضيق رباعي(3) عن كشف معضلاته، لكن ليس الغرض المعتمد أن أستولي على ذلك الأمد، ولا الغرض الأقصى هو الإحراز والإحصاء، ولقد

صدق من قال: ومتى تبلغ الكثير من الفضل إذا كنت تاركاً لأقله.

---

(1) الغرار: حد الرمح والسيف والسهم (لسان العرب 973/2).
(2) التؤم: هو منزل الجوزاء، ويطلق أيضاً على سهم من سهام الميسر أو ثانيها، والرقيب: الحارس وهو أيضاً نجم من نجوم المطر يراقب نجماً آخر، ويطلق أيضاً على الثالث من قداح الميسر وعلى أمين أصحاب الميسر أيضاً (انظر القاموس المحيط صـ 1398، ص116).
(3) رِبَاعة الرجل: شأنه وحاله التي هو رابع عليها أي ثابت مقيم (نهاية ابن الأثير 189/2).

(87/1)

مع أني عند شروعي في هذا الإملاء خيل لي أن المرام خطب عسير فجعلت أخطو خطو البطيء المتثاقل، وأنهض نهوض الحسير المتكاسل، لاشتماله على الأسرار الجمة الدثرة(1)، واحتوائه على النكت الغزيرة المتكاثرة، وهو البحر الذي لا يساجل(2)، والجمُّ الذي لا يحافل(3).
وقلت في نفسي: كيف أرد مشرعاً ضنك الموارد، صعب المقاصد، يكاد تتضاءل فيه الأحلام، ويضيق فيه المطلب، ويصعب المرام، فشجعت جَنَانِي(4)، واستحضرت فكرتي، وصقلت لساني، واثقاً بما عند الله لي من الإمداد بالألطاف الخفية، والإعانة بالتوفيقات المصالحية، وكان فيه غرضان:
أحدهما: الإبانة عن عظيم قدر أمير المؤمنين حيث كان سابقاً لمن تقدمه، وفائتاً لمن تأخر عنه، فعلى مثاله حذا كل خطيب مصقع، وعلى منواله نسج كل واعظ أروع.

---

(1) الدثرة: الكثيرة، مال دثر أي كثير.
(2) لا يساجل بالجيم أي لايكاثر، أصله من النزع بالسجل وهو الدلو المليء.
(3) الجمُّ: الكثير، ولا يحافل: أي لا يفاخر بالكثرة، أصله من الحفل وهو الامتلاء، والمحافلة: المفاخرة بالامتلاء، ضرع حافل أي ممتلئ(انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 46/1)
(4) الجَنان بالفتح: القلب.

(88/1)

وثانيهما: ما يكون في ذلك من مذخور الأجر(1) من الانتفاع بالزواجر الوعظية(2)، والحكم الأدبية، والحجج القاطعة، والبراهين النافعة، وجواهر اللغة العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، بحيث لايلقى مجتمعاً في كلام من جميع السلف الأولين، ولا متسقاً في نظام من الخلف الآخرين، خاصة في علوم التوحيد والحكمة وتنزيه الله تعالى عن مشابهة(3) الممكنات، وذكر المعاد الأخروي، بل إنما يؤثر عنهم القليل النادر والشاذ الشارد.

إذ كان كلامه عليه السلام عليه مَسْحة(4) من الكلام(5) المعجز السماوي، وفيه عبقه(6) من رائحة الكلام النبوي، فلما سبكته نيارالفكرة في بوتق التحقيق، وصار ذهباً خالصاً يموج في قالب أنيق، سميته بكتاب: (

---

(1) في (ب): الآخرة.

(2) في (ب): الواعظية، ولعله سهو من الناسخ.

(3) في (ب): مشابهات.

(4) يقولون: على فلان مسحة من جمال –أي علامة أو أثر– وكأنه يريد هاهنا ضوءاً وصقالاً. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد1/45).

(5) في (أ): كلام، وما أثبته من (ب).

(6) العبقة: الرائحة.

(89/1)

الديباج الوضي، في الكشف عن أسرار كلام الوصي)، ليكون اسمه موافقاً لمسماه، ولفظه مطابقاً لمعناه، حيث كانت(1) العلوم درراً وهو تاجها، وحللاً وهو ديباجها.

وأنا أسأل الله بجوده الذي هو غاية كل طالب وسائل، وكرمه الذي هو نهاية كل مطلوب ونائل، أن يوفق سعيي لما يرضيه، ويعينني على ما أقصده من ذلك وأبغيه، ويجعله [لوجهه] (2) خالصاً، ونعم المسئول.

(قال الشريف المؤلف رضي الله عنه): واعلم أنَّا قبل الخوض في كشف الغطاء عن لطائف كلامه وإظهار الأسرار منه، نذكر مقدمة مشتملة على تقريرات ثلاثة تكون تمهيداً لما نريد ذكره من بعده بمعونة الله.

التقرير الأول

في بيان الكتاب الذي كان هذا الإملاء شرحاً له.

وهو كتاب: (نهج البلاغة) الذي ألفه السيد الإمام ذو الحسبين، أبو أحمد الحسين بن موسى الحسيني(3)

---

(1) في (أ): كان.

(2) سقط من (ب).

(3) في (ب): أبو أحمد بن موسى الحسيني، وفي (ب) أيضاً حاشية، لفظها: في كتاب الحدائق للفقيه حميد الشهيد رحمه الله، هو: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. تمت._... _قلت: وما ذكره في الحدائق هو الصحيح، وكما ذكره في الحدائق هو كذلك في شرح النهج لابن أبي الحديد (31/1) والشريف الرضي ولد سنة 359هـ، وتوفي في المحرم سنة 404هـ، وكان رحمه الله عالماً أديباً وشاعراً مفلقاً، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، وكان عفيفاً شريف النفس، عالي الهمة، ملتزماً بالدين وقوانينه، وحفظ القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدة يسيرة(انظر ترجمته الموسعة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (41.31/1).

(90/1)

. وهو ما حدثني به شيخي(1) سماعاً عليه بقراءته نفسه، عن شيوخه يبلغ بذلك إلى المصنف المذكور، وهو: كتاب بالغ في فنه، يحتوي على المختار من كلام أميرالمؤمنين، ويتضمن من عجائب(2) البلاغة، وغريب الفصاحة ما لا يكاد يوجد في غيره من الكتب؛ لاشتماله على معاقده ومناظمه، واستيلائه على مقاصده وتراجمه، وإن وجد كلام لأميرالمؤمنين في غيره فإنما هو على جهة الندرة، ومؤلف(3) هذا له فضل باهر وعلم واسع، وهو من فضلاء الإمامية والمشار إليه منهم.

---

(1) هو: القاضي عفيف الدين سليمان بن أحمد الألهاني من أعلام القرن السابع، سمع على الشيخ أحمد بن أبي الخير الشماحي (سنن أبي داود)، وعلى الإمام يحيى بن محمد السراجي (سيرة ابن هشام)، وعلى السيد العالم عامر بن زيد العباسي العلوي (أمالي السيد أبي طالب)، وسمع عليه (نهج البلاغة) وسمع عليه جميع ذلك الإمام يحيى بن حمزة (طبقات الزيدية الكبرى – القسم الثالث 476/1- 477).

(2) في (ب): عجيب.

(3) في (ب): ومؤلفه.

(91/1)

وحكى الحاكم أبو سعد(1) أنه كان زيدي المذهب يرى رأي الزيدية، وله تقدم سابق في العلوم الأدبية، واطلاع على علوم البلاغة، وإحاطة بعلوم البيان، ومن اطلع على نبذ من كلامه عرف مصداق هذه المقالة، ولم أظفر بشيء من مصنفاته سوى هذا الكتاب.

---

(1) هو الحاكم الجشمي، المحسن بن محمد بن كرامة، ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام (413-494هـ)، أحد أعلام الفكر الإسلامي وأئمة الكلام والتفسير، أصولي، معتزلي، زيدي، قرأ بنيسابور وغيرها، وهو من شيوخ العلامة الزمخشري بواسطة أبي مضر، ووفد إلى اليمن، قالوا: كان حنفي المذهب عدلي الاعتقاد، ثم رجع إلى مذهب الزيدية الشيعة، وله مؤلفات كثيرة منها: (التهذيب في التفسير) في ثمانية مجلدات ضخمة، ومنها: (جلاء الأبصار)، ومنها: (السفينة) وغيرها، (انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص819-823).

(92/1)

فأما (المجازات النبوية) فإنما هي للسيد الإمام صدرالدين علي بن ناصر الحسيني(1).
ومن اطلع عليها أيضاً عرف مكانه في الفضل، ومنزلته في الفصاحة، واطلاعه على العلوم العقلية والمباحث الأدبية، وقد قيل(2) في (نهج البلاغة) سموط من الأبيات الشعرية مما يدل علىفضله واستحقاق المدح بما هو من أهله.
السمط الأول: للسيد الإمام علي بن ناصر الحسيني قال:
لله دَرُّكَ يَا نَهْجَ البَلاغةِ مِن .... نَهْجٍ نَجَا من مَهَاوِي الْجَهْلِ سَالِكُهُ
أُوْدِعْتَ زَهْر نُجومٍ ضلَّ مُنْكِرُهَا .... وَحَادَ عَن جُدَدٍ(3) غَيًّا مَسَالِكُهُ

---

(1) قال في (الجواهر المضيئة في معرفة رجال الحديث عند الزيدية): علي بن ناصر الدين الحسيني، معاصر الشريف المرتضى، مؤلف (أعلام الرواية على نهج البلاغة)، يروي نهج البلاغة عن (بياض في الأصل) وعنه رواها ومؤلفه أحمد بن أحمد أو زيد بن أحمد البيهقي، وكذلك فيروز شاه، سمع كتابه (أعلام الرواية) في الجيل، وفي (النامس) لأغا بزرك: علي بن ناصر المعاصر للشريف الرضي، وهو أول من شرح (نهج البلاغة) وسمى شرحه (بأعلام نهج البلاغة) وله مؤلفات منها: أعلام نهج البلاغة -خ -، ورسالة في تقرير دلائل الجواب على المرجئة نشرها يحيى بن

الحسين في المستطاب، وقال: نسب إليه الإمام يحيى بن حمزة كتاب (المعالم على نهج البلاغة)، وذكر أنه اثنا عشري (أعلام المؤلفين الزيدية ص725-726)، وقد طبعت المجازات النبوية منسوبة إلى الشريف المرتضى.

(2) في (ب): قيد.

(3) الجُدَدُ جمع جُدّة بالضم وهي: الطريقة.

(93/1)

لأَنْ َت درٌّ وَيَا لله نَاظمُهُ .... وَأنتَ نَضرٌ (1) وَيَا لله سَابكُهُ(2)

السمط الثاني: ما قاله بعض المتوالين:

نهجُ البلاغة نهجٌ مَهْيَعٌ(3) جُدَدٌ .... لِمَن يُريدُ علواً مَا لهُ أمدُ

يا عادلاًعنه تَبْغِيْ بالهوى رَشَداً .... اعدل إليه ففيه الخيرَ والرَّشَدُ

والله والله إنّ التاركِيهِ عَموا .... عن شافياتٍ(4) عِظَاتٍ كُلها سَدَدُ(5)

كأنها الْعِقْدُ منظوماً جواهرها .... صلّى على ناظمنَّها(6) ربُّنَا الصَّمَدُ

ما حالهم دونها إن كنتَ تُنْصفني .... إلا الْعَنُودُ وإلا البغيُ والْحَسَدُ

السمط الثالث: ما قاله بعضهم:

نهجُ الْبَلاَغَةِ رَوْضٌ زَهْرُهُ دُرَرٌ .... كُلُّ البلاغة تمّت فيه وانتظمتْ

من يسلكُ النهج لا يبقى له إربٌ(7) .... إلا(8)العلوم وإن جلّتْ وإن عَظُمَتْ

لِلَّهِ درُّ أميرِ المؤمنين لقد .... علت بِمَوضُوعه العلياءُ ثم سمتْ

من حاد عنه فقد مالت بصيرتهُ .... عَنِ الرشادِ وحِيْلَتْ(9) دُونهُ وعمتْ وعمت

التقرير الثاني

في بيان المنهج الذي سلكته في شرحي لهذا الكتاب.

واعلم أني قد سلكت فيه [أحد](10) مسلكين:

المسلك الأول:

---

(1) النَّضر بوزن النَّصر: الذهب.

(2) أبيات السيد علي بن ناصر الحسيني هي في كتابه (أعلام نهج البلاغة) -خ- صد.

(3) طريقٌ مَهْيَعٌ: أي بيِّن.

(4) في (أ) ساحبات عظام، وما أثبته من (ب).

(5) السَّدد بفتحتين: الاستقامة.

(6) في النسخ: ناظمها، وفيه زحف، ولعل الصواب كما أثبته: ناظمنها.
(7) الإرّب: الحاجة.
(8) في (أ): إلى.
(9) في (ب): وظلت.
(10) سقط من (ب).

(94/1)

أن أقتطع من كلامه عليه السلام قطعة، ثم أعقد عليها عقداً يكون محيطاً بأسرارها وغرائبها، ويحتوي على جميع معانيها وعجائبها، وهذه هي طريقة جيدة [و] (1)فائدتها هو إيضاح معاني الكلام بالعقود اللائقة، والترتيبات الفائقة، وهي طريقة يسلكها(2) كثير من النظار فيما يريدونه من إبانة معاني الكلام، ولها آفة وهو الإسهاب في الكلام الذي يورث الملل وسآمة الخواطر.

المسلك الثاني:
أن أذكراللفظة المركبة من كلام أمير المؤمنين ثم أكشف معناها، وأوضح مغزاها، من غير التزام عقد لها ولا إشارة إلى ضابط، وهذه طريقة يسلكها(3) الأكثر من النظار، فهذان مسلكان يمكن ذكر أحدهما، وكل واحد منهما لا غبارعليه(4) في تحصيل المقصد وتقرير البغية، لكن أرى أن المسلك الثاني هو أعجب، وإلى جانب الاختصار والتحقيق أقرب؛ لما ذكرناه من(5) حصول التكثير في سلوك الطريقة الأولى، خاصة في مثل هذا الكتاب، فإن شجونه كثيرة ونكته غزيرة، فلا جرم كان التعويل عليها هو الأخلق، ثم أقول قولاً حقاً: إن (نهج البلاغة) بالغٌ في فنه لكل مرام، وإنَّه لأميرٌ على(6) فنون البلاغة وحاكم وإمامٌ؛ لاشتماله على مبادئ الفصاحة ونهاياتها، ومحرزٌ لقصب سبق البلاغة وغاياتها، قد أعجز أهل أوانه، وصار مفحماً(7) لغيره في علومه وعلو شأنه، فلو كانت العلومَ كواكبَ لكان قمرها(8) الزاهر، ولو كانت أقماراً لكان بدرها الباهر، ولو كانت بدوراً لكان شمساً في فلكها الدائر، ولو كانت أحاديثَ لكان مثلها السائر.

---

(1) سقط من (ب).
(2) في (ب): سلكها.
(3) في (ب): سلكها.
(4) في (ب): عليها.
(5) في (أ): في.

(6) في (ب): في.
(7) في (أ): مقحماً.
(8) في (أ): فجرها، وفي (ب)كما أثبته.

ولا يغررك ما ترى من الناس من إهماله وهجره ونبذه وراء ظهورهم، وطرح ذكره حيث كان، كأن في حكمة الهجر مأسوراً مقهوراً، ومن العلوم في أكثر أحوالها ممحواً مغموراً، قد استولت على أسراره يد النسيان والذهول، وانكسفت نجومه، وآلت أقماره وشموسه إلى الذهاب والأفول، ولله درُّ من قال:

حسدوه حين رأوه أحسنَ منهم .... والبدرَ تحسدُه النجومُ إذا بدا

وما ذاك إلا لأجل(1) ما اشتمل عليه من الغموض، واستولى عليه من دقة الأسرار والرموز، خاصة في الإشارة إلى أحوال المبدع وصفاته، ومعرفة الأزمنة الأزلية، وتقرير الخواص الإلهية، فإن أحداً من أفناء(2) الخليقة لم ينسج على منواله، ولا سمحت قريحة بشكله في ذلك ومثاله، كما سننبه على تلك الأسرار، ونذكر تلك الحقائق بمعونة الله تعالى، ولقد صدق فيه من قال:

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا .... هل عاند الدهرُ إلا من له خطرُ

أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ .... وتستقر بأقصى قعره الدررُ

وفي السماء نجومٌ ما لها(3) عددٌ عددي .... وليس يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ

التقرير الثالث:

في بيان العلوم التي تضمنها واشتمل عليها

واعلم أن هذا الكتاب وإن كان مشتملاً على فنون متفرقة، وأساليب في البلاغة متشعبة، لكن أكثرها جرياناً فيه وأعظمها استعمالاً، وهي الخطب والكتب والحكم، فلا جرم لما كان الأمركما قلناه رتبناه على هذه الأقطاب الثلاثة.

أولها: الخطب والدلائل.

وثانيها: الكتب والرسائل.

وثالثها: الحكم والأدب(4).

---

(1) في (ب): إلا لما اشتمل.
(2) أفناء: أي أخلاط.
(3) في نسخة: لا عديد لها، (هامش في ب).
(4) في (ب): والآداب.

وكل واحد من هذه الأقطاب مشتملاً(1) على نكت غريبة ولطائف عجيبة، نلحق(2) بكل واحد منها ما يليق به منها، فهذا ما أردنا تقريره من الإشارة إلى ضبط قواعد الكتاب، واشتماله على ما ذكرناه من هذه العلوم، نعم مع تقريري له على هذا النظام وتنزيله على مثل هذه الضوابط، فإني لا أدَّعي أني قد أحطت بأقطاره واستوليت على غوائله وأغواره بحيث لا يشذ عني شيء من ذلك، فليس في ذلك وسعي، ولا يدخل تحت طوقي وإمكاني، فإن الذي يعزب عن فطنتي أكثر من الحاصل في ربقتي و الفائت عني أكثرمن الواصل إليَّ، وكيف أدَّعي حصره، وليس لمحاسنه حدُّ ولا غاية، ولا أمد لها ولا نهاية، فإن فيه حاجة كل عالم، وبغية كل متعلم، ومطلب كل بليغ، ومقصد كل زاهد، ومُنية كل عابد، وما عليَّ إلا بذل الوسع والاجتهاد، وعلىالله الإعانة والتكفل بالإرشاد، وهذا حين ابتدائنا في شرح كلامه بالهداية للصواب من الله وإلهامه، والرغبة إليه في التوفيق لإنجازه وإتمامه.

القطب الأول: في ذكر الخطب والدلائل

اعلم أن الخُطبة بضم الفاء عبارة عن المصدر، يقال: خطبت على المنبر خُطبة، وكأنه واقع على المصدر والكلام بلفظ واحد، بخلاف قولنا: غرفت غَرفةً، وغُرفةً، فالفتح(3) المرة الواحدة وهو المصدر، والضم اسم للشيء المعروف، وهذا هو الأكثر الجاري أعني التفرقة بين المصدر والاسم، فأما هاهنا فإنهما جاريان بلفظ واحد كما ذكرناه.

---

(1) هكذا في النسخ قليلاً بالنصب، وهو حال من ضمير في فعل محذوف تقديره: أتى، أو جاء أو نحو ذلك.

(2) في (ب): يلحق.

(3) في (أ): بالفتح.

فأما الخِطبةُ بالكسر في الفاء فهو: في حق المرأة، تقول: خطبت المرأة خِطبةً، ولم يرد فيه الفتح في الفاء، وهذا يؤكد ما قلناه من جري مضموم الفاء على الاسم والمصدر جميعاً، والخُطبة إنما تكون في المقامات المشهودة، والخطوب الواردة والأمور المعضلة، والحوادث المتفاقمة.

(1) [فمن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم](1)

قال الإمام أميرالمؤمنين، وسيد الوصيين، المختار من بين سائر الخلق للأخوة، والقائم مقام صاحب الشريعة في كل الأحكام ماخلا النبوة:

(الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون): واعلم أن الحمد والمدح يأتلفان من أحرف واحدة مع اختلاف نظامها(2)، وهما أخوان والمعنى فيهما واحد، وكلاهما من قبيل القول، وهو: الثناء الحسن بذكر الأوصاف الجميلة(3)، واستحقاقهما في مقابلة النعمة وغيرها، ولهذا فإن الرجل كما يحمد عند إنعامه، فإنه يكون محموداً على حسن الصورة وأصالة الحسب، وأما الشكر فهو يكون باللسان والقلب وأفعال الجوارح، وهو مخصوص بالنعمة، ولهذا قال:

أفادتكُمُ النعماءُ مني ثلاثة .... يدي ولساني والضمير المحجَّبا

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج لابن أبي الحديد، وفي النهج بشرح الشيخ محمد عبده.

(2) في (ب): نظامهما.

(3) في (أ): الجملية.

يشير به إلى أنه إنما يكون بهذه الأمور الثلاثة في مقابلة النعمة، فحصل من هذا أن الحمد خاص بالإضافة إلى جنسه وحقيقته فإنه مختص بالأقوال، وعام بالإضافة إلى ما يستحق عليه فإنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها، وإن الشكر عام بالإضافة إلى حقيقته؛ لاختصاصه بالأقوال والأفعال، وأعمال القلوب، وخاص بالإضافة إلى ما يستحق عليه؛ لأنه [إنما](1)يكون في مقابلة النعمة لا غير، والحمد وإن كان أحد شعب الشكر، فهو أبلغ منه لأمرين:

أما أولاً: فلقوله عليه السلام: ((الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده)) (2).

وأما ثانياً: فلأن الله تعالى افتتح به كتابه الكريم بخلاف الشكر، وما ذاك إلا لأن ذكرالنعمة باللسان أدخل في الإشاعة بذكرها، وأكثر في الإشادة على مُوليها لما يكون في أفعال القلوب من الخفاء، وفي أفعال الجوارح من الاحتمال.

---

(1) سقط من (أ).

(2) أورده في موسوعة أطراف الحديث 572/4، وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 49/9، والدر المنثور 11/1.

فأما النطق وهو: عمل اللسان، فإن فيه من التصريح بالمقصود والإفصاح عنه ما لا يكون في غيره، ومن ثم كان مبدوءاً بالحمد في أول كل منطوق به ومكتوب من سائر أنواع الكلام في الخطب والرسائل، وارتفاعه على الابتداء وخبره الجار والمجرور بغيره، ورفعه أحسن؛ لما يتضمنه من البعد عن التقييد بالأزمنة؛ لأنه إذا كان منصوباً فهو مشعربالفعل المقيد بها، بخلاف حاله إذا كان مرفوعاً فلا أثر للتقييد فيه بحال، ومن ثمَّ قال الجهابذة(1) من أهل صناعة البيان: إن سلام إبراهيم كان أبلغ من سلام الملائكة حيث كان مرفوعاً، فانقطعت عنه آثار الفعلية، بخلاف سلام الملائكة فإنه لما كان منصوباً، كان نصبه مشعراً بالفعل المقيد بالأزمنة.

سؤال؛ لِمَ كانت اللام مختصة بوقوعها خبراً عن الحمد في كل موضع عنه، بخلاف سائر حروف المعاني من الباء وغيرها من حروف الجر؟

---

(1) الجِهْبذُ بالكسر: النقاد الخبير (القاموس المحيط ص424).

(100/1)

وجوابه؛ هو أن اللام معناه الملك والاستحقاق، فلما كان الحمد لا يستحقه أحد ولا يملكه على الحقيقة سوى الله [تعالى] (1) كان موقعها ها هنا(2) أحسن ودخولها أقعد، فلهذا كانت مختصة بالوقوع، بخلاف غيرها من أحرف المعاني فإنها لا تعطي هذا المعنى، واللام فيه دالة على الجنس، وهو مطلق الحقيقة من غير إشارة إلى عموم فيكون مستغرقاً، ولا إشارة إلى خصوص فيكون مُتَعيِّناً، وإنما هو موضوع(3) بإزاء مطلق الحقيقة من غير إشارة إلى قيد من قيودها استغراقاً كان أو تعييناً كما أشرنا إليه، ومثاله قولنا: أكلت الخبز، وشربت الماء، فإن الغرض باللام إنما هو دلالتها على مطلق الحقيقة من غير إشارة [بها] (4) إلى عموم فيكون مستغرقاً، ولا إلى خصوص فيكون متعيناً.

وخبر المبتدأ محذوف والظرف ساد مسده، والتقدير فيه: الحمد ثابت لله أو مستقر له.

---

(1) سقط من (ب).

(2) في (ب): هنا.

(3) في (أ): موضع، وما أثبته من (ب).

(4) سقط من (ب).

(101/1)

(لله): هو اسم من أسماء الله تعالى، وقد وقع فيه اضطراب بين العلماء، فقال قائلون: هو اسم سرياني وليس عربياً والحق أنه عربي، لأن جميع ما في القرآن عربي إلا ما دلت عليه دلالة، وهذه اللفظة من جملة ما تضمنه القرآن، ثم إذا كان عربياً فهل يكون اسماً أو صفة، والحق أنه اسم؛ لأن الصفة إنما تدل على معنى واحد في موصوفها، كالعالم والرحيم، وهذا الاسم عند إطلاقه يدل على معاني كثيرة؛ لأن قولنا: الله، دال على جميع الصفات الإلهية عند إطلاقه ومفهومة منه، فلهذا كان اسماً جارياً مجرى الألقاب، ثم إذا كان اسماً فهل يكون جامداً أو مشتقاً، ومعنى الاشتقاق هو: اجتماع الكلمتين في معنى واحد يشملهما والحق أنه مشتق، وهذا موجود في قولنا: الله، فإن قولهم(1): أله الرجل، وقولنا: إله يجتمعان في معنى واحد، ثم اختلف مما(2) يكون مشتقاً منه.

(1) في (ب): قولنا.
(2) في (ب): فيما.

فقال بعضهم: من أله إذا تحير؛ لأن العقول متحيرة في معرفة الله تعالى وإدراك كنه حقيقته، وقال بعضهم: اشتقاقه من أله إذا احتجب؛ لأنه تعالى لا تدركه أبصار العيون، ولا تناله بصائر(1) العقول، ثم إذا كان مشتقاً فهل يكون علماً أوغير علم؟ والحق أنه ليس علماً محضاً، وإنما هو جار مجراه فيما فيه من العلمية، [وهو] (2) كونه دالاً على معنى في نفسه على جهة التغيير كزيد وعمرو، وبما فيه من مخالفة أمر العلمية لم يجز تغييره كتغيير الأعلام بالنقل والوضع، ولزوم اللام له؛ لأنه من الأسماء الغالبة كلزوم اللام في النجم للثريا، وتفخيم هذه اللفظة من السنة، هكذا قاله الزجاج(3)، وإنما التزموا تفخيمه دلالة على عظم حال مسماه وفخامة شأنه.
(الذي لا يبلغ): لما اعتاص عليهم وصف(4) المعارف بالجمل الفعلية والاسمية؛ لما في الجمل من غاية التنكير فوضعوا (الذي) وصلة إلىذلك، وهذا على نحو صنعهم(5) في (ذو)، فإنه لما كان يتعذر عندهم الوصف بالمصدر واسم الجنس لعدم الاشتقاق فيهما، توصلوا إلى الوصف بهما بإدخال ذو، فقالوا: هذا رجل ذو مال وذو علم، وبلغ المكان إذا وصله، قال تعالى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}[البقرة:234] فنفعليه السلام أن يوصل إلى كُنْهِ مدحه.

(1) في (أ): أبصار، وفي (ب) ما أثبته.

(2) سقط من (ب).

(3) الزجاج هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق[241-311هـ] عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه المبرِّد، وله تصانيف، منها: (معاني القرآن)، و(الاشتقاق) وغيرهما (انظر الأعلام 40/1).

(4) في (أ): وضعف، وفي (ب) ما أثبته.

(5) في (ب): صنيعهم.

(103/1)

(مِدْحَتُه القائلون): المِدْحة: الضرب من المدح، كالعِذْرة تكون للضرب من الاعتذار، ويقال: فلان حسن الطِعْمة والرِّكْبة كل ذلك بكسرالفاء دلالة على ما قلناه، والْمَدْحة بالفتح للواحدة من المرات، وغرضه هو أن مدائحه تعالى لايمكن إحصاؤها ولا ضبطها.

(ولا يُحْصِي نعمآءه العادُّون): الإحصاء هو: الحصر والضبط، قال تعالى: {لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ}[مريم:94] [{وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ}] (1) [يس:12]، {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}[الجن:28]، النعمة: هي المنافع الواصلة إلى الغير على جهة الإحسان، والنَّعماء يروى بفتح النون وضمها، فإن فتحت مددت وهو سماعنا، وإن ضممتها قصرت، وفي بعض النسخ: (نعمه)، وهي: جمع نعمة كسدرة وسدر، والنعماء مصدر كا لسراء والضراء، وغرضه من ذلك عليه السلام هو أن آلاءه ونعمه لا تحصى(2) بعدٍّ كما لا يوصل إليها بحدٍّ.

(ولا يؤدِّي حقه المجتهدون): أدَّى دينه إذا قضاه، والمصدر فيه التأدية، والاسم منه هو الأداء، والحق: واحد الحقوق، والاجتهاد: بذل الوسع في تحصيل المقصود، فنفى عليه السلام في كلامه هذا أن يقضى حق الله تعالى وهو ما يستحقه بجلاله وعظم نعمه، وإن بلغ المؤدي كل غاية في الاجتهاد، وهذا صحيح؛ لأن حقه تعالى إذا كان بغير نهاية في كل أحواله، فما يختص بحال ذاته وما يختص نعمه(3) فمحال تأديته وبلوغ حده.

---

(1) سقط من (أ).

(2) في (ب): لا تحصر.

(3) في (ب): نعمته.

(104/1)

(الذي لا يدركه بُعْدُ الهِمَمِ): أدرك إذ الحق، قال تعالى: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}[الشعراء:61] وأدرك الغلام إذا بَلَغ، والهمم: جمع هِمَّة، يقال: فلان بعيد الهِمَّة، والهِمَّة بكسر الفاء وفتحها: إذا كان ذا عزيمة سامية، كأنه بلغ في النفاسة غاية بعيدة لاتنال، وغرضه عليه السلام هو أنه(1) تعالى لا تبلغه الهمم، وإن بلغت في بُعْدِها وإعراقها، وتجاوزت في ذلك كل حد ونهاية.

(ولا يناله غَوصُ الفطن): ناله إذا أصابه ومسَّه، كما قال تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا}[الحج:37].

والغوص هو: النزول تحت الماء، ومعناه أن الفطن التي هي: الأفهام لا تصيبه ولا تقع على معرفته.

سؤال؛ أليس كان القياس في أسلوب هذا الكلام أن يقال فيه: لاتدركه الهمم على بُعْدِهَا، ولا تناله الفطن على غوصها، فَلِمَ عدل إلى هذا الأسلوب؟ ولهذا يقال: العشق هو المحبة المفرطة، ولا يقال فيه: إنه إفراط المحبة؟

وجوابه؛ أن الأمر كما ذكرت، ولكن إسناد الإدراك إلى البعد والنيل إلى الغوص يكون أبلغ وأدخل في المعنى من خلافه، ولهذا فإن قولنا: أعجبني شهامة نفسك وشرف(2) طبعك أرقُّ وأدقُّ من قولنا: أعجبتني نفسك الشهمة، وطبعك الشريف، وهذه التفرقة تُدْرَكَ بالذوق الصافي.

فأما ما ذكره في العشق فإنما وجب ذلك لما كان المقصود هو تعريفه، فلابد فيه من الوفاء بالجنس والفصل(3)[ولن يكون بما ذكر] (4).

---

(1) في (ب): أن الله تعالى.

(2) في (ب): وشرافة.

(3) حاشية في (ب) لفظها: وجعل الوفاء بالجنس، والفصل؛ لأن المحبة هي الجنس، والإفراط هو الفصل، ولكن جعل الهيئة وهي تقديم الفصل على الجنس بنص ما ذكره في (مبادئ المنتهى)، تمت.

(4) سقط من (أ).

(105/1)

(الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود): الحد: غاية الشيء ومنقطعه، فإذا كانت صفاته تعالى ثابتة في الأزل والأزمنة الأزلية ليس لها حد ولا لها غاية، وجب فيما كان ثابتاً فيها مستمر الثبوت ألاَّ يكون له حدٌّ أيضاً، وهكذا أيضاً أنه لا نعت لها؛ لأن النعت هو: الوصف أيضاً، وهو حاصل بعد أن لم يكن، وما كان هذا حاله فهو متناهي وصفاته بلا نهاية، فيستحيل فيما لا يتناهى أن يكون موصوفاً، فإنما(1) يكون طريقاً إلى معرفة ذاته من الأوصاف المتناهية؛ لأن ما سوى الله

لا يثبت في الأذهان إلا بالأوصاف؛ المعرِّفة لذاته، وثبوت الله تعالى إنما هو بالبراهين لا بالصفات.

فلهذا قال عليه السلام: (ولا له نعت موجود) يكون طريقاً إلى معرفة ذاته كما قررناه.

(ولا وقت معدود): يعني أن صفاته تعالى لاتكون مؤقتة بوقت أصلاً؛ لأنها حاصلة في الأزمنة الأزلية، ولا وقت هناك، أو يريد أنها غير متوقفة على الوقت فتكون منتهية بانتهائه.

(ولا أجل ممدود): يريد أنه لا أجل لها، فينقطع بانقطاعه، بل هي دائمة أزلاً وأبداً، وكلامه عليه السلام ها هنا مشعر بأن حقيقة ذاته غير معلومة للبشر، خلافاً للمعتزلة وغيرهم.

---

(1) في (ب): وإنما.

(106/1)

وما قاله عليه السلام هو مختارنا، وقد ورد في عدة من كلامه كما سننبه عليه في مواضعه اللائقة، وهذا الأسلوب الذي أورده يسمى: التعديد عند علماء البيان، وهو من البلاغة في أرفع قدر ومكان(1)، وهو الإتيان(2) بالصفات الحسنى من غير توسط حروف عطف، كما ورد في التنزيل، كقوله تعالى: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ}[الحشر:23] إلى آخرها، وقوله: {شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ}[غافر:3].

(فطرالخلائق بقدرته): فطر الأشياء (3) هو: إبداعها، واختراعها.

قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها(4) .

والخلائق: جمع خليقة، وهو: عبارة عن جميع المكونات الحادثة بقدرته، كما تقول: كتبت بالقلم نزلها منزلة الآلة، وليس آلة في الحقيقة؛ لأن الفعل يستحيل وجوده من غير قدرة.

(ونشر الرياح برحمته): بسطها، من قولهم: نشرت المتاع إذا بسطته، أو نشرت الثوب بعد طيِّه، وكلاهما حاصل في حق الريح، فإنه تعالى يبسطها في جهاتها الواسعة، وينشرها بعد أن كانت مطوية أي راكدة.

وقوله: (برحمته) يروى بالباء، من قولهم: أكلت باللحم، أي أنها ملابسة للرحمة مصاحبة لها، ويروى باللام، أي أنه ما نشرها إلا للرحمة فهي الباعثة علىفعلها، والداعية إليها، كما تقول: جئت للسمن.

---

(1) في (ب): في أرفع مكان.

(2) في (ب): الإثبات.

(3) في (أ): الإنشاء، وهو تحريف.
(4) النهاية لابن الأثير 457/3، ومختار الصحاح صـ507.

(107/1)

(ووتد بالصخور مَيَدَانَ أرضه): وتد العود يتده إذا ضربه على الأرض، الصخور جمع صخرة وهي: القطعة العظيمة من الأحجار، وميدان يروى بسكون(1) الياء وهو واحد الميادين، وهي: الأرض الواسعة، وبتحريكها وهو: التحرك والاضطراب، ومقصوده هو أن الله تعالى جعل هذه الجبال الراسخة أوتاد الأرض، كما قال تعالى: {وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً}[النبأ:7] مانعة [لها](2) عن التحرك، أو أعلاماً منصوبة على مسطح الأرض، لمنافع عظيمة عن المنع من اضطرابها، لا يحيط بعلمها إلا الله تعالى، وقوله: (ووتد بالصخور) من باب بنيت بالحجر، فمن هذه حاله فلابد من(3) أن يكون معروفاً ومعبوداً بدين.

---

(1) في (ب): بإسكان.
(2) سقط من (ب).
(3) قوله: من، سقط من (أ).

(108/1)

(فأول الدين معرفته): الدين هو: الإسلام، لقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ}[آل عمران:19]، والإسلام هو: الإيمان، لقوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}[آل عمران:85]، والمعلوم قطعاً أنه لو أتى بالإيمان لكان مقبولاً منه، وفي هذا دلالة على أن الإيمان والإسلام شيء واحد، فإذا تقرر هذا فاعلم أن الإيمان عندنا اسم شرعي، وصار عبارة عن عمل القلب وهي المعرفة، وعن عمل اللسان وهو الإقرار، وعن عمل الجوارح وهو فعل الطاعات، والكف عن القبائح، فصار مقيداً(1)لهذه الأمورالثلاثة عند إطلاقه، وهذا هو مذهبنا وعليه أكثر السلف، وقد خالفنا في ذلك فرق وطوائف، وقد قررنا نصرة ما قلناه، ورددنا على من خالفنا في الكتب العقلية، فإذا تمهدت هذه القاعدة، فإنما قالعليه السلام: إن أول الدين هو المعرفة؛ لأن ماعدا المعرفة مما يقع عليه اسم الدين من الإقرار وعمل الطاعات لاوقع له إلابعد إحراز المعرفة وتحصيلها، فالإقرار لاصحة له إلا بعد المعرفة ليكون خبراً صدقاً، والأفعال الشرعية فالمعرفة تمكين منها؛ لأن الصلاة والزكاة، وسائر

العبادات الشرعية لاتفعل(2) إلابعد المعرفة، وأما الواجبات العقلية فالمعرفة لطف فيها، فصار أمر الدين كله لايكون إلا بعد المعرفة وكمالها.

---

(1) في (ب): مفيداً.
(2) في (ب): لاتعقل.

(109/1)

(وكمال معرفته التصديق به): أراد بعد حصول المعرفة فكمالها وإتمامها إنما يكون بالتصديق وهو الإقرارلأنه تلو المعرفة؛ لأن فائدة المعرفة صيانة النفس عن وعيد الآخرة وعقابها، وفائدة الإقرار إنما هو إحراز الرقبة عن السيف والمال عن السحت(1)، كما قال عليه السلام: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)) (2).
فلهذا كان الإقرار كمالاً للمعرفة.
(وكمال التصديق به توحيده): يعني أن الإقراراذا وجب التصريح به لما ذكرناه، فكماله وتمامه إنما يكون بذكرالتوحيد، فلا يكفي أن نقر بوجود الله تعالى(3)، حتى نقول(4): إنه موجود، وإنه لا إله إلا هو، وإلا كان التصديق لا فائدة فيه.
(وكمال توحيده الإخلاص له): بعد وجود التوحيد وثبوته وكماله إنما يكون بتوجيه الأعمال كلها إليه، وإخلاصها لوجهه؛ لأن العبد إذا كان يعلم أنه لا إله في الوجود إلا الله، ولايستحق الإلهية سواه فهو المستحق للعبادة حقيقة، فلهذا وجب صرفها إليه وحده، وعرف بما ذكرناه أن الإخلاص من كمال التوحيد من الوجه الذي قررناه.

---

(1) السحت: الاستئصال، ويقال: دمه وماله سحت أي لا شيء على من أعدمهما، ومال مسحت ومسحوت: مُذْهَبُ. (انظر القاموس المحيط ص196).
(2) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 15/1 بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو في المجموع المنصوري رقم (2) ص131 في الرسالة الموسومة بالدرة اليتيمة، قال المحقق في تخريجه ما لفظه: الحديث شهير، ويوجد في أغلب مصادر الحديث، وللإطلاع على مصادره انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي 2/337-338.
(3) في (ب): أن نقر بالله تعالى.
(4) في (ب): يقال.

(110/1)

(وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه): اعلم أن الصفات التي يختص بها القديم تعالى في ذاته، للناس فيها أربعة مذاهب:

[أولها أمور سلبية] (1) كما هو محكي عن جمهور الفلاسفة، وزعموا أنها لو كانت أموراً ثبوتية لكانت ذاته متكثرة بها، والكثرة دلالة الإمكان.

وثانيها: أنها أحكام إضافية، وهذا هو قول الشيخ أبي الحسين(2) من المعتزلة(3).

وثالثها: أنها صفات حقيقية غير مستقلة بذاتها، وهذا هو قول الشيخ أبي هاشم(4) وأصحابه من المعتزلة.

---

(1) سقط من (أ).

(2) هو محمد بن علي الطيب، أبو الحسين البصري المتوفى سنة 436هـ، أحد أئمة المعتزلة، ولد في البصرة وتوفي بها، وله تصانيف منها: المعتمد في أصول الفقه (جزءان) وغيره (الأعلام 275/6).

(3) المعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء ويسمون أصحاب العدل والتوحيد.

(4) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، أبو هاشم المعتزلي، ولد سنة 247هوتوفي سنة 321هـ، عالم بالكلام من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها، وتبعته فرقة سميت (البهشمية) نسبه إلى كنيته أبي هاشم، وله مصنفات منها: الشامل في الفقه وغيره (الأعلام 7/4).

(111/1)

ورابعها: أنها معاني مستقلة بنفسها كالقدرة والعلم والحياة مغايرة لذاته تعالى، وهؤلاء هم الذين أثبتوا هذه المعاني، وهو قول الكرامية(1) من المجبرة.

فأما الأشعرية(2) المحققون منهم، فأقوالهم فيها على نحو من مذهب أبي الحسين.

فإذا تقررت هذه القاعدة، فاعلم أن أقرب ما يصرف إليه قوله عليه السلام: من أن كمال الإخلاص نفي الصفات عنه، إنما هو المحكي عن الكرامية فإنهم أثبتوها مغايرة لذاته تعالى.

(لشهادة(3) كل صفة): لأن حقيقتها ومفهومها إذا كانت مستقلة بنفسها منفردة بحالها يقضي: (بأنها غير الموصوف): لأن حقيقة الغيرية(4) حاصلة فيهما جميعاً، أعني الصفة بهذا التفسير والموصوف؛ لأنهما معلومان ليس أحدهما هو الآخر.

(وشهادة كل موصوف): بحقيقته وما هيته.

(بأنه غير الصفة): لأن مع استقلال كل واحد منهما بنفسه، كل واحد منهما مشار إليه بالغيرية لصاحبه، فإذا كان هذا غيراً لذلك(5) فذاك غير لهذا، فعلى ما ذكرنا من استقلال الصفات نفسها(6) وكونها معلومة على انفرادها.

---

(1) الكرامية هم أصحاب محمد بن كرام بن عراق، أبي عبد الله من فرق الابتداع في الإسلام، كان يقول: بأن الله تعالى مستقر على العرش وأنه جوهر، وانتهوا في إثباتهم للصفات إلى التجسيم والتشبيه (انظر الأعلام 14/7، وهامش في شرح ابن أبي الحديد 59/1)، والمجبرة هم المعتقدون بالجبر ويسندون جميع أفعال العباد إلى الله ولا اختيار لعباده فيها (هامش في تحكيم العقول ص26).

(2) الأشعرية هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهي جماعة الصفاتية (هامش في شرح نهج البلاغة 59/1).

(3) في (ب): بشهادة.

(4) في (أ): الغيرة، وما أثبته من (ب).

(5) في (ب): لذاك.

(6) في (ب): بأنفسها.

(112/1)

(من وصف الله سبحانه فقد قرنه): جعل له قرناً مساوياً له في الاستقلال بذاته، ومشاركته في الأزلية التي هي أخص صفاته كما تزعمه الكرامية.

(ومن قرنه): أثبت له كفواً مماثلاً له.

(فقد ثنَّاه): لأن حقيقة التثنية حاصلة فيه، وهو إثبات قديم ثاني مشارك لذاته في القدم.

(ومن ثنَّاه): أثبت له مثلاً كما قررناه.

(فقد جزَّأه): لأن الإله عبارة عن الذات المختصة بصفات الكمال، فإذا كانت هذه الصفات التي هي أصل في معنى(1) الإلهية مستقلة بنفسها قديمة صارت الذات عبارة عن مجموع أجزاء، فلهذا كان تعالى على منهاج هذه المقالة متجزئاً.

(ومن جزَّأه): أثبت ذاته قابلة للتجزُّؤ والانقسام.

(فقد جهله)(2): اعتقده على خلاف ماهو عليه من كون ذاته تعالى واحدة من كل وجه، لا يتطرق إليها تجزؤ(3)، ولا يضاف [إليها](4) انقسام بحال.

(ومن أشار إليه): لما قرر عليه السلام تنزيه ذاته تعالى في نفسها عن اختصاصها بالصفات المساوية لها في القدم والغيرية، شرع في تنزيه ذاته تعالى عن الجهات والأمكنة وأنواع الشبهيات(5)، فعلى هذا من أشار إليه بعينه أو بيده:

(فقد حدَّه): جعل له حدًّا ونهاية؛ لأن كل ما كان مرئياً أو مشاراً إليه فلا بد فيه من المقابلة أو حصول في جهة الإشارة، فقد صار في جهة دون جهة، فلهذا كان محدوداً.

(ومن حدَّه): بإحاطة الجهات له وصيرورته فيها:

(فقد عدَّه): لأنه إذا صار في جهة فهو من قبيل الأجسام المركبة المعدودة.

---

(1) في (ب): المعنى.

(2) بعده في شرح النهج: ومن جهله فقد أشار إليه.

(3) في (ب): التجزي.

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): التشبيهات.

(113/1)

(ومن قال: فيمَ): أتى بفي التي هي حرف يقتضي المكان والوعاء، كما يقال(1): فيم زيد في الدار أو في السوق.

(فقد ضمَّنه): المكان الذي دل عليه هذا الحرف، كما كان زيد مضمناً بالدار(2)، أي حاصلاً فيها.

(ومن قال: علام): أتى بالحرف الدال على الاستعلاء وهو على، كما يقال: زيد على الفرس، وعمرو على السطح.

(فقد أخلى منه): لأنه إذا كان في جهة العلو فقد خلت عنه جهة السفل، ومن كان في جهة السفل فقد خلت عنه جهة العلو، وهكذا القول في جميع الجهات، فقد أتى عليه السلام بهذه الرموز الحرفية واللطائف الحكمية دلالة على تنزيهه عن الفراغات المعبر بها بالجهات، وعن الأحياز المعبر بها بالأمكنة، ثم لما فرغ منها أشار إلى كيفية وجوده، بقوله:

(كائن): لأن الكائن هو الحاصل الثابت الموجود:

(لا عن حدث): ليس حاصلاً بغيره(3) كما كان في غيره من الكائنات.

(موجود): له الوجود حقيقة.

(لا عن عدم): يريد أنه وإن كان موجوداً فلم يسبقه عدم، كما كان ذلك حاصلاً في جميع الموجودات، فهو وإن شاركها في الوجود والثبوت فقد باينها في أن وجوده بلا أول ووجودها له أول

ونهاية.

(مع كل شيء): {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}[الحديد:4]، لأن كل من كان منزهاً عن الجهة فإنه لايغيب عن كل شيء، ولا يغيب عنه كل شيء، والغيبة(4) متحققة في حقه.

(لا بمقارنة): أراد أن هذه المعية وإن كانت ثابتة في حقه، فإنه لا يشابه الأشياء بمصاحبته لها وإحاطته بعلمها.

---

(1) في (ب): تقول.

(2) في (ب): في الدار.

(3) في (أ): لغيره، وما أثبته من (ب).

(4) في (ب): فالغيبة.

(114/1)

(غير لكل شيء): لأن حقيقته مخالفة(1) لحقائقها، فإذا كانت الغيرية حاصلة في حق ما كان مثلاً فكيف إذا كان مخالفاً لها.

(لا بمزايلة): لا بمفارقة لها بل هو كائن معها، من قولهم: زايلته مزايلة وزيالاً إذا فارقته، قال تعالى: {فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ}[يونس:28] أي فرقنا، فهو في هذه الكلمات يشير بها إلى إثبات القدم ونفي الحدوث عن ذاته والعدم.

(فاعل): لوجود الفعل من جهته بحسب الداعية، فإنه أوجد هذه المكونات بداعي الإحسان والمصلحة الحكمية.

(لا بمعنى الحركات والآلة): لأن كل فاعل غيره فإنما يفعل بتحركة واضطراب وتحصيل آلات وأدوات.

(بصير): أي مدرك للأشياء بحقائقها.

(إذ لا منظو عنه من خلقه(2)): فلا يغيب عن إدراكه شيء من أحوال المخلوقات؛ بل هي بعين منه ومرأى، وهو بكل شيء محيطٍ.

(متوحد): متفرد بالوحدانية، ومن هذه حاله في التفرد والتوحد.

(فلا سكن [يستأنس به، ولا يستوحش لفقده](3)): بسكون الكاف هم الأهل، وبتحريكها كلما يسكن إليه، فبوجودهم لايستأنس بهم، وبعدمهم لا يستوحش من فقدهم.

(أنشأ الخلق): أوجد كل الموجودات.

(إنشاءً): من غير شيء كان أصلاً لها.

(وابتدأه): اخترعه.

(ابتداءً): من غير سبب.

(بلا رويَّة أجالها): من غير فكرة اضطربت في نفسه، والجولان ها هنا مجاز، وحقيقتها المجاولة في الحرب، تجاولوا إذا جال بعضهم على بعض كما يفعل غيره عند إحداث أمر من الأمور.

---

(1) في (أ): مخالفها. والصواب ما أثبتّه من (ب).

(2) العبارة في شرح النهج: إذ لامنظور إليه من خلقه.

(3) سقط من (أ).

(115/1)

(ولا تجربة استفادها): من غيره لتكون مُعِيْنَةً له عليها يخلق؛ لأن كل من جرَّب الأمور وخبرها كان أدخل في إحكام ما(1) يحكم من أفعاله.

قوله: (ولا حركة أحدثها): يريد أنه لا يحتاج إلى حركة ولا اضطراب في تحصيل شيء من أفعاله كما يفعله الواحد إذا أ راد فعلاً من الأفعال.

(ولا هامة(2) نفس): الهامة والهمامة هي: الإرادة، وكلاهما صفة مضافة إلى فاعلهما.

(اضطرب فيها): يريد أنه تعالى ليس له إرادة يهمُّ فيها بالشيء ثم يتردد في ذلك، كما يعرض للإنسان من الإرادات المختلفة والدواعي المترددة في أفعاله.

(أحال الأشياء): بالحاء المهملة، إما من قولهم: أحال عليه بالدين؛ لأنه تعالى جعل لكل شيء وقتاً أحاله عليه وجعله موعداً لحصوله ووجوده، وإما من قولهم: أحال بالسوط، أي أقبل عليه، فإنه تعالى أحال الأشياء.

(لأوقاتها): أقبل على تصريفها وإحكامها بعد خلقها وإيجادها.

(ولاءَم [بين مختلفاتها](3)): فاعل من الملاءمة مهموز من قولهم: لاءمت بين(4) القوم إذا أصلحت حالهم(5)، فهو تعالى أصلح حال المختلفات حتى تلاءمت، ووافق بينها حتى تقررت.

(وغرز غرائزها): أقام طبعها على طبائع مختلفة، ومنه الغريزة وهي: الطبيعة(6)، وإما قررها وبينها من قولهم: غرزت رجلي في الركاب إذا وضعتها فيه متمكنة.

(وألزمها أشباحها): الشبح: الشخص، يريد أنه جعل لكل شيء شبحاً وصورة مركبة، لا تعقل تلك الحقيقة إلا بتلك الصورة كالأشباح الإنسانية والأشباح البهيمية وغير ذلك.

---

(1) في (أ): بما، وما أثبته من (ب).

(2) في شرح النهج: ولا همامة.
(3) ما بين المعقوفين سقط من النسختين، وأثبته من شرح النهج.
(4) في (ب): في.
(5) في (ب): بينهم.
(6) في (ب): ومنه الطبيعة وهي الغريزة.

(116/1)

(عالم(1) [بها](2)): سبق علمه.
(قبل ابتدائها): لسبق وجوده وعلمه بوجودها.
(محيط(3) بحدودها وانتهائها): لأن عالميته لذاته فهو عالم بمقاديرها وانتهائها.
(عارف(4) بقرائنها وأحنائها): فالأحناء هي: الجوانب: والقرائن: ما يقترن بعضها ببعض، ومقصوده في هذا هو: أنه تعالى عالم بما يقارنها من خواصها وما يجانبها.
ثم تكلم في كيفية(5) خلق الأرض، فقال:
([ثم] (6) أنشأ سبحانه فتق الأجواء): فتق الشيء إذا شقه، وفتقه [كنقبه](7) إذا استخرجه، والأجواء جمع جو، فأراد بفتق الأجواء استخراجها، وهي: الفراغات التي بين السماء والأرض.
(وشق الأرجاء، وسكائك الهواء): الأرجاء: هي الجوانب، قال تعالى: {وَالْمَلَكُ(8) عَلَى أَرْجَائِهَا}[الحاقة:17] وأراد جعلها قطعاً، وسكائك الهواء بالسين المثلثة التحتانية هي: فرجه.
(فأجاز فيها): بالجيم والزاي وما عداه خطأ، من قولهم: جاز الطريق إذا سلكها.
(ماءً متلاطماً تياره): التيار: الموج، المتلاطم: الذي يصك بعضه بعضاً من شدة اضطرابه، يعني أنه سلك في فرج الهواء بحراً متلاطم موجه(9).
(متراكماً زخاره): المتراكم: المجتمع ومنه سحاب متراكم، والزخار: الممتد المرتفع، يقال: بحر زاخر إذا كان ممتداً مرتفعاً وهو صفة الماء، وهو البحر يريد أنه مجتمع وله قوة وامتداد.
(حمله): الضمير للماء.

---

(1) في (شرح النهج): عالماً.
(2) سقط من (أ).
(3) في شرح النهج: محيطاً.
(4) في شرح النهج: عارفاً.
(5) قوله: كيفية، زيادة في (ب).

(6) سقط من (أ).
(7) سقط من (ب).
(8) في (أ): والملائكة، فلعلها قراءة، وما أثبته من (ب)، ومن المصحف الذي بين يدي.
(9) في (ب): يتلاطم أمواجه،

(117/1)

(على متن الريح العاصفة، والزَّعْزَعِ القاصفة): ظهرها لتمسكه في الهواء، ولا ينحدر إلى أسفل كما هو من لوازمه، والعاصفة من الريح هي: الشديدة الهبوب؛ كأنها تعصف كل شيء بحركتها، والزعزع: اسم من أسماء الريح، كأنها تزعزع(1) كل شيء إلى الحركة، والقاصفة: الكاسرة، من قصف العود إذا كسره.

(فأمرها برده): فأمر الريح برد الماء على خلاف ما هو من طبعه؛ لأن طبعه النزول.

(وسلطها علىشده): قواها ومكنها على شدة وثاقه وضبطه.

(وقرنها إلى حده): يريد أن الله [سبحانه و] (2)تعالى قرن الريح بالبحر(3) لتعمل فيه العمل الذي تقتضيه الحكمة الإلهية إلى حده الذي علمه الله تعالى، فلا تقدر على مفارقته ومباينته من غير إذن لها في ذلك، فهذه حكمة بالغة وقدرة باهرة في خلق الأرض، ويؤيد هذا.

(الهواء من تحتها فتيق): يريد أن الهواء مستخرج من تحت الريح، فتيق أي مفتوق.

(والماء من فوقها دفيق): يعني بالماء البحر الذي ذكره بقوله: متلاطماً تياره، والضمير للريح، ودفق الماء إذا صبه فكأنه فوقها مصبوب، ودفيق بمعنى مدفوق، وهكذا دافق فإنه [بمعنى] (4) مدفوق، وحيث وقع فعله فإنه(5) مبني لما لم يسم فاعله، فيقال: دُفِقَ الماء، ولا يقال: دفقته.

(ثم أنشأ سبحانه ريحاً): اخترعها لما يريد من المصلحة.

---

(1) في (أ): زعزع، وما أثبته من (ب).
(2) زيادة في (ب).
(3) في (أ): ما أبحر، وما أثبته من (ب).
(4) سقط من (ب).
(5) في (ب): فهو.

(118/1)

(اعتقم مهبها): ريح عقيم: لا تلقح سحاباً ولاشجراً، واعتقم بمعنى أعقم؛ لأن افتعل به لا يكون إلا متعدياً فلا يقال: اعتقمته، ولكن يقال: أعقمته، إذا صيرته عقيماً والهمزة للتعدية، ومعنى اعتقم مهبها أي هبوبها، أي جعله ملتوياً لايكون في سمت واحد.

(وأدام مُرَبَّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشاها): المرب: المجتمع للريح، ومراده من ذلك هو أن الله تعالى جعلها متصلة الهبوب على نسق واحد، لا ينفصل بعضها لما في ذلك من الشدة، فلما كانت بأمر الله [تعالى] (1) على هذه الأحوال.

(أمرها(2)): أمر الإرادة والقدرة لا أمر القول، بعد أن أعصف(3) مجراها أي جعله شديداً، وبعّد(4) منشاها جعله بعيداً، لا يعلم حاله من شدة البعد ليعلم بذلك شدة البعد مع السرعة العظيمة في مجراها، وهذا من عجائب القدرة ولطف(5) الصنعة.

(بتصفيق الماء الزخار): تصفيق الماء: اصطكاك بعضه ببعض من عظم حركة الريح وعنفها، وتصفيق الشراب تحويله من إناء إلى إناء لما يحصل في ذلك من التصفية للماء عن جميع الأقذار والأكدار.

(وإثارة موج البحار): لأن بالريح تكثر الأمواج وتعظم حركتها.

(فمخضته مخض السِّقَاء): فحركت الريح هذا الماء الموصوف لما يراد به من التكوين مخضاً يشبه مخض السقاء وهو: وعاء اللبن.

(وعصفت به): والعاصف هي: الريح الشديدة، قال الله تعالى: {جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ}[يونس:22] والضمير للماء.

---

(1) سقط من (ب).

(2) في شرح النهج: فأمرها.

(3) في (ب): عصف.

(4) في (ب): وأبعد.

(5) في نسخة: ولطيف، (ذكره في هامش ب).

(عصفها بالفضاء): يريد مثل(1) عصفها بالفضاء، وهو: الفراغ الخالي مع ما فيه من الهباء؛ لأن الرياح إذا اختلفت مهابها لعبت به يميناً وشمالاً فلا يكون له قرار بحال، وكيفية عصفها له إنما يكون(2) بأن.

(ترد أوله على آخره): بشدة اضطرابه وتحركه بها.

(وساجيه على مائره): والساجي هو: الساكن، لقوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}[الضحى:2] والمائر هو: المتحرك، كما قال تعالى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا}[الطور:9].

(حتى إذا عبَّ عُبابه): حتى هذه هي الابتدائية، مثلها في قوله تعالى {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ}[يونس:24] وهي كثيرة في كتاب الله تعالى، وعبَّ: كثر وعظم، والعُباب بالضم هو: الماء الكثير المندفق(3) المرتفع.

(ورمى بالزبد): لشدة ما يألفه من الحركة والاضطراب بالريح.

(ركامه): والركام هو: المتراكم المجعول بعضه على بعض، كما قال تعالى: {فَيَرْكُمَهُ}.

(فرفعه في هواء منفتق): فرفع الماء عن مستقره إلى هواء منفتق مشقوق، من فتق الشيء إذا شقه.

(وجو منفهق): والجو هو: المكان الخالي، والمنفهق: الواسع، فكان عاقبة هذا البحر، أن:

(سوى منه سبع سماوات): فهذه دلالة من كلامه عليه السلام على أمرين:

أحدهما: أن خلق الأرض كان قبل خلق السماء(4) وتكوينها.

---

(1) في (ب): ميل.

(2) في (ب): تكون.

(3) في (ب): المتدفق.

(4) في (ب): السموات.

(120/1)

وثانيهما: أن ظاهر كلامه دال على أن خلق السماوات إنما كان من البحر الموصوف حاله، وليس مناقضاً ها هنا لما قاله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}[فصلت:11]، لأنه يجوز أن يكون البحر بعد ما رمى بالزبد وعب صار دخاناً، لكنه لم يتعرض لذكره عليه السلام، واكتفى بما ذكره من صفة أحواله، فلا يكون ظاهره مناقضاً لما في الآية.

سؤال؛ أليس قد قال تعالى في سورة والنازعات بعد ذكره لخلق السماء: {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}[النازعات:30]، وهذا يدل على أن خلق الأرض بعد خلق السماء خلاف ما قررتموه؟

وجوابه؛ أنه يجوز أنه تعالى خلق كرة الأرض أولاً ثم أنه خلق السماء بعد ذلك، ثم بعد خلقه للسماء وتكوينها أقبل على دحو(1) الأرض وبسطها، كما قال: {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}[النازعات:30]، وعلى هذا لا تناقض فيه.

(جعل سُفْلاَهُنَّ): وهي التي تلينا جعلها.

(موجاً): من موج البحر.

(مكفوفاً): عن الحركة والهبوط إلى أسفل لما فيه من الثقل.

(وعُلْيَاهُنَّ سقفاً محفوظاً): والعليا منهنَّ كالسقف لما تحته محفوظاً محروساً عن تخطف الشياطين في استراق السمع.

(وسمكا(2) مرفوعاً): والسمك: الرفع على الأرض وعلى ما تحته من السماوات، ثم من القدرة الباهرة والإحكام البديع مع الانبساط الكلي جعلها.

(بغير عمد): من غير عماد وهو ما يعتمد عليه من عود وحجر.

(يدعمها): يكون دعامة له فيستقر عليه كما في مصنوعات الخلق، فإن أقل قليله مفتقر إلى الدعامة ليستقر عليها.

---

(1) في (ب): دحوآء.

(2) في (أ): وسمكها، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(121/1)

(ولا دسار ينتظمها): والدسار: واحد الدسر، وهو: الخيوط التي يشد بها ألواح السفينة، كما قال تعالى: {عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ}[القمر:13] يريد مع كثرة الانتظام في تأليفها فلا يحتاج إلى ما يضمها ويرأب بين أجزائها.

(ثم زينها بزينة الكواكب): ثم لما أكمل خلقها ونظمها على نظامها العجيب أتم خلقها بنور هذه الكواكب الجارية فيها، كما قال تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ}[الصافات:6] فأما سائر السماوات فيحتمل أن تكون مكوكبة وأن تكون غير مكوكبة، والكواكب هي: هذه النجوم كلها.

(وضياء الثواقب): المضيئة: الزاهرة، من قولهم: ثقبت النار(1) إذا اتقدت وظهر نورها.

(وأجرى فيها سراجاً مستطيراً): أجراه إذا جعله جارياً، وأراد بالسراج الشمس، واستطارتها: حركتها، والمستطير: الطالب للطيران من شدة الحركة وعظمها.

(وقمراً منيراً): مضيئاً ذا نور، وإنما خص هذين الكوكبين من بين سائر الكواكب لما يختصان به من عظم النور فيهما، ولما جعل الله فيهما من كثرة المنافع للخلق في تصرفهم ومعايشهم.

(في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر): الظرف متعلق بأجرى، أي وأجرى الشمس والقمر في فلك دائر، دورانه على حركة معلومة ومقدار محكم، وأراد بالسقف الفلك؛ لأنه لها كالسقف لأنها جارية فيه، وهو متضمن لها حركتها بحركته، فأما الرقيم ها هنا فإنما أراد به الفلك، وإنما وصف بالمور لكثرة حركته وشدتها في السرعة، وقد فسر قوله تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ}[الكهف:9] على أوجه ثلاثة كلها صالحة ها هنا:

(1) في (ب): الدر.

أما أولاً: فالرقيم هو: الكتاب، فلما جعل الله حركة الفلك والأبصار الكوكبية أسباباً لتجدد الحوادث في العالم السفلي(1) كان كالكتاب المرقوم، كما ذكره [السيد](2) الإمام علي بن ناصر الحسيني صاحب (أعلام النهج)(3).

وأما ثانياً: فبأن يكون الرقيم بنيان، كما حكي عن ابن عباس أنه قال: ما أدري ما الرقيم؟ أكتاب أم بنيان(4)؟

وهذا حاصل في الفلك فإنه مؤلف على نظام مخصوص.

وأما ثالثاً: فيحتمل أن يكون الرقيم لوحاً مكتوباً، وهكذا حال الفلك يحتمل ذلك.

ثم تكلَّم في خلق السماء والأرض، بقوله:

(ثم فتق ما بين السماوات العلا): يريد شق ما بين السماء والأرض، كما قال تعالى: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[الأنبياء:30] يريد فصلنا هذه عن هذه.

(فملأهنَّ أطواراً من ملائكته): فحشاهنَّ من الأطوار، يعني الخلق(5) المختلفة، كما قال تعالى: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}[نوح:14] ثم جعلهم أنواعاً ووصَّف لكل واحد منهم وصيفة في العبادة والقيام بأمره.

(منهم سجود لا يركعون(6)): واضعون جباههم على الأرض لا يرفعونها.

(وركوع لا ينتصبون): حانون أصلابهم لا يقيمونها.

---

(1) في (ب): السفال.

(2) سقط من (ب).

(3) اللفظ في أعلام النهج -خ- ص 4: ولعله أراد به الفلك؛ لأن الله تعالى جعل حركة الفلك واتصالات الكواكب سبباً لتجدد الحوادث في العالم السفلاني، كان ذلك كالكتاب المرقوم، ولذلك وصفه بالسير. انتهى.

(4) النهاية لابن الأثير 254/2، ومختار الصحاح ص253.

(5) في (ب): الخلوق.

(6) قوله: لا يركعون، زيادة في شرح النهج.

(وصافُّون لا يتزايلون(1)): مستوية أقدامهم من غير تفريق ولا مزايلة.
(ومسبحون): شاغلون ألسنتهم بالذكر وأنواع التسبيح وضروب التحميد لربهم، قد شغلوا بهذه الوظائف وخلقوا لها.
[(لا يسأمون): لا يملون](2).
(فلا يغشاهم): يعتريهم ويتلبَّس بهم.
(نوم العيون): إنما أضاف النوم إلى العيون لأن ظهور أوائله إنما يكون بالأعين ثم يتصل بسائر الأعضاء في الاسترخاء.
(ولا سهو العقول [ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان](3)): ولا يعرض لعقولهم ما يعرض لعقول البشر من السهو؛ لتحفظها وتيقظها(4)، ولا تعتريهم فترة في أبدانهم لما خصوه(5) من القوة وشدة البطش، ولا تلحقهم غفلة النسيان، بل هم على خلاف هذه الأحوال لما أراد الله بهم من الكرامة، وقرب المكان إليه، وعظم الزلفة عنده.
اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن تدخل عليهم الملائكة من كل باب بالتسليم والبشارة بحسن عقبى الدار.
(ومنهم): أي ومن الملائكة من خلقوا لغير هذه الحالة.
(أمناء على وحيه [وألسنة إلى رسله](6)): ينزلون بالوحي على ألسنة الرسل بالأحكام الشرعية والأخبار السماوية.
(ومختلفون بقضائه وأمره): بأنواع الرحمة وضروب البلاء لأهل الإحسان ولأهل الإساءة إلى غير ذلك من الخير والشر، والحياة والموت، وأنواع الأقضية والأوامر.

---

(1) قوله: لا يتزايلون، زيادة في شرح النهج.
(2) سقط من (ب).
(3) ما بين المعقوفين زيادة من شرح النهج.
(4) في (أ): وتنطقها، وما أثبته من (ب).
(5) في (ب): خصوا.
(6) زيادة من شرح النهج.

(ومنهم الحفظة لعباده): يريد الملائكة من يحفظ العباد، كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ}[الإنفطار:10] يحفظون أعمالهم ويضبطونها، ويحفظونهم بالليل والنهار عن الهوام وسائر المؤ ذيات حتى تنقضي آجالهم.

(ومنهم السدنة): يريد الحفظة والحجُّاب.

(لأبواب جنانه): كما قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا}[الزمر:71].

(ومنهم الثابتة في الأرض(1) السفلى أقدامهم): خلق عظيم قد رسخت في الأرض أقدامهم.

(ومرقت(2)): خرجت.

(من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار): يعني أقطار السماء وهو: جوانبها.

(أركانهم).

(والمناسبة): يريد المساوية.

(لقوائم العرش أكتافهم): إما بالنون وهو: جوانبها؛ لأن الكنف هو الجانب، وإما بالتاء وهو: المنكب، وكلاهما محتمل ها هنا.

(ناكسة دونه(3) أبصارهم): خافضون لأبصارهم هيبة لجلال الله وتعظيماً لسلطانه.

(متلفعون بأجنحتهم): التلفع هو: التغطي بالأجنحة على جهة التذلل.

(تحته(4)): الضمير للعرش فيكون التحت حقيقة، أو يكون الضمير للرب فيكون التحت مجازاً، أي تحت القهر والسلطان.

(مضروبة): أي مرخاة، من قولهم: ضربت الحجاب إذا أرخيته.

(بينهم وبين من هو دونهم): قوله: من هو دونهم، إما أن يريد به الملائكة غير هؤلاء الذين وصف حالهم، وإما أن يريد [به](5) من [هو](6) دونهم من الثقلين الجن والأنس.

---

(1) في شرح النهج: الأرضين.

(2) في شرح النهج: والمارقة.

(3) في (أ): دونهم، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(4) في (ب): من تحته.

(5) زيادة في (ب).

(6) زيادة في (ب).

(حجب العزة وأستارالقدرة): يحتمل أن تكون هذه الحجب والأستار حقيقة، وقد ضربها الله تعالى بينهم وبين من دونهم(1) لما يعلم من المصلحة وتنبيهاً على علو الدرجة، ويحتمل أن تكون مجازات، ولا حجاب هناك ولا ستر، وإنما الغرض هو بعدهم عمن دونهم وتمييزهم عمن سواهم، لا يعلم حالهم، كأنهم مضروب عليهم بحجب وأستار، فلا يحيط بحقيقة حالهم إلا الله تعالى.

(لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولايجرون عليه صفات المصنوعين): [أي](2) لا يطلقون عليه شيئاً من صفات الخلق إذ هي غير صادقة عليه.

(ولا يحدونه بالأماكن): أي لايعتقدونه في مكان فيقال: هو هناك.

(ولا يشيرون إليه بالنظائر): أي لا يعتقدون أن له نظيراً ومثلاً، فيقولون: هو مثل هذا، فسبحان القاهر في سلطانه، والعظيم في علو مجده وشأنه.

ثم تكلم في كيفية خلق آدم، بقوله:

(ثم جمع من حزن الأرض وسهلها): أراد أن الله تعالى ألف هذه الصورة وجمعها من أنواع مختلفة وضروب متباينة ليدل بذلك على إظهار قدرته وباهر حكمته، فركبها من حزن الأرض وهو: التراب الحزن الغليظ، والسهل هو: اللين السلس.

(وعذبها وسَبَخِها): العذب: الطيب المنبت، والسَّبَخُ: الفاسد المسترخي، فلا يصلح للإنبات.

(تربة): مجموعة من هذه الأخلاط المختلفة.

(سنَّها بالماء): متَّنها به ورقَّقها، أو حكَّها، من قولهم: سننت الحجر إذا حككته.

(حتى خلصت): من كل كدر.

(ولاطها بالبَّلة): لاط الحوض إذا طيَّنه بالتراب وملسه، والضمير للتربة أي(3) ملسها بالرطوبة.

---

(1) في (أ): دونه، وفي (ب) ما أثبته.

(2) سقط من (ب).

(3) في (ب): الذي.

(حتى لزبت(1)): أي لزقت بعضها ببعض، وكانت مختلطة، كما قال تعالى: {مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ}[الصافات:11] أي لازق.

(وأصلدها): صلَّبها، ومنه حجر صلد إذا كان صلباً.

(حتى صلصلت): أي صار(2) لها صوت ليبسها وصلابتها ورقة تركيبها. والصلصال: الطين اليابس غير المطبوخ، فإذا طبخ فهو الفخار بعينه، ثم جعلها على هذه الهيئة وركَّبها على هذه

التَّرْكِبة:

(لوقت معدود، وأجل معلوم): اللام في قوله: لوقت معدود متعلقة بقوله: (جمع تربة) يعني أنه جمع هذه التربة على هذه الكيفية، لأجل معلوم وهو ما بين تركيبها ونفخ الروح فيها.

سؤال؛ لِمَ قال: (سنَّها بالماء)، وقال: (لاطها بالبَلّة) وكلاهما محتاج(3) إلى ما يضم الأجزاء من الرطوبة؟

وجوابه؛ هو: أن السنَّ يفتقر إلى كثرة الماء؛ لأن الغرض أن يخرج بين الحجرين شيء يسيل منهما، فلهذا قال: (سنَّها بالماء) بخلاف حال التربة إذا لاطها، فإن الغرض هو لونها لتكون مجتمعة فلهذا قال: (لاطها بالبلّة) لما كان لا يفتقر إليها كافتقار السن.

(ثم نفخ فيها من روحه): النفخ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون المراد بالنفخ هو: الإحياء، ولا نفخ هناك أصلاً ولا منفوخ فيه، وإنما هو صادر على جهة التمثيل، وعبارة عن ما يحصل به الإحياء، وهو خلق الروح في هذه التربة المركبة على هذه الكيفية.

---

(1) بعده في شرح النهج: فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت.

(2) في (أ): صارت.

(3) في (ب): يحتاج.

(127/1)

وثانيهما: أن يكون الإحياء حاصلاً عقيب هذا النفخ، ويكون فيه سر ومصلحة استأثر الله بعلمها، ويكون إيجاد هذه الواسطة وهي النفخ كسائر الوسائط التي يفعلها الله تعالى، وقوله: (ثم نفخ [فيه](1)) يدل على أن بين تركيب الصورة ونفخ الروح فيها مدة متراخية؛ لأن ثم للمهلة والتراخي.

(فمثلت إنساناً): أي حصلت شخصاً تاماً، وإتيانه بالفاء هاهنا دلالة على عدم التراخي بين النفخ وصيرورتها إنساناً؛ لأن الفاء تدل على عدم المهلة، وإنساناً منصوب على الحال، أي مثلت على هذه الحالة مصورة على شكل الإنسانية(2).

(ذا أذهان يجيلها): أراد بالأذهان العقل وعلومه، [التي] (3) يجيلها في كل جانب، ولهذا قال عليه السلام: ((قلب ابن آدم أشد تقلباً من الريشة على ظهر الماء))(4).

(وفِكَرٍ يتصرف بها): الفِكَر هي: الأنظار والخواطر التي يتصرف بها في النفع ودفع الضرر.

(وجوارح يستخدمها(5)): كاليد والرجل فإنهما آلتان للكسب، وسائر الجوارح فإنها صارت مطيعة له

في كلما استعملها على جهة الانقياد من غير مخالفة.
(وأدوات يقلِّبها): فرَّق عليه السلام بين الجوارح والأدوات، فجعل الجوارح ما تكون سبباً للاكتساب وطريقة له، وجعل الأدوات ما ليس كذلك كالعين، ولهذا قال في الأول: يستخدمها، وفي الثاني: يقلبها، لا غير.
(ومعرفة يفرق بها): أراد بالمعرفة القلب؛ لأنه محل العلم والمعرفة، فلما كان المراد منه هو التمييز.
(بين الحق والباطل): وضع المعرفة مكانه.

---

(1) زيادة في (ب).
(2) في (ب): إنسانية.
(3) سقط من (ب).
(4) أورده في موسوعة أطراف الحديث 713/5، بلفظ: ((قلب ابن آدم أشد انقلاباً)) وعزاه إلى اتحاف السادة المتقين 303/7، وتأريخ بغداد 407/8.
(5) في شرح النهج: يختدمها.

(128/1)

(والأذواق والمشام): يعني ويفرق بين ما كان مذوقاً فيدركه بآلة ذوقه، وبين ما كان مشموماً فيدركه بآلة شمه.
(والألوان والأجناس): فالألوان يُدرك التفرقة بينها بحاسة البصر لأنها متضادة، والأجناس ما عدا ذلك من التفرقة بين الإنسان والفرس، والظلمة والنور، والحجر والماء، وغير ذلك من الأجناس المختلفة، التي يعلم اختلافها بالضرورة.
(معجوناً بطينة الأكوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحر والبرد، والبِلَّة والجمود(1) والمساءة والسرور): مركباً من أمور مختلفة، وانتصابه صفة لإنسان، ومنه العجين لأن المرأة تلويه(2) وتجمعه حتى يكون مركباً من أجزاء، وقد أشار عليه السلام في كيفية تركيب خلقه، إلى أنواع أربعة:
فالنوع الأول: الأكوان المختلفة:
وغرضه بالأكوان المختلفة هي: الأعضاء المفردة، وجملتها عشرة وهي: العظام، والعصب، والأوتار، والعضلات، والعروق، والشحم، والغشاء، والجلد، والشعر، والظفر، فهذه هي الأعضاء المفردة، وكل واحد من هذا(3) مختص بنفع وطبيعة تخالف غيره.
النوع الثاني: الأشباه المؤتلفة:

ويريد بالأشباه المؤتلفة ما كان مركباً من هذه الأعضاء، وجملتها ثمانية عشر: الدماغ، والعينان، واللسان، والأذنان، والقلب، والرئة، والحجاب الحاجز بين الصدر والبطن، والمعدة، والمعاء، والكبد، والمرارة، والطحال، والكليتان، والمثانة، والأنثيان، والذكر، والرحم. وهذه لها لطائف وخصائص ومنافع لايحيط بعجائبها إلا الله عز سلطانه.

النوع الثالث: الأضداد المتعادية.

---

(1) في (أ): الجمودة، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(2) في (أ): تلونه، وما أثبته من (ب).

(3) في (ب): هذه.

(129/1)

والمراد بكونها متعادية هو أنها لا تجتمع في محل واحد، وإنما يكون اجتماعها على(1) جهة التركيب بلطف الله ودقيق حكمته، وهذه هي الأمزجة، وجملتها تسعة، أربعة منها مفردة، وهذه هي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، وأربعة منها مركبة وهي: الحرارة مع اليبوسة، والحرارة مع الرطوبة، والبرودة مع اليبوسة، والبرودة مع الرطوبة، فهذه ثمانية، والتاسع هو: المزاج المعتدل من هذه.

النوع الرابع: الأخلاط المتباينة

ويعني بكونها متباينة هو: أن طبع كل واحد منها مباين(2) طبع الآخر، وهذه هي أربعة أيضاً: الدم، وهو حار رطب، والصفراء، وهي حارة يابسة، والسوداء، وهي باردة يابسة، والبلغم، وهو بارد رطب، فهذه إشارة إلى ما قاله عليه السلام على جهة الإجمال، ومن أراد الإطلاع على عجائب القدرة في خلقة الإنسان فعليه بكتب التشريح، ومن أبلغها: (الشفاء) لأبي علي بن سينا(3).

---

(1) في (ب): في.

(2) في (ب): يباين.

(3) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي [370-428هـ] شرف الملك، الفيلسوف، الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى، ونشأ وتعلّم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء ، واتسعت شهرته، وله مصنفات كثيرة منها: الشفاء في الطب أربعة أجزاء، والقانون في الطب، والإشارات وغيرها. (انظر الأعلام 241/2-242).

(واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته(1) لديهم، وعهد وصية إليهم، في الإذعان بالسجود له والجنوح(2) لتكرمته فقال: {اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا}[البقرة:34]: استأدى الشيء إذا طلب أداءه، يريد أن الله تعالى قد كان عهد إلى الملائكة عهداً أودعه عندهم وقرره في نفوسهم، بقوله: {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[الحجر:28]، وأمرهم بالإذعان وهو: الانقياد للسجود عند تسويته، واستقامته بشراً سوياً وشبحاً آدمياً تكرمةً [له](3) إذ جعله قبلة يسجد لله نحوه، كما فعل القبلة مكاناً يسجد لله نحوه، فقال: {اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا}[البقرة:24] امتثالاً للأمر وانقياداً له.

({إِلاَّ إِبْلِيسَ} وقبيله): هو: استثناء منقطع؛ لأن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما هو من الجن، وإذا كان مخلوقاً من نار والملائكة مخلوقون من نور فليس مندرجاً تحتهم فلهذا كان منقطعاً، وأنكر بعض الأصوليين الاستثناء المنقطع، وحمل الآية على أن التقدير فيها فسجد الملائكة ومن أمر بالسجود إلا إبليس، وعلى هذا يكون متصلاً، وهذا تعسف لا وجه له، فإن الانقطاع وارد في اللغة لايمكن دفعه، كقولهم: ما زاد إلا ما نقص، وما نفع إلا ماضر، وقد ذكرنا ما هو الحق من ذلك في الكتب الأصولية.

---

(1) في (ب): وديعة.

(2) في شرح النهج: والخنوع.

(3) سقط من (ب).

(اعترتهم الحمِّية): الضمير له ولقبيله، اعتراه الأمر إذا غشيه، قال تعالى: {إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}[هود:54] والحمِّية بالتشديد هو: الاحتماء وهي الأنفة، يقال: حمت عن كذا حمية، إذا أنفت عنه، وفعيل وفعيلة قلَّ ما يردان(1) في المصادر، فإن اسْتُعْمِلَ فَعِيْلُ مصدراً فهو مخصوص بالأهوات كالزبر والوجيف وغيرهما، واستعمال فعيلة(2) مصدراً قليل.

(وغلبت عليهم الشقوة): قهرتهم، وكانت هي المستولية بسلطانها(3) بها عليهم، والشِّقْوَةُ بكسر الفاء هي: للضرب من الفعل كالجِلْسة والْقِعْدة، والشَّقوة بفتح الفاء والشقاوة بمعنى الشقاء.

(وتعززوا بخلقة النار): أضافوا عزتهم إلى ما عليه النار من الحركة الشديدة، والنور الكثير، والتسلط على كل شيء بالإتلاف.

(واستوهنوا خلق الصلصال): واستضعفوا من الوهن وهو: الضعف ما عليه الصلصال من اسوداد جوهره وبشاعة خلقته، وخشانة تأليفه، وضعف قوته يثقب باد(4) في حركة تماسه، والمعنى في هذا هو أن إبليس وقبيله من الأبالسة والشياطين لما غلب عليهم التكبر واستحكم في أفئدتهم الاحتماء والأنفة عن السجود خالفوا أمرالله بالسجود لآدم فاستحقوا غضب الله وسخطه وإنزال(5) العقوبة لأجل المخالفة:

(فأعطاه الله النظرة): يعني التأخر إلىالآخرة، وعلل تأخره بأمور ثلاثة:

(استحقاقاً للسخطة): ليكون مستحقاً للسخط بالمخالفة، ويكشف عنه اللبس فيه.

---

(1) في (أ): يرد، وفي (ب)ما أثبته.

(2) في (ب): فعلية.

(3) في (ب): لسلطانها.

(4) كذا في (أ)، وفي (ب): ينفث ناراً...إلخ، ولعل الصواب: ينفث بأدنى حركة تماسه.

(5) في (أ): وأنزل.

(132/1)

(واستتماماً للبلية): ولتكون العقوبة تامة بما يزداد من [كفره] (1) المخالفة للأمر في الدنيا بسبب الإمهال.

(وإنجازاً لِلْعِدَةِ): حيث قال تعالى:

({إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ}[الحجر:37]): وهو الصادق فيما قال، والمنجز لما وعد.

(ثم أسكن سبحانه آدم عليه السلام داراً): وصلها بقصة إبليس لما بينهما(2) من التلازم، وهي قصة واحدة، فلما أراد الله تعالى كرامة آدم بخلقه وإسكانه الجنة.

(أرغد فيها عيشته(3)): أطابه من قولهم: عيش راغد ورغد(4) إذا كان طيباً.

(وآمن فيها محلته): المحلة: المنزلة(5) بفتح العين، والمحل أيضاً بفتحها هو: المكان الذي يحل فيه، وهما واردان على القياس، فأما قوله تعالى: {حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ}[البقرة:196] فهو خارج عن قياس(6) بابه وخروجه كخروج المسجد والمنسك، وأراد أنه(7) جعله في عيش طيب، وأمن لا يخاف.

(وحذره إبليس وعداوته):

سؤال؛ في أي موضع قد قرر(8) الله عداوة إبليس ومكره لآدم، حتى قالعليه السلام: (وحذره عداوته)؟

وجوابه؛ أنه(9) من وجهين:

أما أولاً: فيحتمل أن يكون الله تعالى(10) قد أبلغه(11) ذلك على لسان جبريل مع غيره من أنواع الحكم.

---

(1) سقط من (ب).
(2) في (أ): بينها، وما أثبته من (ب).
(3) في (أ): عيشه، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.
(4) في (أ): ورغداً.
(5) في (ب): المنزل.
(6) في (أ): القياس، وما أثبته من (ب) فهو الصواب.
(7) في (ب): وأراد به.
(8) في (ب): قدر.
(9) سقط من (ب) قوله: إنه.
(10) زيادة في (ب) قوله: تعالى.
(11) في (ب): بلغه.

(133/1)

وأما ثانياً: فلمكان ما وقع منه من المخالفة في الأمر بالسجود لآدم، فإذا كان قد اعتراه الحسد والأنفة في سجدة لايناله بها نفع عاجل إلا الكرامة، فأنف عنها، واستكبر عن تأديتها، فكيف حاله إذا فاز بالنعيم المقيم، والفوز الذي لا فوز وراءه، فعلى هذا يكون مكره أكثر، وعداوته له أعظم وأكبر فلهذا أعمل رأيه وضرب سهامه.

(فاغتره إبليس(1) نفاسة عليه): فأتاه علىغرة، وأنفذ فيه(2) مكره من حيث لا يشعر، كما قال تعالى: {فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ}[الأعراف:22]، ونفست فلاناً على كذا إذا حسدته إياه، ولم تره أهلاً له، وانتصاب نفاسةً على المفعول له، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال، أي حاسداً له من فاعل اغتره، وهو إبليس حيث رآه ساكناً مستقراً:

(بدار المقام): موضع الإقامة حيث لايظعن الساكن، ولا يرحل المقيم وحيث وجده مطمئناً.

(ومرافقة الأبرار): من الأنبياء والصالحين والشهداء.

(فباع): يعني آدم أي فكان ما تقدم من الاغترار سبباً للبيع.

(اليقين): إما علمه بعداوة الشيطان وخدعه، وإما يقينه بما هو فيه من لذاذة(3) العيش ورغده.

(بشكه): وهو: ظنه أن إبليس ناصح له في قوله: {إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}[القصص:20].

(والعزيمة): وهي الأخذ بالحزم في مخالفة أمر اللعين، ومجانبة خفي مكيدته.

(بوهنه): بما تحققه من بعد من ضعف رأيه في الانقياد لما قاله إبليس.

سؤال؛ لِمَ عدل عن اللام إلى الإضافة في قوله: (فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه) وهلا ساوى بينهما باللام بأن يقول: فباع اليقين بالشك، والعزيمة بالوهن؟

---

(1) في شرح النهج: عدوه.

(2) سقط من (ب) قوله: فيه.

(3) في (ب): لذة.

(134/1)

وجوابه هو؛ أن اليقين والعزيمة كأنهما من جهة الله بتوفيقه ولطفه فلا اختصاص له بهما، بخلاف الشك والوهن فإنما كانا باغتراره من جهة نفسه، فلهذا أضافهما إلى آدم لما لهما من مزيد الاختصاص به.

(فاستبدل(1) بالجذل): وهو ما كان فيه من السرور واللذة والغبطة.

(وجلاً): وهو مفارقة اللذة، ورغد المعيشة، واستشعار لزوم العقوبة الدائمة لمخالفة الأمر من الله تعالى.

(وبالاغترار): وبما كان من تعويله على الاغترار.

(ندماً): وهو عضُّ الأنامل على ما نزع منه وفاته، ثم تداركه الله تعالى بما كان من لطفه [به] (2)ورحمته إياه.

(ثم بسط الله سبحانه(3) له في توبته): يعني أنه ألهمه للاستغفار بقوله: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[الأعراف:23].

(ولقَّاه كلمة رحمته): بقوله: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ}[البقرة:37] وقرئ [كلمات] (4)بالنصب على أن آدم هو المتلقي لهن، وقرئ بالرفع على أنهن المتلقيات له بالتدارك والرحمة.

(ووعده المردّ إلى جنته): بقوله: {فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[البقرة:37] ثم كان بعد الإقدام على مخالفة الأمر بأكل الشجرة.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: واستبدل.

(2) سقط من (أ).

(3) قوله: الله سبحانه، زيادة من شرح النهج.
(4) زيادة في (ب).

(أهبطه إلى دار البلية): أهبطه أي أنزله من علو، يكون متعدياً لمكان الهمزة كأخرجه، وهَبَطَ يَهْبِطُ وَهَبَطَهُ يَهْبِطُه،بغير همزة يتعدى(1) تارة ويلزم أخرى، دار البلية هي: الدنيا لما فيها من التكاليف الشديدة، ومقاساة الأمور الصعبة، والأمراض، والغموم، والأحزان الكثيرة.

(وتناسل الذرية): وحيث أذن الله بالتناكح الذي يحصل بسببه النسل والتوالد، وبعد وقوع ذلك وحصوله من جهة الله تعالى كلفهم بما قرره في عقولهم، وعهد إليهم بما ركبه في أفهامهم من معرفة توحيده، وتنزيهه عمَّا لا يليق بذاته.

(فاصطفى سبحانه من ولده أنبياء): الاصطفاء هو: الا ختيار، فاختار الله هؤلاء الأنبياء، واختصهم بالرسالة لما يريده من كرامتهم، وإبلاغ الحجة على الخلق، كما قال تعالى: {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}[النساء:165].

(أخذ على الوحي ميثاقهم): أخذ الميثاق هو: تأكيده وتحصيله(2)، كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ}[آل عمران:81]، والميثاق: ما يستوثق به من ذمة ويمين، وقوله: على الوحي أي على حفظ الوحي وإبلاغه من غير خيانة [فيه] (3) بزيادة، ولا تقصير في أدائه.

(وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم): الرسالة: مايرسل به من كلام وشريعة، والمصدر منه هو: الإرسال، والمعنى وأخذ على تبليغ الرسالة إلى الخلق ما ائتمنهم عليه من أنواع التكاليف وسائر ما تعبدوا به أمانتهم الأمانة والأمن والأمنة مصادر كلها بمعنى واحد، وقد تطلق الأمانة على الشيء المؤتمن عليه.

---

(1) في (أ): مبعداً، وهو تحريف.
(2) في (ب): وتحصله.
(3) سقط من (ب).

سؤال؛ ما المراد بالأمانة والميثاق اللذين أخذهما الله تعالى(1) على الأنبياء، كما دل عليهما(2) كلامه ها هنا؟

وجوابه؛ هو أن يبلغوا ما أرسلوا به، ولا يغيروا شيئاً بزيادة ولا نقصان ولا تحريف، والمواثيق ثلاثة:

أولها: ما أخذه الله تعالى على الخلق من الإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته، كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ [ذُرِّيَّاتَهُمْ](3)}[الأعراف:172].

وثانيها: ما أخذه الله على الأنبياء في تبليغ ما أرسلوا به، حيث قال: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ}[الأحزاب:7].

وثالثها: ما أخذه الله على العلماء من بيان ما علموه، حيث قال: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ}[آل عمران:187].

(لما بدل أكثر الخلق عهد الله [إليهم](4)): يريد اصطفاهم حين بدل أكثر الخلق، خالفوا ما عهد إليهم من هذه المواثيق والعقود.

(فجهلوا حقه): وضيعوا ما يليق بأمره من توحيده والإقرار بمعرفته والقيام بعبادته، والقيام بواجباته، فخالفوا ذلك كله فتركوا التوحيد.

(واتخذوا الأنداد [معه](5)): وهي الأصنام والأوثان المعبودة، وكل ما يعبد من دون الله من جماد وحيوان، وعبادة الأصنام قديمة، ولهذا فإنها واقعة في أيام نوح، ولم يبلغ إلينا التأريخ إلا من زمانه.

---

(1) زيادة في (ب) قوله: تعالى.

(2) في (ب): عليه.

(3) سقط من (أ).

(4) زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(5) سقط من (أ).

(واحتالتهم(1) الشياطين عن معرفته): الاحتيال بالحاء المهملة افتعال من قولهم: حال عن العهد، إذا حوَّله وغيَّره، وبالخاء المعجمة افتعال من اختاله إذا غره وخدعه، والمعنى هو أن الشياطين ما زالت في المكر والخديعة بهم حتى غرتهم وحولتهم عن معرفة الله تعالى فأزلتهم عن معرفته إلى جحدانه، وعن شكر نعمته إلى كفرانه.

(واقتطعتهم(2) عن عبادته): يريد أن الشياطين لما أزلُّوهم عن تحقق المعرفة وثبوتها، كأنهم اقتطعوهم عن العبادة التي هي ثمرة المعرفة.

(فبعث فيهم رسله): تقريراً لما ذكرناه وتحذيراً من خلافه.

(وواتر إليهم أنبياءه): يعني تابع بينهم نبياً على إثر نبي، إبلاغاً للحجة وقطعاً للمعذرة، والمواترة لاتكون إلا إذا وقعت هناك فترة، كما فعل في حق الأنبياء، فإن الفترات حاصلة على قدر ما علمه من المصلحة، فكان(3) بين موسى وعيسى، قيل: ألف سنة، وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، قيل: ألف سنة(4)، فأما إذا لم تكن هناك فترة لم تكن مواترة، وإنما هي مداركة وبعثتهم على ما ذكرناه من هذه الفترات.

---

(1) في (أ): واحتالهم، وما أثبته من (ب)، وفي شرح النهج: واجتالتهم، أي أدارتهم.

(2) في (أ): فاقتطعتهم.

(3) في (ب): وكان.

(4) وفي المصابيح لأبي العباس الحسني صـ152: ستمائة سنة.

(138/1)

(ليستأدوهم(1) ميثاق فطرته): ليطلبوا منهم ما ألزمهم من الميثاق الذي واثقهم عليه، وهو ما تقضي [به] (2) الفطرة من الإقرار به، ومعرفته وحمدانيته(3)، واستحقاقه للعبادة، كما قال تعالى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم:30] يعني الإقرار بالربوبية، وقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[الذاريات:56].

(ويذكروهم منسيَّ(4) نعمته): ويوقظونهم بالتذكير عن الغفلة التي كانت سبباً في نسيان النعمة، والمنسي مفعول وهو الشيء الذي ينسى.

(ويحتجوا عليهم بالتبليغ): يكون غايتهم في تقرير الحجة على الخلق هو: أنا قد أبلغناكم(5) ما أُرْسِلْنَا به، وهو غاية جهدنا: {لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ}[الجن:28]، فأما الإلجاء بالقسر فلا وجه له لما فيه من بطلان الغرض المقصود بالتكليف.

(ويثيروا لهم دفائن العقول): أثار الشيء إذا(6) أظهره، والدفين: المدفون وهو: ما يخبأ، ومراده عليه السلام بذلك هو أن الرسل صلوات الله عليهم أظهروا ما كان مخبوءاً من الدلائل العقلية، ونبهوا على الاستدلال بها، وكانت عقول الخلق قاصرة عن استثارة هذه الدفائن، وإظهار الأسرار العجيبة.

---

(1) في (أ): ليستأدوا، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(2) سقط من (ب).

(3) في (ب): ومعرفة وحدانيته.

(4) في (أ): منشى، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(5) في (ب): بلغناكم.

(6) سقط من (ب) قوله: إذا.

(ويروهم آيات المقدرة): ليستدلوا بها على(1) معرفة الصانع وتوحيده، كما قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ}[فصلت:53]، فالذي يكون في الآفاق أمور ثلاثة(2):

(من سقف مرفوع فوقهم(3)): وهو السماوات كلها.

(ومهاد تحتهم موضوع): وهي الأرضون السبع.

(ومعايش تحييهم): وهي الثمرات وأنواع الفواكه، وأما التي في أنفسهم فهي ثلاثة أيضاً:

(وآجال تفنيهم): فإنها مع طولها وقصرها موعدها الموت.

(وأوصاب تهرمهم): الأوصاب هي(4): الأمراض، يقال: وَصِبَ الرجل يَوْصَبُ إذا وجع، والهرم هو: ضعف القوى في جميع الحواس.

(وأحداث تتابع عليهم): من الرخاء والشدة، وأنواع المصائب العارضة، فقد أشار عليه السلام بهذه الأمور الستة إلى ما(5) ذكرالله في قوله: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآَفَاقِ[وَفِي أَنْفُسِهِمْ]}[فصلت:53]، بأحسن لفظ وأوجزه، فإن هذه الأشياء [كلها] (6) دالة على وجود الصانع وباهر قدرته، وكل واحد منها دال على أنه لا بد له من فاعل وموجد ومقدر، لما يرى فيها من الاختلاف والتباين، فالأرض تخالف السماء، والماء يخالف الحجر، فلا بد لها من فاعل يخالف بين حقائقها، ولكونها حاصلة على هذه الكيفيات بعد أن لم تكن، وفي ذلك أبهر القدرة على وجود الصانع الحكيم المدبر العليم، والمقدرة هي: القدرة بفتح العين وضمها وكسرها.

---

(1) في (أ): عن، وما أثبته من (ب).

(2) في (ب): بينة.

(3) في شرح النهج: من سقف فوقهم مرفوع.

(4) في (ب): هو.

(5) سقط من (ب) قوله: ما.

(6) سقط من (ب).

فأما القدرة(1) من القدر، فإنما تكون بفتح العين لاغير، ولهذا قيل: المقدرة(2) بضم العين تذهب بالحفيظة لما كانت من القدرة، وكل هذه الآيات قد نبه عليها الأنبياء أعظم تنبيه، وأظهروها غاية الإظهار، فلأجل هذا.

(لم يخل الله سبحانه خلقه(3) من نبي مرسل): النبي قد يكون مرسلاً وغير مرسل، والتفرقة بينهما ظاهرة، فإن الرسول من الأنبياء هو من جمع إلى المعجز الشريعة المبعوث بها، والنبي هو: الذي يظهر عليه المعجز من غير شريعة، وإنما أمر بالدعاء إلى شريعة من كان قبله من الأنبياء وتجديدها خلافاً لأبي هاشم وغيره من المعتزلة، حيث أحالوا بعثة النبي من غير شريعة جديدة، ولهذا فإن الرسول عليه السلام سئل عن الأنبياء؟ فقال: ((مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً(4)))، وسئل عن الرسل؟ فقال: ((ثلاثمائة وثلاثة عشر))، وفي هذا دلالة بيِّنة على التفرقة بين الرسول والنبي، فلهذا قال: من نبي مرسل، إشارة إلى التفرقة التي ذكرناها، ولله درُّ كلام أمير المؤمنين فما أكثر فوائده، وأدق عند التفتيش معانيه.

---

(1) في (ب): المقدرة.

(2) في (أ): المقدر، وما أثبته من (ب).

(3) قوله: خلقه، سقط من (أ)، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(4) أخرجه الإمام أبو العباس الحسني في المصابيح صـ132-133، من حديث طويل بسنده عن أبي ذر، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 204/1، بسنده عن أبي ذر أيضاً.

(141/1)

(أو كتاب منزل): مضمن لما يصلحهم من فروض واجبة، وسنن واضحة، وأعلام بينة، والله تعالى يريد أن يهديكم سنن الذين من قبلكم، ومنزل(1) يروى بالتشديد أي أنه نزَّل شيئاً بعد شيء على حسب المصلحة، كقولك: تجرَّع وتجشَّأ، ويروى بالتخفيف على معنى أنه نزل(2) دفعة واحدة من غير تفريق.

(أو حجة لازمة): والحجة هي أكبر(3) البرهان، وإنما وصفها باللزوم؛ لأنها لتحققها وثبوتها كأنها لاصقة بمن أقيمت عليه.

(أو محجة قائمة): المحجَّة بالفتح: جادة الطريق، وهو جار على قياس بابه في الفتح، وإنما وصف المحجة بالقيام لأنها لكونها دالة على الحق، مرشدة إليه لاتعوج أبداً.

(رسل): أي هم رسل، وإنما نكَّره لما في تنكيره من الفخامة، وعظم الموقع في النفوس، كأنه قال: هم رسل وأي رسل، ونظيره قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}[البقرة:179].

(لا تقصّر بهم قلة عددهم): أراد [أن](4) قلة عددهم لا تعجزهم عن إبلاغ ما حملوا من أداء الرسالة، من قولهم: قصَّرتُ عن الشيء إذا عجزت عنه، أو أراد أن قلة عددهم لا تخذلهم عن بلوغ أقصى الغاية في تحمل أعباء النبوة وأثقالها، من قولهم: قصر السهم عن الهدف إذا لم يبلغه، وكلاهما جيد لا غبار عليه.

(ولا كثرة المكذبين لهم): معناه ولايعتريهم ريب، ولا يخالجهم(5) شك في صحة ما جاءوا به، وإن بلغ المكذبون بهم كل غاية في الكثرة.

(من سابق): بيان لقوله: رسل وتقسيم لهم، والسابق هو: المتقدم.

(سُمِّي له من بعده، أو غابرعرَّفه من قبله): يريد عليه السلام أن الأنبياء صلوات الله عليهم هم على قسمين:

---

(1) في (ب): وينزل.

(2) في (ب): أنزل.

(3) قوله: أكبر سقط من (ب).

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): ولا يخالطهم.

(142/1)

إما: متقدم، سمى الله له من يأتي بعده من الأنبياء باسمه ولقبه.

وإما: غابر أي ماضي عرفه الله من قبله من الأنبياء.

سؤال؛ لم قال فيمن سبق: سمي، وفيمن غبر: عرَّف، وهلاَّ سوَّى بينهما في التعريف أو التسمية من غير مخالفة بينهما؟

وجوابه؛ هو أن تعريف الشيء بصفته أكثر وأوضح من تعريفه بلقبه، لما يقع في الاسم من اللبس دون الصفة، فمن(1) سبق من الأنبياء لا يمكن تعريفه من يأتي بعده من الأنبياء إلابااللقب والاسم لاغير؛ لأنهم لم يوجدوا بعد فيعرفهم بصفاتهم، وذكر أحوالهم، وأما من ليس متقدماً من الأنبياء فتعريف الله له حال من قبله من الأنبياء إنما هو بالوصف لكونه أدخل لإمكانه في حقهم، فلهذا قال عليه السلام في الأول: سمي، وفي الثاني: عرف، إشارة إلى هذه الدقيقة.

(على ذلك نسلت القرون): ذلك إشارة إلى ما تقدم من الإرسال للرسل وبعثهم لإصلاح أحوال الخلق

وإرشادهم، ونسلت القرون أي: توالدوا وكثروا، وقولهم: نسلت الدابة إذا ولدت بكثرة، وعلى متعلقة بنسلت، والقرون هم: الأمم الماضية جمع قرن.

(ومضت الدهور): تقضَّت، وإنما سمي الدهر دهراً؛ لاجتماعه من قولهم: دهورت الشيء إذا جمعته، فلما كان عبارة عن اجتماع الأيام والسنين سمي دهراً. والدهور جمع دهر، قال:

إن دهراً يلفُّ شملي بجُمْلٍ(2) .... لَزَمَانٌ يهمُّ بالإحسانِ(3)

---

(1) في (أ): فيمن، وما أثبته من (ب).

(2) الجُملُ: الحبل.

(3) ورد البيت في لسان العرب 1024/1، ترتيب يوسف خياط، ولفظ الشطر الأول فيه:

إن دهراً يلف حبلي بجمل

(143/1)

(وسلفت الآباء، وخَلَفَتِ الأبناء): السلف بتحريك(1) العين هم: آباء الرجل المتقدمون ولايسكَّن، والخلف هم: الأبناء المتأخرون، يقال: هذا خلف صدق من أبيه، وخلف سوء من أبيه، بالتحريك والتسكين فيهما جميعاً.

قال الأخفش: هما سواء منهم من يحرّك فيهما جميعاً، ومنهم من يسكّن فيهما أيضاً، ومنهم من فرَّق فقال: خلف سوء بالتسكين، وفي خلف صدق بالتحريك(2).

(إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم(3)): أراد أنه غاية للرسل وخاتم الأنبياء، وإلى متعلقه بما مضى قبلها من الأفعال مثل نسلت ومضت أي استمر ذلك إلى أن بعثه.

(لإنجاز عدته): نجاز العدة إتمامها بالإعطاء؛ لأن الله سبحانه قد كان عهد إلى الأنبياء قبله صلوات الله عليهم أنه يبعث نبياً يكون خاتماً للأنبياء، مقرون(4) بالساعة، وعلى إثره القيامة، ولهذا قال عليه السلام: ((وجبت لي النبوة وآدم طينة)) والعدة والموعد والوعد سواء، واللام متعلقة ببعث.

(وإتمام نبوته): لأن البشارة المتقدمة ووجود البعث المتأخر عنها فيه تمام النبوة وإكمالها.

(مأخوذاً): حال من محمد.

---

(1) في (ب): بفتح.

(2) انظر مختار الصحاح ص185، والأخفش هو الأخفش الأوسط، وهو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي، ثم البصري، أبو الحسن، المتوفى سنة 215هـ، نحوي، عالم باللغة والأدب، أخذ عن سيبويه، وله تصانيف منها: تفسير معاني القرآن، والاشتقاق وغيرهما (الأعلام

.(102-101/3

(3) قوله: وسلم، زيادة في (ب).

(4) هكذا في (أ) و(ب) بالرفع، ويجوز أن يكون مقروناً.

(144/1)

(على النبيين ميثاقه): الضمير إما لله بمحمد(1)، ويكون معناه أن الله أخذ ميثاقه وهو الدعاء إلى توحيده والإقرار بربوبيته، وإما لمحمد ويكون معناه أن الله أخذ ميثاق محمد وهو تصديقه والاعتراف بنبوته(2).

(مشهورة سماته): ظاهرة علاماته، كما قال الله تعالى: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ}[الأنعام:20].

(كريماً ميلاده): الميلاد: اسم للوقت الذي يولد فيه الرجل، والمولد: اسم المكان الذي يولد[فيه] (3)، والوقت الذي ولد فيه عليه السلام كان كريماً لما ظهر فيه من الأسرار النبوية، وتجلت بسببه الأنوار الإلهية، وقد قيل: إنه لما ولد انكبت الأصنام على وجهها(4) إيذاناً بمجيء الحق، وزهوق الباطل، وإشعاراً بانكساف نجومه، وتقلص ظله الزائل.

(وأهل الأرض): ومن كان على وجه البسيطة.

(يومئذ): يوم كان مولوداً، ويوم بعثته، لكن تركت هذه الجمل، وكان التنوين عوضاً عنها، ونظيره ساعتئذٍ وحينئذٍ.

(ملل): أي أهل ملل، والملة: الدين والشريعة، وهكذا النحلة وهو: ما ينتحله(5) الإنسان، ويدين به من الأديان كلها حقاً كان أو باطلاً.

وقوله: وأهل الأرض، وملل، جملة ابتدائية في موضع نصب على الحال من بعث، كقولك: جاء زيد والشمس طالعة.

(متفرقة): فمن عابد لوثن أوساجد لصنم أونور أونار إلى غير ذلك من الأديان الضالة والملل المبتدعة.

---

(1) في (أ): إما لله أو لمحمد، وما أثبته من (ب).

(2) في (أ): بثبوته، وما أثبته من (ب).

(3) سقط من (أ).

(4) في (ب): وجوهها. وانظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني رضي الله عنه ص101.

(5) في (أ): ينحله، وفي (ب) ما أثبته.

(145/1)

(وأهواء منتشرة): الهوى: ما تدعو إليه النفس وتنزع إليه، وإنما وصفها بالانتشار، لأنهم حكموا فيها أهواءهم، واتبعوا في الانقياد لها آراءهم، فأوقعتهم في الحيرة، وضلِّوا بها في كل مستاهة(1).

(وطرائق متشتتة): الطرائق: جمع طريقة، وهي: المذهب والنحلة، قال تعالى: {كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا}[الجن:11] أي مللاً مختلفة أهواؤها، والتشتت: عبارة عن التفرق، مأخوذ من الشت وهو التفريق، يقال: كساء مشتوت إذا كانت خيوطه متباعدة، هم.

(بين مُشَبِّهٍ لله بخلقه): البين: يستعمل في الفصل والوصل، وهو من أسماء الأضداد، كالسدفة فإنها تستعمل للضوء والظلام، وقرئ قوله تعالى: {لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ}[الأنعام:94] بالرفع أي وصلكم، وبالنصب على حذف الموصول أي ما بينكم، وانتصابه على الظرفية ها هنا، والمشبِّه من قال: إن الله تعالى بصفة الجسم في الحصول في الحيز(2)، والأعضاء والجوارح، أو بصفة العرض في الحلول، وهذه مقالة لفرق وطوائف.

(أو ملحد في اسمه): ألحد في دين الله(3) إذا عدل عنه، ومنه اللحد لأنه مشتق في غير سمت القبر، وإنما قال عليه السلام: ملحداً في اسمه؛ لأنهم عدلوا باسم الله إلى غيره، فسموا غيره باسمه، فقال للأصنام: آلهة، والإلهية على الحقيقة مختصة به، لا تطلق على غيره.

---

(1) في (أ): مسلهة هكذا رسمها الناسخ، وما أثبته من (ب)، ولم أهتدِ للمعنى.

(2) في (أ): والحيز، وما أثبته من (ب).

(3) في (ب): ألحد في الدين.

(146/1)

(أو مشير إلى غيره): الإشارة هاهنا إما بالإلهية، حيث قالوا: هذه الأصنام آلهتنا، كما قال تعالى حاكياً عنهم: {ءآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ}[الزخرف:58]، وإما بالعبادة كما قال: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}[الزمر:3]، وإما بإضافة هذه الآثار والحوادث في عالمنا هذا إلى الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية، فكل هذه الأمور مختصة به، فإذا أضافوها إلى غيره فقد أشاروا بها إلى غيره.

(فهداهم به من الضلالة): الضمير لمحمد صلى الله عليه [وآله وسلم](1)، والضلالة مصدر ضل يضل ضلالة.

(وأنقذهم بمكانه من الجهالة): الإنقاذ هو: التخلص، يقال: أنقذه من كذا إذا خلصه منه، والمكان ها

هنا مجاز، مثله في قولك: ماكنت لأحسن إليك لولا مكان فلان، والجهالة مصدر يقال: جهل جهلاً وجهالة.

(ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم(2) لقاءه): أراد أنه صلى الله عليه وآله [وسلم] لما بلغ الرسالة، واستقام كما أمر، أكرمه الله تعالى بملاقاة ربه، وإنما كان مختاراً لما فيه من الخلاص من بلوى الدنيا وكدرها، وما في ذلك من الفوز برضوان الله وكريم جواره.

(ورضي له ما عنده): من الدرجات العالية والنزل الكريم.

اللَّهُمَّ، أسعدنا برضوان من عندك، وبشارة بالفوز(3) بثوابك.

(وأكرمه عن دار الدنيا): أراد أن نيل الكرامة كلها له(4)، إنما كان بنقله عن الدنيا وإراحته عن غمومها وأحزانها.

---

(1) قوله: وسلم، زيادة في (ب).

(2) قوله: وسلم، زيادة في (ب).

(3) في (أ): الفوز، وفي (ب) ما أثبته.

(4) قوله: له، سقط من (ب).

(147/1)

(ورغب به عن مقام البلوى): رغب في الشيء إذا أراد به، ورغب عنه إذا لم يرده(1)، ورغبت به عن كذا إذا لم ترده(2) على تلك الحال، كما تقول: رغبت بفلان عن السفر، ورغبت بكتابي عن العارة إذا لم ترده على ذلك، والغرض أن الله تعالى رغب بنبيه أي لم يرده للدنيا، وإنما أكرمه بما عنده فنقله إليه، والمقُام: يروى بضم الميم من أقام وبفتحها من قام، والبلوى مصدر كالرجعى والبشرى(3)، أي مقام البلاء.

(فقبضه إليه كريماً): إما قبض(4) كريماً من الرفق بروحه والسهولة في قبضها، وإما وهو كريم بما أجزل(5) الله له من الثواب على إبلاغ الرسالة على وجهها واحتمال مشاقها.

(وخَلَّف فيكم ما خَلَّفت الأنبياء في أممها): يريد أنه صلى الله عليه ما مات إلا بعد إبلاغ الرسالة، وإيضاح كل مشكل، وبيان كل عمى.

(إذ لم يتركوهم هملاً(6) بغير طريق واضح، ولا علم قائم): الطريق: يذكر ويؤنث، وهو ها هنا عبارة عن الأدلة الواضحة، والعلم هو: المنار في الطريق.

قال جرير(7):

إذا قطعنَ علماً بدا علمُ(8)

(1) في (ب): رغبت في الشيء إذا أردته، ورغبت عنه إذا لم ترده.

(2) في (أ): يرده.

(3) في (أ): والنُّشرى.

(4) في (ب): قبضاً.

(5) في (أ): لما أخزن.

(6) قوله: هملاً، زيادة من (ب) وشرح النهج.

(7) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي، من تميم [28-110هـ] أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، له نقائض مع الفرزدق، جمعت وطبعت في ثلاثة أجزاء، وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام 119/2).

(8) صدره:

على قلاص مثل خيطان السلم

انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 154/1.

(148/1)

والعلم في الثوب، والعلم هو: الراية؛ لأن المأخوذ على الأنبياء هو المناصحة للأمم كلها، والدعاء به لهم في بذل مايحتاجون له(1) من أمر دينهم، ولا شك أن حاجتهم بعد موت الأنبياء أكثر من حاجتهم مع وجودهم إلى البيان والإيضاح.

(كتاب ربكم): بيان لقوله: ما خلفت الأنبياء، وبدل منه.

(مبيناً): حال من الرسول أي خلف مبيناً له.

(حلاله وحرامه): يعني ما تضمنه من التحليل والتحريم، فالحلال ما أمر به أو ندب إليه(2)، والحرام ما نهى عنه، أو ورد الوعيد على فعله.

(وفضائله): وهي جمع فضيلة، والفضيلة: إما الأمور التي تضمنها، وكان دالاً عليها من المعاني الدقيقة والأسرار العجيبة، وتضمنه للأخبار الغيبية، وغير ذلك مما هو مرشد إليه من الغرائب والعجائب، التي لا تزال مستنبطة منه غضة طرية على وجه الدهر، وإما أن تكون الفضائل هو أوصافه الممدوح بها، كقوله عليه السلام: ((كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل))(3) فالفضائل محتملة(4) لما ذكرناه.

(وفرائضه): وهي(5) ما دل على كونه فرضاً لازماً كالصلاة والزكاة وغير ذلك، مما كان فرضه من جهة الكتاب، نحو الفرائض المقدرة في الميراث وغيرها .

(1) في (ب): ما يحتاجونه.
(2) قوله: إليه، سقط من (ب).
(3) هو من حديث طويل أخرجه بسنده عن علي عليه السلام الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 91/1 إلا قوله: ((ومن عمل به أجر)) فليست فيه، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل))، أخرجه من حديث طويل الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص19، الحديث الخامس، عن أبي سعيد الخدري.
(4) في (أ): محتمل.
(5) في (ب): وهو.

(149/1)

(وناسخه ومنسوخه): وهذا نحو آية السيف، فإنها ناسخة لأحكام كثيرة، وهي قوله تعالى: {اقْتُلُوهُمْ} فإنها نسخت قوله تعالى: {مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}[الأنعام:107]، و{حَفِيظٌ} و{مُصَيْطِرٍ} وقوله[تعالى](1): {إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ}[الشورى:48]، ونحو قوله تعالى في عدة الوفاة(2)، فإنها ناسخة لقوله تعالى: {مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ}[البقرة:240].
(ورخصه وعزائمه): الرخصة: ما جاز تركه مع قيام سبب وجوبه، نحو أكل الميتة للمضطر، [فإن سبب التحريم قائم وهو النص، لكنه رخص للمضطر](3) في أكلها، ونحو رخصة السفر في قصر الصلاة، والإفطار للمسافر وغير ذلك من الرخص الشرعية، فإن الأسباب الموجبة للتحريم والوجوب قائمة، ولكن الله تعالى بسعة رحمته للعباد رخص لهم في ذلك، وأما العزائم فهي: عبارة عن الأمور الواجبة يقال: عزم على هذا الأمر أي قطع على فعله وحتمه، فكل ما كان مقطوعاً بوجوبه علماً أو من جهة الظن فهو عزيمة.
(وخاصه وعامه): العام: ما كان مندرجاً تحته أفراد على جهة الاستغراق، وأكثر عمومات القرآن مخصوصة إلا القليل منها، وهذا كقوله: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[البقرة:29]، وقوله: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}[هود:6].

(1) زيادة في (ب).
(2) وهي قوله عز وجل: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً}.
(3) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(150/1)

وأما الخاص فهو: عبارة عن الدليل الذي يخص العموم، كقوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ}[التوبة:6]، فإنها مخصصة بقوله تعالى: {اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ}[التوبة:5]، لأنه عام فيه لكنه خرج بما ذكرناه.

(وعبره وأمثاله): العبرة هي: الاسم من الاعتبار بكسر الفاء، وبفتحها استكاب الدمع، والعبرة: ما يعتبر به، قال الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى}[النازعات:26]، و{لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ}[آل عمران:13]، وجميع ما حكاه الله تعالى من قصص الأولين فهي عبر لمن بعدهم، يعتبرون بها، ويجعلونها نصب أعينهم، والأمثال فهي جمع مثل وهي كثيرة في القرآن، كقوله: {[مَثَلُهُمْ]كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ [نَارًا]}[البقرة:17] و {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ}[الأعراف:176] و {كَمَثَلِ الْحِمَارِ}[الجمعة:5]، وغير ذلك من الأمثال.

(ومرسله ومحدوده): يحتمل أن يكون المراد بالمرسل: ما ليس موقتاً كالحج وغيره من العبادات لا توقَّت بوقت بعينه، وبالمحدود(1): ما كان موقتاً كالصلاة والصوم وغيرهما؛ لأن الوقت يأتي عليه من جميع أطرافه، ويحتمل أن يكون المراد بالمرسل: ما كان مطلقاً، كقوله تعالى: {فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ}[النساء:92]، وقوله: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}[النساء:92]، والمحدود: ما كان مقيداً كتقييد الرقبة بالإيمان، والصوم بالتتابع، فهذا كله محتمل في الإرسال والتحديد.

---

(1) في (ب): والمحدود.

(151/1)

(ومحكمه ومتشابهه): للعلماء في بيان ماهية المحكم والمتشابه أقوال كثيرة، وخبط عظيم، وليس من همنا ذكره، والحق فيه أن المحكم: ما دل على معناه(1) بظاهره، والمتشابه: ما لا يعلم المراد من ظاهره، والسر في مخاطبة الله إيانا بالمتشابه هو أن القرآن لو كان كله محكماً، يفهم المراد من ظاهره، لكان ذلك داعياً إلى إهمال النظر وتعييه(2) مسالكه وتعويلاً على التقليد.

(مفسِّراً): حال من الرسول.

(جمله): أي ما أجمل منه وكان مفتقراً إلى البيان، كقوله تعالى: {وَآتُوا حَقَّهُ}[الأنعام:141]، وقوله تعالى: {ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ}[البقرة:228]، وغير ذلك من الأمور المجملة.

(مبيناً): حال ثانية(3).

(غوامضه): الغامض: الذي لايتضح معناه، ومنه أغمض عينه إذا لم يبصربها، وهذا كثير في كتاب الله تعالى، فإن أسراره لا تحصى، وعجائبه لا يمكن ضبطها، وما زال العلماء وأهل الفطانة من يوم نزوله إلى زماننا هذا مستخرجين لغوامضه، ومستثيرين لدفائنه فما أحصوها ولا حصروها، ولو لم يكن من عجائب إعجازه إلا هذا، لكان كافياً في الإحكام(4)، وعلى الجملة فإنما هو كتاب إلهي، ومعجز سماوي، ثم إن علومه وأحكامه:

---

(1) في (ب): معنى.
(2) من قولهم: عيَّ بأمره وعيي إذا لم يهتدِ لوجهه. (وانظر مختار الصحاح ص467)، وفي (ب): وتعفية، وهو من قولهم: عفا المنزل أي درس، فلم يبق منه إلا آثاره.
(3) في (أ): حال من ثانية، وهو غامض، وما أثبته من (ب).
(4) في (ب): الإفحام.

(152/1)

(بين مأخوذ ميثاق علمه، وموسع على العباد في جهله): يعني أنها منقسمة إلى ما أخذ الله(1) [على](2) المكلفين إحراز علمه والتحقق له، وهذا نحو العلم بكونه معجزاً ودالاً على صدق من ظهر عليه، وأن جميع ما دل عليه من الأحكام فكلها حق.
فهذا كله يجب إحرازعلمه على كل أحد، وإلى ما لا يتعلق بمصلحة(3) التكليف، فيوسع على الخلق في جهله، وهذا نحو إدراك العلم بفواتح السور، والتحقق لأسرارها، [والمراد بها] (4) ونحو العلم بسير الشمس والقمر وقطعهما للفلك، كما قال تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا}[يس:38]، وقوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ}[يس:39]، إلى غير ذلك من النظر في العالم العلوي، فإن هذه الأشياء كلها مما لا يجب علينا علمها، ولا يتوجه فيها تكليف، فلهذا وسع على الخلق في جهلها، كما أشار إليه عليه السلام في كلامه هذا؛ إذ لا مصلحة هناك(5).

---

(1) لفظ الجلالة، ليس في (ب).
(2) زيادة في (ب).
(3) في (ب): بصالحة.
(4) سقط من (ب).
(5) حاشية في (ب) لفظها: أما المصلحة فلا يخلو، ولكن لايجب النظر فيها.تمت.

(وَبَيْنَ مُثْبِتٍ فِيْ الْكِتَابِ فَرْضُهُ، مَعْلُوْمٌ فِيْ السُّنَّةِ نَسْخُهُ): وهذه صفة، إشارة(1) إلى جواز نسخ الكتاب بالسنة(2) خلافاً لما قاله الشافعي من منع ذلك، وإلى جواز نسخ السنة بالكتاب خلافاً للشافعي، فإنه منع من ذلك، وهذا فاسد، فإن القرآن والسنة أدلة للشرع كلها، وهي متلقاة من جهة الرسول عليه السلام، فإذا جاز نسخ القرآن بعضه ببعض [والسنة بعضها ببعض] (3)، جاز ذلك في القرآن والسنة أيضاً من غير فرق، والقرآن قد نسخ ما ثبت بالسنة، فإن استقبال بيت المقدس كان ثابتاً بالسنة(4)، فنسخ بقوله: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}[البقرة:144]، والسنة قد نسخت القرآن، فإن قوله تعالى: {فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ}[النساء:15]، قد نسخ بقوله: ((البكر بالبكر جلد مائة، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة))(5)

---

(1) في (ب): أشار.

(2) الذين يجوزون نسخ الكتاب بالسنة يشترطون في ذلك بأن تكون السنة متواترة.

(3) سقط من (ب).

(4) ويشير الإمام عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم عليهم السلام في كتابه الناسخ والمنسوخ أن استقبال بيت المقدس كان ثابتاً بالقرآن، وذلك في قوله تعالى: {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله}. (انظر تفصيل ذلك في المصدر المذكور ص45-47).

(5) الحديث مشهور، انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي 475/4،433،323، وهو بلفظ: ((الثيب بالثيب جلد مائة والرجم، والبكر بالبكر جلد مائة والحبس سنة))، أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في مجموعه ص228 برقم (492) بسنده عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذكره، ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله في أنوار التمام 61/5، وعزاه إلى أمالي الإمام أحمد بن عيسعليه السلام بسنده عن علي عليه السلام، وإلى الجامع الكافي، عن سلمة بن المحبق، وقوله: ((والحبس سنة)) في أمالي الإمام أحمد بن عيسى وفي الجامع الكافي: ((ونفي سنة)).

)).(1)

(وواجب في السنة أخذه، مرخص في الكتاب[تركه](2)): يعني أن وجوبه كان معلوماً بالسنة، لكنه

نسخ بالكتاب بأن رخص في تركه، وهذه هي فائدة النسخ ومعناه.

(وبين واجب لوقته، وزائل في مستقبله): إشارة(3) بما ذكره إلى العبادات المؤقتة(4) بأوقاتها، فإن وجوبها مشروط بحضور وقتها، وبعد زوال الوقت يزول الوجوب لا محالة، وهذا كالصلاة والصيام، فإن لهما أوقاتاً محدودة لا يتجاوزها فإن وجدت فيه وإلا زال وجوبها، فإن دل دليل [بعد ذلك](5) على وجوب القضاء وجب وإلا فلا.

---

(1) وللإمام المرتضى بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهم السلام قول آخر في هذا الموضوع، فهو في معرض إجابته عن الناسخ والمنسوخ ما هو؟ يورد الآية القرآنية الكريمة، وهي قوله سبحانه: {واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً}، قال: ثم أنزل عزّوجّل في الزانية والزاني: {فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين}. قال: وأنزل الرجم فكان هذان المعنيان السبيل الذي جعله الله لهن، من بعد ما أمر به من حبسهن، فكان هذا زيادة في الحكم وتبييناً ورحمة. انتهى. (انظر كتاب الإيضاح من مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين 232/1 قلت: وذكر نحو ذلك الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام 219/2).

(2) سقط من (أ)، وهو في (ب) وفي شرح النهج.

(3) في (ب): أشار.

(4) في (ب): الموقتات.

(5) زيادة في (ب).

(155/1)

(ومباين بين محارمه): يريد أن ما كان من ذلك محرماً فهو متباين في نفسه، تحريمه.

(من كبير أوعد عليه نيرانه): من ها هنا دالة على التبعيض، أي بعض ذلك من جملة الكبائر الموبقة الكفرية أو الفسقية التي استحق الوعيد على فاعلها بإدخاله النار وخلوده فيها.

(أو صغير أرصد له غفرانه): الإرصاد: الإعداد، وأراد بأرصد أعد، وهيأ لها الغفران، وهذا فيه دلالة على أن الكبيرة لا تكفرها إلا التوبة، وأن الصغيرة يكفرها الثواب، كما قاله المتكلمون، ودال أيضاً على تحقق الوعيد وعلى إيصال العذاب إلى مستحقيه من كافر أو فاسق خلافاً لأهل الإرجاء.

(وبين مقبول في أدناه(1)، [و](2)موسع في أقصاه): أراد أن بعض الطاعات أدناه وأحقره مقبول، وهذا نحو الصدقة وقراءة القرآن فإن أدناهما مقبول بكل حال كالتمرة من الصدقة، والحرف الواحد من

القرآن، وأعلاه موسع في تركه فإن أقصاه بلا نهاية فلا ينال، فلهذا وسع الله في تركه، وكلمة بين في هذه التقسيمات ظرف مكان، وهو مجاز، وخبر لمبتدأ تقديره: أحكام القرآن وعلومه بين هذه الأقسام، ثم ختمها بإبانة فرض الحج، بقوله:

(فرض عليكم حج بيته): لأنه من فرائض الدين، وأحد شعائر الإسلام.

(الذي جعله قبلة للأنام): إما قبلة يستقبلونه في صلاتهم، كما قال تعالى: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}[البقرة:144]، وإما قبلة يأمونه في إحراز منافعهم، ومثابة يرجعون إليه في قضاء مآربهم.

(يردونه ورود الأنعام): وردِ الماء إذا استقاه وأخذه، وإنما قال: ورود الأنعام؛ لأنها أسرع ما يكون سيرها للماء من شدة العطش، كما قال تعالى: {فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}[الواقعة:55].

---

(1) في (أ): أدنا.

(2) زيادة في (ب). وفي شرح النهج.

(156/1)

(ويألهون إليه ولوه الحمام): الوله: التحيُّر وذهاب العقل، قال الأعشى(1):

وأقبلت والهاً ثكلى على عجل .... كل دهاها وكل عندها اجتمعا(2)

وفي الحديث: ((لا تُوَّله والدة بولدها(3)))، وإنما قال: ولوه الحمام؛ لأنها أشد الطيور وَجْداً على أولادها، ومنه ناقة وَلْها، وهي التي يشتد وجدها على ولدها.

(جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته): لما فيه من التواضع بكشف الرأس والكف والتبذل بلبس ما ليس بزينة، وتعفية(4) الشعور، وهجران الطيب وغير ذلك، وكل هذا تواضع لعظمة الله تعالى، وانحطاط لجلاله وتقرباً إليه.

(وإذعانهم لعزته): الإذعان هو: الخضوع والذلة، والغرض أن فعل هذه الأمور كلها من أجل الخضوع والتذلل لعزة الله.

---

(1) الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له: الأعشى الكبير، المتوفى سنة 7هـ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان يغني بشعره فسمي صناجة العرب، عاش عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، له ديوان شعر مطبوع (انظر الأعلام 341/7).

(2) لسان العرب 984/3.

(3) النهاية لابن الأثير 227/5، وقال في شرح الحديث: أي لايفرق بينهما في البيع، وكل أنثى

فارقت ولدها فهي واله. انتهى، وانظر أساس البلاغة للزمخشري ص: 509، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ص: 736.

(4) في (أ): وتعقبه.

(157/1)

(واختار منهم(1) سمَّاعاً أجابوا إليه دعوته): الضمير في قوله: منهم للأنام، أي اختار(2) من الخلق سمَّاعاً وهم جمع سامع مثل جاهل وجهال، امتثلوا أمره حين أمرهم بالقصد إليه، كما قال تعالى: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}[الحج:29]، وأجابوا دعاءه ونداءه لما دعاهم بقوله: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً}[الحج:27].

(وصدقوا كلمته): بالتلبية لما ناداهم، وبالانقياد لما أمرهم.

(ووقفوا مواقف أنبيائه): لأن جميع الأنبياء والرسل الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم، وبلغنا عددهم على لسان نبيه قصدوا هذا البيت، وعظموا شعائره.

(وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه): يعني أن(3) طواف المؤمنين بالبيت وإحداقهم حوله تعظيماً له، شبه(4) طواف الملائكة بالعرش تعظيماً له، وناهيك بهذا فضلاً تشبههم بالملائكة.

(يحرزون الأرباح في متجر عبادته): أراد أن من وصف حاله قد أحرز الأرباح، وهي الثوابات العظيمة في مكان العبادة، وهو متجرها الرابح.

(ويتبادرون عند موعد(5) مغفرته): بدر الشيء وابتدره إذا أسرع إليه، وابتدروا بالسلاح أي سارعوا في أخذه، والغرض ها هنا هو المسارعة لمن ذكره موعد الله بالمغفرة، وهو حط الذنوب وتكفيرها عنهم، ثم استأنف وصفه بغير ذلك، بقوله:

(جعله الله للإسلام علماً): العلم: المنار في الطريق، قال:

كأنَّه علمٌ في رأسِهِ نَارُ(6)

---

(1) في نسخة وفي شرح النهج: واختار من خلقه سماعاً.

(2) في (ب): واختار.

(3) في (أ): لأنه طواف المؤمنين ...إلخ، وما أثبته من (ب).

(4) في (أ): يشبه، وفي (ب) كما أثبته.

(5) في (ب): مواعد، وفي النهج: عنده موعد.

(6) البيت هو للخنساء، وصدره:

وإن صخراً لتأتم الهداة به

فالحج كالعلم في أركان الدين.

(وللعايذين حرماً): إما إنه لايدخل إليه إلا بإحرام لحج أوعمرة، وإما لأنه حرم لايصاد صيده، ولا يعضد شجره، وإما لأنه موضع إحرام المتمتع أو لأهله، فكل ما ذكرناه محتمل فيه، ولهذا خصه بالعايذين إشارة إلى ما ذكرناه.

(فرض حجه): بقوله: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}[آل عمران:97].

(وأوجب حقه): بقوله: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}[الحج:29].

(وكتب عليهم(1) وفادته): وفد الرجل يفد إذا جاء رسولاً وفداً ووفوداً، والاسم منه هو الوفادة بكسر الفاء وفتحها، والأكثر كسرها، وقد أوجب الله وروده، بقوله: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}[البقرة:196]، وغير ذلك من الآيات، ثم تلى هذه الآية:

({وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}(2)[آل عمران:97]): فحصلت في كلامه واسطة لعقده، وزيادة في رشاقة قدِّه(3).

(2) ومن خطبة له عليه السلام بعد منصرفه من (صفين)

(أحمده استتماماً لنعمته): مضى تفسير الحمد، واستتماماً منصوب على المفعول له(4) أو حال منه؛ لأن الحمد على النعمة يكون سبباً لتمامها، كما قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}[إبراهيم:7][والزيادة فيها](5).

(واستسلاماً لعزته): انقياداً لعظمته.

---

(1) في شرح النهج: عليكم.

(2) تمامها: {ومن كفر فإن الله غني عن العالمين}

(3) في (ب): اشتقاقة قده، وهو تحريف.

(4) في (ب): منصوب على الحال المفعول له.

(5) سقط من (ب).

(واستعصاماً من معصيته): عصمه إذا منعه، ومنه عصام القربة؛ لأنه يمنع الماء من الخروج، وهو الحبل الذي يسد به فوها، وهو مجاز ها هنا؛ لأن الحمد يكون سبباً في الامتناع من المعصية لما فيه من الطاعة لله تعالى، فلهذا كان سبباً ولطفاً في ذلك.

(وأستعينه فاقةً): الفاقة هي: الفقر والحاجة، وأستعينه أطلب إعانته، وقد جاء معدًّى بالباء، كقوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ}[البقرة:45]، و{اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ}[الأعراف:128]، وبنفسه كقوله ها هنا: وأستعينه، وكلاهما جار(1) فيه، أعني التعدية(2) واللزوم، وأسند فاقتي وحاجتي.

(إلى كفايته): والكفاية مصدر كفاه كفاية، إذا احتمل مؤنته.

(إنه لا يضل): عن طريق الحق ويميل عنها.

(من هداه): بفعل الألطاف الخفية.

(ولا يئل): ولا ينصلح من آل ماله يئله إذا أصلحه، ومن آل إذا نجا أي لا يئل لا يجد ملجأ أصلاً.

(من عاداه): والمعاداة من جهة الله تعالى، إنما هي إرادة إنزال المضار، كما قال تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}[البقرة:98]، أي يريد إنزال المضار بهم والعقوبات، والموالاة لأحبائه هي إرادة إنزال المنافع لهم، كقوله تعالى: {أَنْتَ وَلِيُّنَا}[الأعراف:155].

(ولا يفتقر): ولا يحتاج.

(من كفاه): من احتمل أمره ومؤونته.

(فإنه): الضمير للحمد.

(أرجح ما وزن): من الأعمال الصالحة في ميزان الخيرات.

(وأفضل ما خزن): خزنت المال إذا جعلته في الخزانة، والمعنى أن(3) أفضل ما خبأه الإنسان ليوم حاجته.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من الحامدين في السراء والضراء، والشاكرين على الشدة والرخاء.

---

(1) في (ب): جاز.

(2) في (أ): التعرية، وهو تحريف.

(3) ظنن فوقها في (ب)، بقوله: أنه.

(160/1)

(وأشهد أن لا إله إلا الله): شهادة لله بالوحدانية(1) وإقراراً(2) له بالربوبية، كما قال عليه السلام: ((الخطبة بلا شهادة كاليد الجذماء)) (3).

(شهادة): مصدر مؤكد لقوله: أشهد، كقولك: ضربت ضرباً.

(ممتحناً): امتحنت فلاناً إذا اختبرته(4)، والاسم منه هو الممتحن، والمصدر هو الامتحان، وممتحناً ها هنا يحتمل أن يكون اسم مفعول، منصوب على أنه صفة لشهادة، أي شهادة امتحن الله:

(إخلاصها): عن كل ما يشوبها من الرياء وغيره، ويحتمل أن يكون اسم فاعل أي [أني] (5) اختبرت إخلاصها من نفسي فوجدته حاصلاً.

(معتقداً): أي رابطاً قلبي، ومنطوياً ضميري على.

(مصاصها): وهو خالصها الذي لا يشوبه شائب، ومعتقداً كما يصح أن يكون اسم فاعل أي أنا معتقد فقد(6) يكون اسم مفعول أيضاً وفاعله، المصاص.

(نتمسك): مسك بالشيء، وأمسك به، واستمسك كلها بمعنى إذا اعتصم به.

(بها): أي بالشهادة.

(أبداً): على الاستمرار لا ينقطع ذلك.

(ما أبقانا): ما ها هنا زمانية مثلها في قولك(7): انتظرني(8) ما جلس القاضي، أي مدة جلوس القاضي، والمعنى زمان بقائنا وأوقاته.

(وندخرها): دخره يدخره، وادَّخره [يدَّخِره] (9)إذا خبأه وجعله ذخيرة له، وعلى الوجهين جميعاً يحمل قوله: وندَّخرها أي نخبأها(10).

---

(1) في (أ): الوحدانية، وما أثبته من (ب).

(2) في (أ): وإقرارٌ، وما أثبته من (ب).

(3) هو في نهاية ابن الأثير 252/1 بلفظ: ((كل خطبة ليست فيها شهادة فهي كاليد الجذماء))، وبلفظ ابن الأثير ذكره في لسان العرب 426/1.

(4) في (أ): اخترته، وهو تحريف.

(5) سقط من (ب).

(6) في (ب): قد.

(7) في (أ): فلك، وهو تحريف.

(8) في (ب): انظرني.

(9) زيادة في (ب).

(10) في (أ): ويدخرها أي يخبأها.

(لأهاويل): جمع أهوال، وأهوال جمع هول نحو نعم وأنعام وأناعيم، وهو جمع الجمع، وهو يرد كثيراً في أبنية القلة.

(ما يلقانا): في مستقبل أعمارنا في الدنيا وفي الآخرة، فإنه يحتملهما جميعاً.

(فإنها): الضميرللشهادة.

(عزيمة الإيمان): قاعدة من قواعده، وأصل من أصوله.

(وفاتحة الإحسان): من عند الله تعالى بمضاعفة الثواب وإعظام الأجر عليها، بما يلحق ذلك من الإحسان تفضلاً منه تعالى.

(ومرضاة الرحمن): لما فيها من إخلاص التوحيد لله تعالى، والاعتراف بالإلهية، وفيها معظم الرضى.

(ومدحرة الشيطان): الدحور هو: الطرد والإبعاد، قال تعالى: {مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا}[الصافات:8-9] أي دفعاً وإبعاداً، والمدْحرة مصدر دحر، كما أن المسعاة مصدر سعى، وهكذا المرضاة أيضاً مصدر رضى.

سؤال؛ لِمَ أدخل الفاء في مدح الشهادة في قوله: فإنها عزيمة الإيمان، وحذفها في قوله: إنه لايضل من هداه، وهما مستويان، وتوسطهما بين جملتين؟

(162/1)

وجوابه؛ هو: أن هذا الحرف وهو إن إذا كان متوسطاً بين جملتين، وكانت رابطة للأولى بالثانية كأنهما قد أفرغا في قالب واحد، فإنه يقبح دخول الفاء ها هنا، ولهذا(1) لم يحسن دخولها في قوله: إنه لايضل من هداه، لما ذكرناه، ومن هذا القبيل قوله تعالى: {اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}[الحج:1]، وقوله تعالى: {لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[طه:46]، وهذا في كتاب الله تعالى أكثر من أن يحصى، فأما إذا كانت الجملة الثانية قد انقطعت عن الأولى وصارت منفصلة عنها، فإنه يحسن دخول الفاء، ولهذا(2) حسن دخولها في قوله: فإنها عزيمة الإيمان، ومن هذا القبيل، قوله تعالى: {فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ}[الحج:46]، وقوله تعالى: {إِنَّكُمْ(3) وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}[الأنبياء:98]، فإنها لما كانت منقطعة عمَّا قبلها جاز دخولها عليها، وفي كلامه هذا دلالة على أنه عليه السلام قد أحاط بعلوم البلاغة عقده وملكه، واستولى على أسرار الفصاحة سلطانه وملكه.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله): هاتان(4) الشهادتان توأمان لا يكمل الإيمان إلا بهما، ولاتسلم الرقاب عن القتل والأموال عن التغنم والأخذ إلا بالإقرار بهما.

---

(1) في (ب): فلهذا.

(2) في (ب): فلهذا.

(3) في النسختين: فإنكم، وما أثبته من المصحف، ولعل الذي في النسخ على قراءة.

(4) في (أ): تان، وفي (ب) كما أثبته.

(163/1)

(أرسله بالدين): جعله رسولاً، الباء في قوله: بالدين يحتمل أن تكون للإلصاق(1) مثلها [في قوله (2): كتبت بالقلم، ويحتمل أن تكون للحال أي دالاً على الدين مثلها في قولك: خرجت بسلاحي أي متسلحاً.

(المشهور): الذي لا ينكره أحد بلغه، لما فيه من المصالح الملائمة للعقول، أو المقطوع(3) بصحته لقوة براهينه.

(والعلم المأثور): أراد بالعلم توحيده تعالى والإقرار بربوبيته وغير ذلك، مما اشتمل عليه قوله تعالى: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}[النجم:10]، وأراد بالمأثور ما أبلغه من علم الأنبياء قبله، وفي بعض النسخ: (والعَلَم) بفتح اللام، ولا معنى له هاهنا.

(والكتاب): يعني القرآن(4).

(المسطور): المكتوب، والسطر: الكتب.

قال رؤبة(5):

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر .... في الصحف التي قد كان سطر

(والنور): مجاز ها هنا، وحقيقته الضياء، وهو هنا عبارة عن العلوم والأحكام التي جاء بها الرسول.

(الساطع): المرتفع، ومنه سطع الفجر إذا ارتفع وعلا.

(والضياء): وهو كل ما أضاء وظهر ضوؤه.

(اللامع): لمع البرق إذا ظهر ضوؤه مرة بعد أخرى.

---

(1) في (أ): للإنماق، وما أثبته من (ب).

(2) سقط من (ب).

(3) في (ب): والمقطوع.

(4) في (أ): يعني الفرائض، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ب).

(5) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف، وأبو محمد المتوفى سنة 145هـ، راجز من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، أخذ عنه أعيان

أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، وله ديوان رجز مطبوع (معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص146).

(164/1)

(والأمر): وهو البيان العظيم، يقال: جاءهم الأمر(1) لا قوة لهم به، يريد شأناً عظيماً لايوصف حده.

(الصادع): الذي يفرق بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}[الحجر:94] فأصله(2) الشق.

قال الفراء(3): {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}[الحجر:94] أي اظهر دينك.

(إزاحة للشبهات): زاحه وأزاحه إذا أماله، وانتصابه على المفعول [له](4)، والشبهة: ما كان على خلاف الحق، وإنما سميت شبهة، لأنها تلبس بالحق، ولهذا زلَّ فيها من زلَّ.

(واحتجاجاً للبينات(5)): أي أرسله وبعثه محتجاً للأحكام الباهرة، وهو ما ظهر عليه من الشرائع.

(وتحذيراً بالآيات): أراد بالآيات إما آيات القرآن فإنها متضمنة للتخويف والإنذار لعقاب الآخرة، وإما الآيات المفتوحة على الأنبياء من أممهم، والمعنى أن الله تعالى قدمها تحذيراً لهم من العقاب، فإنهم [لما] (6)لم يخافوا وقع عليهم العقاب لا محالة.

---

(1) في (أ): أمر.

(2) في (ب): وأصله.

(3) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا [144-207هـ] المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، ولد بالكوفة، وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال، وله تصانيف منها: المقصور والممدود، والمعاني، ويسمى معاني القرآن، والمذكر والمؤنث وغيرها (انظر الأعلام 145/8-146).

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): للبليات، وفي شرح النهج: واحتجاجاً بالبينات.

(6) سقط من (أ).

(165/1)

سؤال؛ لِمَ عدَّى مصدر الاحتجاج باللام، فقال: احتجاجاً للبينات(1)، وعدَّى مصدر التحذير بالباء، فقال: وتحذيراً بالآيات، وما وجه المخالفة بينهما؟

وجوابه؛ هو أن المراد بالبينات الأحكام والشرائع، والغرض هو الاحتجاج لها، والتقرير لقواعدها بالأدلة، فلهذا دخلت اللام دالة على أن الغرض هو إظهار الاحتجاج لأجل البينات، بخلاف التحذير فإن الغرض إلصاقه بالآيات، فلهذا جاءت فيه الباء، فلهذا فصل بينهما لما ذكرناه.

(وتخويفاً لِلْمَثُلاَتِ(2)): وهي العقوبات، كما قال الله تعالى: {وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ}[الرعد:6] يعني عقوبات من مضى قبلهم بالرجفة، والصيحة، وأنواع البلايا.

(أرسله والناس في فتنة(3)): جملة ابتدائية في موضع الحال، كما تقول: جاء زيد والناس يضحكون، والفتنة هي: الابتلاء والامتحان من قولهم: فتنت الذهب إذا خبرت جودته ورداءته.

(انجذم فيها): انقطع، وسمي المجذوم مجذوماً لانقطاع أوصاله.

(حبل الدين): متمسكاً به(4)، وهي التي يتوصل بها إلى إثباته، فوضع الحبل مكانها لما كان وُصلة إلى غيره، وانقطاعه إنما كان من بعد الأنبياء واندراس آثارهم.

(وتزحزحت(5)): تنحت ومالت، كقوله تعالى: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ}[آل عمران:185].

(سواري): السواري هي: الدعائم والأساطين التي عليها قواعد البناء.

---

(1) في (ب): للآيات، وهو خطأ.

(2) في النهج: بالمثلات.

(3) في (أ): في فترة، والصواب ما أثبته من نسخة أخرى، وفي (ب): فتن.

(4) كذا في النسختين، ولعل الصواب: متمسكاته.

(5) في شرح النهج: وتزعزعت.

(166/1)

(اليقين): هوالأمرالمتيقن المتحقق(1) [حاله](2).

(واختلف النجر): النجار والنجر هو: الأصل والحسب، أراد أن أصل كل شيء من الأديان والشرائع مختلف، ليس موضوعاً في مستقره لاستيلاء الجهل بأهله.

(وتشتت الأمر): أي تفرق، وليس له جامع، ولا يشمله رابط.

(وضاق المخرج): عن ظلمة الجهل لفقد العلم.

(وعمي المصدر): وهو الذهاب بغير دليل ولا مرشد.

(فالهدى خامل): الذكر لعدم من ينشره.

(والعمى شامل): لا ستيلائه وكثرته.

(عصي الرحمن): بارتكاب محارمه، وترك أوامره.

(ونصرالشيطان): باتباعه وتحصيل مراداته.

(وخذل الإيمان): بترك التزام أحكامه.

(فانهارت دعائمه): أي تهدمت من هاره(3) إذا هدمه، لأجل عدم ناصريه.

(وتنكرت): صارت منكورة لا تعرف.

(معالمه): المعالم هي: المعاهد والربوع، وإنما قيل لها: معالم لكثرة تحققها وثباتها.

(ودرست): امتحت، ومنه ثوب دارس، وطريق دارس إذا كان لا يُسْلَكُ.

(سبله): أي طرقه ومسالكه فلا يعرف لها أثر لعدم من يسلكها(4) ويعبر فيها.

(وعفت): اندرست وهلكت.

(شُرُكُه): الشرك: جمع شركة مثل ملكه وملك، وهو معظم الطريق ووسطه، فإذا كان معظمه هالك مندرس فكيف حال جوانبه، ومراده من ذلك هو حصول هذه الأمور كلها لفقد الأنبياء ومن يدعو إلى الخير، وفيه شحذ للهمم في اقتفاء طريق الأنبياء، واتباع آثارهم، وتحريك لعزائم العلماء في ذلك.

(أطاعوا الشيطان): بتحصيل مراداته والانقياد لأمره.

(فسلكوا مسالكه): فاقتفوا آثاره، ونهجوا طرقه.

(ووردوا مناهله): وشربوا من حياضه، وكرعوا فيها، وارتووا من آجنها.

---

(1) في (أ): المنجي، وما أثبته من (ب).

(2) ما بين المعقوفين بياض في(أ) وما أثبته من (ب).

(3) في (أ): هاده وهو تحريف.

(4) في (ب): سلكها.

(167/1)

(بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه): سير الأعلام، وهي: البنود، وقيام الألوية(1) وهي الرايات، استعارة ها هنا عن استقامة الأمر وثبوته وتمكنه واستحكام نفوذه؛ لأن هذه الأمور متى كانت مستقيمة فأحوال العسكر مستقيمة، وأمرهم نافذ، وعزيمتهم ماضية، وريحهم متحركة، فهذه الأمور كلها حاصلة.

(في فتن): جمع فتنة.

(داستهم): دقتهم.

(بأخفافها): كما يدوس البعير بخفه.

(ووطئتهم): همستهم.

(بأظلافها): كما تدوس البقر بأظلافها.

(وقامت): يعني الفتن.

(على سنابكها فيهم): الخف للجمل، والظلف للبقر، والسنبك للفرس وهو طرف مقدم الحافر، واستعار ذكر هذه الأشياء كلها ليدل بها على أن الفتن قد طحنتهم بكلاكلها واستقرت قواعدها فلا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً.

(فهم فيها تائهون): ذاهبون في الحيرة كل مذهب.

(حائرون): مقيمون في الفتنة، لا يجدون مسلكاً يسلكونه.

(جاهلون): بما يكون فيه النجاة، عمَّا هم فيه.

(مفتونون): ممتحنون بأنواع هذه البلاوي، ساكنون:

(في شر دار): إما الدنيا لكثرة ما يعرض فيها من ضروب المحن، وإما مواضعهم حيث كانوا في هذه الفتن مقيمون فيها.

(وشر جيران): حيث لم ينفعوهم فيما وقعوا فيه، وشر جار من لا ينقع الغصص عن اشتجارها(2).

(نومهم سهود): سهد يسهد سهوداً إذا قل نومه، فنومهم شارد قليل لما دهمهم من هذه الأمور.

(وكحلهم دموع): أراد ما يكتحلون من شدة الأمر وهوله(3) إلا دموعهم، وقوله عليه السلام: وكحلهم دموع، مثل قولهم: تحية بينهم ضرب وجيع، ومن قولهم: تعليقها الأسراج والألجام، ومن قولهم:

---

(1) في (أ): الولاية، وهو تحريف.

(2) ينقع أي يسكِّن، واشتجارها أي تنازعها، والعبارة في (ب): من لا يسمع الغصص عن اشتجارها.

(3) في (أ): وبقوله، وهو تحريف.

(168/1)

بدت قَمَرَاً ومالت خَوطَ بانٍ .... وفاحت عنبراً وَرَنَتْ غزالاً

وهو من علوم البيان تلفت بالتدبيج(1) أخذاً له من الديباج، مقيمون(2):

(بأرض): وإنما نكرها لما في تنكيرها من الفخامة، كأنه قال: بأرض وأي أرض في الشر واحتمال المكروه.

(عالمها ملجم): فلا ينطق استهانة بكلامه، وركة في حاله عندهم.

(وجاهلها مكرم): لانقيادهم لأمره واحتكامهم لقوله، كما قال عليه السلام في شعره:

فوزنُ كلّ امرئٍ ما كان يُحْسِنُهُ .... والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداءُ

ثم وصف [الآل(3)] بقوله:

(هم موضع سره): أراد أنهم مكانه ومحله؛ لأن السر إنما يكون في أهل النظافة والخاصة، ولهذا قيل في الأنصار: كانوا كرشاً(4) وعيبة للرسول عليه السلام.

(ولجأ أمره): ومستنده في الأمور كلها، من قولهم: لجأت إلى كذا، أي استندت إليه.

(وعيبة علمه): العيبة: وعاء البز، واستعاره ها هنا لأنهم موضع علمه كما كانت العيبة موضعاً(5) للبز، وحافظة له، منهم يؤخذ العلم، وإليهم يرجع فيه.

(وموئل حكمه): وآل إلى كذا إذا لجأ إليه، والموئل هو: الملجأ، ومعناه أنهم(6) يلجأ إليهم في الأحكام كلها وتستنهض من جهتهم.

---

(1) في (أ): بالتدريج، وهو خطأ.

(2) في (أ): مفتول، وما أثبته من (ب).

(3) في (أ): الأول، وهو تحريف، والصواب ما أثبته.

(4) في (أ): كرش، وفي (ب) كما أثبته وهو الصواب، والقول الذي ذكره المؤلف هنا في الأنصار هو معنى حديث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((الأنصار كرشي وعيبتي)).

(5) في (أ): موضع، وفي (ب) كما أثبته وهو الصواب.

(6) في (ب): أنه.

(169/1)

(وكهف(1) كتبه): الكهف: النقر في الجبل كالخزانة، ومراده هاهنا أنهم موضع كتبه، وأراد بالكتب العلم؛ لأنه يحفظ بالكتابة، ويحرس عن الإهمال والضياع.

(وجبال دينه): أراد أنهم يلاذ بهم عن المهالك كما يلاذ بالجبال بالتحرز، أو أن جانبهم مرتفع كارتفاع الجبال، وعزهم شامخ شموخ الجبال، فلا مسامون(2) حقاً في أديانهم، فالاستعارة محتملة لما ذكرناه.

(بهم أقام): الضمير في أقام يحتمل أن يكون لله تعالى، أي أن الله تعالى(3) أقام بهم، ويحتمل أن يكون للرسول أي أنه أقام بهم، والأول أوجه الأمرين؛ لأن ذلك من جملة ألطاف الله تعالى بهم، حيث جعلهم على هذه الصفة.

(انحناء ظهره): اعوجاجه.

(وأذهب ارتعاد فرائصه): وأزال حركة فرائصه، والفريصة: اللحمة بين الجنب والكتف من الدابة التي

لاتزال ترعد، والفرائص: عروق الأوداج في العنق، والغرض من هذا هو أن الله تعالى قوَّى أمره، وشدَّ(4) عضده، وقوَّى أزره بالآل.

ثم أردفه بما يناقض هذه الصفات من حال غيرهم، وأظن أنه يشير به(5) إلى بني أمية، فقال عليه السلام:

(زرعوا الفجور): جعلوا بذره في أراضي مكرهم وعنادهم.

(وسقوه الغرور): لأن البذر لاينبت إلا بالسقي، فجعلوا سقيه ماء الغرور بالأهواء، واستحكم(6) الفجور في الأفعال، والغرور بالأهواء.

---

(1) في شرح النهج: وكهوف.

(2) في (ب): فلا يسأمون.

(3) قوله: تعالى زيادة في (ب).

(4) في (أ): وشده، وفي (ب) كما أثبته.

(5) قوله: به سقط من (ب).

(6) في (ب): فاستحكم الفجور بالأفعال.

(170/1)

(فحصدوا الثبور): فكان(1) الْجُذاذ هو الخسران والهلاك، يقال: ثبر ثبوراً أي خسر وهلك، كما قال تعالى: {لاَ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا}[الفرقان:14].

وقوله عليه السلام: سقوا الغرور، فحصدوا الثبور، مع قوله: زرعوا الفجور من باب توشيح الاستعارة؛ لأنه لما استعارالزرع عقَّبه بما يلائمه من السقي والحصد، وهذا كقوله تعالى: {اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ}[البقرة:16] فإنه من علم البلاغة لبدرها المنير، وفلكها المستدير.

(لا يقاس بآل محمد [صلى الله عليه وآله](2) غيرهم من أحد من هذه الأمة(3)): يشير بكلامه هذا إلى بني أمية، وهيهات هيهات! أين الغَرَب عن النبغ!(4) والحصى عن المرجان! ولا يستوي الخشب المعقد والدر المنضد!(5)، ولا الإبريز والإرزيز!(6) وشتان ما بين رماد الكير، وخلاص الذهب الأكبر!

(لا يسوَّى بهم(7) من جرت نعمتهم عليه أبداً(8)): يشير بذلك إلى أمرين:

---

(1) في (ب): وكان، وجذه أي قطعه وكسره، والجذاذ بضم الجيم وكسرها ما كسر منه، والضم

أفصح. (مختار الصحاح ص97)..
(2) ما بين المعقوفين زيادة في النهج.
(3) لفظ العبارة في النهج: لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد.
(4) الغَرَب بالتحريك: الفضة. والنبغ: الغبار، يقال: محجة نباغة أي يثور ترابها.
(5) المنضّد: أي المرتب والمنظم.
(6) الإبريز: الذهب الخالص، والإرزيز: بَرَدٌ صغار كالثلج. (انظر القاموس المحيط).
(7) في شرح النهج: ولا يسوى، وقوله: بهم، زيادة منه ومن (ب).
(8) قوله: أبداً، زيادة من شرح النهج.

(171/1)

أما أولاً: فلما عليهم من المنة به باصطفاء الرسول ودعاؤه لهم إلى الإسلام، فإن هذه منّة لاتشبه المنن، ونعمة لاتشبه النعم.

وأما ثانياً: فلما كان من رسول الله من المنِّ يوم الفتح، وإطلاقهم عن الرق والأسر والقتل، حيث قال: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))(1)، فمن هذه حاله لا يقاس بهم غيرهم، وكيف يقاس بهم غيرهم، والمشابهة من جميع الوجوه منتفية فلا وجه إذن للمقاسة، إذ لا بد لحقيقة القياس من أن تقع عِلِيَّة، تكون(2) مستندة إليه.

(هم أساس الدين): قواعده التي عليها يبنى، وإنما كرر ذكر الضمير وهو قوله: هم، لما فيه من مزيد الاختصاص، كأنه قال: لايختص بهذه الصفات سواهم، وهذا كقوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا}[النجم:43-44]، فكرر الضمير دالاً به على أنه لا يختص بهذه الأمور إلا هو.

(وعماد اليقين): العماد: جمع عمد، وهي: الأخشاب التي يشد إليها حبال الأخبية.

(إليهم يفيء الغالي): إنما قدم الضمير لما فيه من الإيهام بذكرهم فاء إذا رجع، والغالي هو: الذي يزيد في الشيء ويكثر منه، كقوله تعالى: {لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}[النساء:171]، كما غلت النصارى في عيسى فاعتقدوه إلهاً، ومعناه أن الغالي يرجع إليهم لما يأخذ من البصيرة فيرجع عن غلوه.

---

(1) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 447/1، وعزاه إلى السنن الكبرى للبيهقي 118/9، وانظر سيرة ابن هشام 35/4.
(2) في (ب): ويكون مستنده إليه.

(وبهم يلحق التالي): هذا تلو لهذا، أي تابعه، قال تعالى: {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا}[الشمس:2]، أي تبعها يعني الشمس، والمعنى في هذا(1) أنهم المتقدمون لكل الخلق ومن عداهم تابع لهم وقافٍ على إثرهم.

(ولهم خصائص حق الولاية): الخصائص: جمع خصيصة، وهي عبارة عما يكون الإنسان مختصاً به، الولاية: بكسرالفاء مصدر كالإمارة، وهي عبارة عن النصرة، والوَلاية: بالفتح هي الاسم، وهي عبارة عن السلطان، والولاية ها هنا مفسرة في كلامه بالوجهين؛ لأن المعنى أنهم المختصون بالإمارة والسلطنة، وبالنصرة والاحتماء من بين سائر الخلق.

(وفيهم الوصية): يشير بهذا إلى نفسه؛ لأن الرسول عليه السلام قال: ((ووصيي(2) ووزيري وخير من أخلفه لقضاء ديني علي بن أبي طالب))(3).

---

(1) في (ب): بهذا.

(2) في (ب): وصيي.

(3) أخرجه الإمام محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في مناقبه 386/1-387 تحت الرقم (306) بسنده عن أنس بن مالك عن سلمان مع اختلاف في بعض ألفاظه وزيادة فيه، وهو فيه بلفظ: ((إن خليلي ووزيري وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي، يقضي ديني، وينجز موعدي علي بن أبي طالب)) وله فيه شواهد كثيرة، وكما في الكوفي أخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق 130/1-131عن أنس تحت الأرقام (155-158)، وانظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص 203، وهو بلفظ: ((إن أخي ووصيي وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب)) أخرجه الكوفي أيضاً في مناقبه عن أنس تحت الرقم (345)، وانظر تخريج الحديث الموسع في لوامع الأنوار 509/2.516.

(والوراثة): إن أراد وراثة العلم فهو يعني نفسه؛ لأنه نازل منزلتهصلى الله عليه وآله وسلم(1) في العلم والولاية بالخلق، وإن أراد وراثة النسب فهو يعني فاطمة فإنها بنته ووارثة بنسبها(2) منه، وغرضه بالآل(3) الذين أشار إلى فضلهم هو نفسه وولداه وفاطمة، فإن هؤلاء هم الآل باتفاق أهل البيت على ذلك، ومن تلاهم من أولادهم.

(الآن): أي هذا الوقت يشير إلى زمان خلافته.

(إذ رجع الحق إلىأهله): إلى مستحقيه، ومن كان [مستحقاً] (4) أهلاً له من قبل غيره.

(ونقل إلى منتقله): وحول إلى أصله الذي كان له وموضعه(5)، والمنتقل: ما ينتقل إليه كالمضطجع(6) لما يضطجع فيه.

دقيقة: اعلم أن ذكره للآل بعد ذكر بني أمية كلام جار على جهة الاستطراد، وهو كل كلام خرجت منه وأخذت في ذكر غيره مما لا يناسبه، ولا يكون بينهما ملابسة، وهو جار في كلام الله تعالى في مواضع كثيرة، وفي كلام الفصحاء.

(3) ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقية

وهي: من جلائل الخطب النفيسة على الاستعارات الرشيقة، والتمثيلات الحسنة، وفيها تنبيه على علو همته وارتفاع قدره، قال فيها:

(أما والله): أما هذه هي المحققة وهي دالة على التنبيه، وهي نظيرة ألا المحققة، كما قال تعالى(7): {أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ}[يونس:62] {أَلاَ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ}[الصافات:151] و{أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ}[فصلت:54] وغير ذلك.

قال:

---

(1) قوله: وسلم زيادة في (ب).

(2) في (أ): نسبها.

(3) في (أ): بالأول، وهو خطأ.

(4) زيادة في (ب).

(5) في (أ): وضعه، وهو خطأ.

(6) في (أ): كالمضتجع، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ب).

(7) قوله: تعالى زيادة في (ب).

(174/1)

أَمَا وَالذِي أَبْكَى وأَضْحَكَ، وَالَّذِي .... أَمَاتَ وأَحْيا والذي أَمْرُهُ الأَمرُ (1)

ويستعمل القسم بعدها كثيراً.

(لقد تقمصها): الضمير للإمامة أي لبسها لبس القميص، وهذه استعارة حسنة فا شتمل عليها كا شتمال القميص على البدن.

(فلان(2)): يشير به إلى أبي بكر، اللام في لقد هي المحققة للجملة الواقعة [بعدها] (3)، الموضحة لأمرها وشأنها، كأنه قال: لقد اختص بها اختصاصاً ظاهراً، لايشك فيه أحد وانفرد بها قطعاً.

(وإنه ليعلم): ليتحقق تحققاً لاريب فيه.

(أن محلي منها): مكاني من الإمامة ومنزلتي منها، من ها هنا كالتي في قولك: منزلتك من فلان قريبة لابتداء الغاية.

(محل القطب من الرحى):مكان القطب: وهي حديدة تدور عليها الرحى للماء، ومن هذه حاله فإنه لأهل لها، وإني لها كالجبل الذي.

(ينحدر عني السيل): لارتفاعه وعلو سمكه، والسيل إنما يستقر على الحضيض وقرار الأرض.

(ولا يرقى إليَّ الطير): لشموخه وارتفاع حجمه، والطير إنما يحلق إلى مقدار الأبنية المتقاصرة، فلما رأيت ما رأيت من الاستبداد زعماً للأولوية والإعراض عني، وتركه(4) اعتماداً على الأحقية.

(فسدلت(5) عنها ثوباً): سدل الثوب إذا أرخاه على منكبيه، من غير أن يرده عليهما، أو على أحدهما.

---

(1) في (أ): أمر، وفي (ب) كما أثبته، والبيت هو لأبي صخر الهذلي.

(2) في شرح النهج: ابن أبي قحافة.

(3) سقط من (ب).

(4) في (أ): وتركي، وفي (ب) كما أثبته.

(5) في (ب): سدلت، والعبارة في النهج: فسدلت دونها ثوباً.

(175/1)

(وطويت عنها كشحاً): والكشح: مابين الخاصرة والضلع الخلف، وهذا كلام جعله كناية عن الإعراض عنها، وتركها والإقبال على غيرها، كما جعل قوله: فلان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، كناية عن التحير، وقولهم: فلان يخبط(1) على الماء، وينفخ في غير ضِرَمٍ، كناية(2) عن الاشتغال بما لا يجدي(3) ولايعود بنفع وغير ذلك، وهو يزيد الكلام بلاغة ويكسبه رونقاً وحلاوة.

(وطفقت): جعلت، قال الله تعالى: {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ}[الأعراف:22] أي جعلا.

(أرتئي): أفتعل من الرأي والتدبير، ومعناه جعلت أجيل رأيي، وأدبر(4) في عاقبة أمري.

(بين أن أصول): صال عليه إذا استطال وعلا، وقد قيل: رب قول أشد من صول(5)، أي ربما كان الكلام أنفع في بعض الأحوال من المصاولة والاستطالة.

(بيد جذَّاء): اليد ها هنا هي: الجارحة، والجذَّاء هي: المقطوعة، والجذُّ: القطع، قال الله تعالى:

{عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[هود:108] أي مقطوع، وهذاالكلام جعله كناية عن عدم الناصرله على ما يريده.

(أو(6) أصبر): وأكظم غيظي:

(على طخية عمياء): الطخية: الظلمة، والطخية بالفتح: الكلمة التي لا يفهم معناها، وأراد بها ظلمة مظلمة وقضية مستعجمة لايفهم معناها، ولا يدرك منتهاها، وجعل هذا الكلام كناية عن صعوبة الحال وشدتها، واستفحال أمرها وامتداد زمانها(7)، حتى أنها.

---

(1) في (ب): يخط.

(2) في (أ): من الكناية.

(3) في (أ): لا يجري، وهو تحريف.

(4) في (أ): وأدير، وفي (ب) كما أثبته.

(5) صاحب القول هذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو في شرح النهج لابن أبي الحديد بلفظ: (رب قول أنفذ من صول).

(6) في (أ): وأصبر، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(7) في (ب): زمنها.

(176/1)

(يهرم فيها الكبير): إذ ليس بعد الشيخوخة إلا الهرم.

(ويشيب فيها الصغير): إذ ليس بعد الكهولة إلا المشيب، وأراد بهذا الإبانة والإفصاح عن عظم حالها.

(ويكدح فيها(1)): يسعى ويعالج، كقوله تعالى: {إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا}[الإنشقاق:6].

(مؤمن): أراد نفسه.

(حتى يلقى ربه): وهو على حالته، مستأثراً عليه بحقه، موَّلى عليه غيره، فلما كان أمري فيما أنا فيه لاينفك عن أحد هاتين الحالتين.

(فرأيت): فكان عاقبة نظري، ومنتهى تفكيري.

(أن الصبر على هاتا): وهي الطخية العمياء؛ لما فيها من سلامة الدين، وتسكين الدهماء، والإعراض عن زخرف الدنيا، ولذتها.

(أحجى): إما من قولهم: فلان أحجى بهذا، أي أخلق بها وأحق، وإما أخذاً لها من الحجا وهو العقل، أي أنها فعل ذوي الحجا؛ لأن من شأنهم الإعراض عن ما فيه شجار وخصومة.

(فصبرت): فحصل صبري على احتمال المكاره، والاصطبار لها.

(وفي العين قذى): القذى: ما يسقط(2) في العين فيؤذيها، ومنه الحديث: ((يرى أحدكم القذى في عين صاحبه، ولا يرى الجذع في عينه))(3)

---

(1) قوله: فيها، زيادة من شرح النهج.

(2) في (ب): سقط.

(3) الحديث أورده ابن الأثير في النهاية 30/4 بلفظ: ((يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ويعمى عن الجذع في عينه))، وهو في لسان العرب 42/3 بلفظ النهاية، ورواه في مسند شمس الأخبار 517/1 في الباب الثامن والتسعين بلفظ: ((يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ويدع الجذع في عينيه))، وقال في تخريجه: أخرجه أبو نعيم في الحلية، وضعفه السيوطي، وابن المبارك عن أبي هريرة. انتهى._ ... _قلت: وأورده الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار وسلوة العارفين ص525 في باب الاشتغال بعيب النفس عن عيوب الناس، أورده من حديث عن المسيح عليه السلام.

(177/1)

يريد أنه يتيقظ لصغير القبيح في غيره، ولا يتيقظ لكبير قبح فعله.

(وفي الحلق شجاً): الشجا: ما يعترض في الحلق

قال:

من يكدني بِسَبّي كنتُ منه .... كالشَّجا بَيْنَ حَلْقِهِ والوريدِ

(أرى): أنظر بعيني، وأتحقق بقلبي:

(تراثي نهباً): التراث والورث واحد، والتاء بدل من الواو فيه، والنهب: ما ينتهب ويأخذه من شاء، ثم كانت هذه حالي(1) وهجيراي، وعاقبة أمري:

(حتى مضى الأول): مات أبو بكر.

(لسبيله): لطريقه إلى الآخرة، وكان الموت طريقاً؛ لأن به يصل إليها لا محالة.

(أدلى بها): من قولهم: أدلى إليَّ بالقرابة، وغرضه أنه دفعها، وأدلى قد يأتي متعدياً بنفسه، كقوله تعالى: {فَأَدْلَى دَلْوَهُ}[يوسف:19]، وتارة بحرف الجر، كقوله تعالى: {وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ}[البقرة:188]، وهاهنا استعمله متعدياً(2) بالباء دلالة على ملاصقته لها بالدفع(3).

(إلى فلان بعده(4)): أراد عمر بن الخطاب، فإنه عقد له الخلافة بعده، وهذا لين عند المعتزلة أن الخمسة قد اختاروا أبا بكر وهو سادسهم، وعقدوا له، فلما صحت إمامته بالعقد، جاز أن يكون عاقداً

لغيره، فلهذا صحت إمامة عمر عندهم عملاً على هذا؛ لأنه لما صار مختاراً بالعقد جاز أن يعقد ويختار لغيره، ثم تمثل ببيت الأعشى(5):

(شَتَّانَ ما يَوْمِي على كُورِهَا .... ويَوْمُ حَيَّانَ أَخي جَابرِ(6))

---

(1) في (ب): حالتي.

(2) في (ب): متعد.

(3) في (أ): بالرفع، وهو تحريف.

(4) في شرح النهج: إلى ابن الخطاب بعده.

(5) هو الأعشى الكبير، أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل،

(6) بعده:

أرمي بها البيداء إذ هجَّرت .... وأنت بين القَرْو والعاصِر

في مِجْدَلٍ شُيِّد بنيانه .... يَزَلّ عنه ظُفُرُ الطائر

(انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 167/1).

(178/1)

ولنذكر معنى البيت، وموضع الشاهد فيه:

أما معناه فقوله: شتان هو اسم من أسماء الأفعال، والمعنى إذا قلت: شتان زيد وعمرو، أي تباينا وافترقا، ويستعمل على وجهين:

أحدهما: وهو الأكثر الأعرف عند أئمة اللغة: شتان زيد وعمرو، وشتان ما زيد وعمرو، وعلى هذا ورد(1) البيت للأعشى.

وثانيهما: أن يقال: شتان ما بين الزيدين، وشتان ما بينهما، أي بعد ما بينهما، وعلى هذا ورد قول من قال:

لَشَتَّان ما بين اليزيدين في النَّدى .... يزيد سليم والأغرّ بن حاتم(2)

---

(1) في (ب): وارد.

(2) البيت أورده صاحب (أعلام نهج البلاغة) -خ- ص 6بدون نسبة إلى قائله، وقال في شرحه للشطر الثاني ما لفظه: يعني يزيد بن أسيد السلمي، ويزيد بن حاتم المهلبي. انتهى، وورد البيت في لسان العرب 267/2 ونسبه إلى ربيعة الرقي.

فأما الأصمعي(1) فأنكر هذا(2) ورده، ولم يستبعده آخرون؛ لأن الغرض من هذا بَعُدَ ما بينهما، وما زائدة، يومي فاعل شتان، والكور للناقة كالسرج للفرس، ويوم حيان عطف على ما قبله بالرفع أيضاً، وحيان وجابر كانا رئيسين من رؤساء بني حنيفة، والمعنى فيه ما أبعد ما بين اليومين اللذين مرا على رأسي، يوم ركبت ناقتي وعالجت مشقة السفر، ويوم استقر في المكان عند حيان في خفض العيش والدعة والكرامة والجائزة العظيمة من حيان، يمدحه بذلك ويشكره، وكان سيداً في بني حنيفة. وحكي أنه عِيْبَ على الأعشى؛ لأنه نسبه إلى أخيه في الاشتهار، مع كونه غنياً عن ذلك لشرفه في نفسه من غير حاجة إلى ذكر أخيه، فاعتذر الأعشى بالقافية، فلم يعذره في ذلك(3).

فأما(4) موضع الشاهد من البيت، فإنما أورده عليه السلام لأحد غرضين:

أحدهما: أن المراد ما أبعد ما بين حالتي مع رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] (5) وفي(6) إدنائي وتقربي(7) منه، وبين حالتي الآن في إبعادي وإقصائي عن الأمر.

---

(1) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، المعروف بالأصمعي، أبو سعيد [122-216هـ] أحد الأعلام في الأدب والنحو واللغة والأخبار، والملح، محدث، له مؤلفات منها: نوادر الأعراب، واللغات وغيرهما (انظر معجم رجال الاعتبار ص256،275).

(2) في (أ): فأنكرها وأورده، وما أثبته من (ب).

(3) أعلام نهج البلاغة -خ-، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد 167/1.

(4) في (ب): وأما.

(5) سقط من (ب).

(6) في (ب): في بدون الواو.

(7) في (ب): وتقريبي.

وثانيهما: أن يكون غرضه ما أبعد حالي عن حال عمر، فإذا عقدت له مع أن حاله لايبلغ إلى حالي، فكنت أحق بالعقد منه وأولى، وهذا جيد، ولهذا تمثل به عليه السلام عقيب قوله: فأدلى بها إلى فلان بعده، وهذا يقوي ما قلناه.

(فيا عجبا!): أصله إما يا عجبي وأبدلت الألف من الياء، وإما يا عجباه فطرحت هاء السكت عند

الوصل، والمعنى: ياقوم عجباً لهذا الأمر، واستعجاباً منه.

(بينا): [هي بين](1) لكن أشبعت الفتحة فنشأت الألف، ويزاد عليها ما، فيقال: بينما، والمعنى تعجبي حاصل بين أوقات استقالته لها في حياته، وتليه الجملة الإبتدائية، ومنه قولهم: بينا رسول الله واقف، بينا زيد قائم إذ جاء فلان.

(هو يستقيلها في حياته): الضمير في يستقيلها للإمامة، وفي حياته يعني أبابكر، والاستقالة: طلب فسخ العقد السابق، كالاستقالة في البيع؛ لأن أبا بكر كان يقول في بعض الأوقات في خلافته: أقيلوني فلست بخيركم، فلهذا قال عليه السلام: العجب من حاله إذا كان يستقيلها في حياته، فكان من حقه ترك الأمر، وإهماله عند الموت من غير مثابرة إلى إمالتها إلى الغير وتخصيصه بها.

(إذ عقدها لآخر بعد وفاته): يشير إلى عهد أبي بكر إلى عمر، وقوله بعد ذلك: لشد ما تشطر، اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وأراد على جهة الإنكار لقوله: يستقيلها.

---

(1) سقط من (أ).

(181/1)

(لشدّ ما تشطر(1) ضرعيها): شدَّ عضده إذا قوَّاه، قال الله تعالى: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ}[ص:20]، واللام في قوله: لشد هي المحققة للجملة، مثلها في قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ}[الحجر:97]، وما هاهنا مصدرية، وهي وما بعدها فاعلة لشدّ، وتشطر فعل وفاعله أبو بكر، وشطر الشيء: نصفه، وشطره: بعضه، وفي المثل: أحلب حلباً لك شطره(2)، وهو هاهنا مستعار من الناقة؛ لأن لها ضروعاً أربعة اثنان مقدمان(3)، واثنان مؤخران، كل ضرعين فيها يسميان خِلْفاً(4)، وكل خلف يقال: شطر، والمعنى [فيه](5) أن أبا بكر قد حلب شطرها(6)، يعني الخلافة برهة من الزمان ومزَّ أخلافها، وعصر بلالتها مدة حتى إذا دنا موته نحاها عني:

(فصيَّرها): جعلها:

(في حوزة خشناء): الحوزة: هي الجانب من الشيء، وإنما سمي الجانب حوزة؛ لأن الإنسان يحوزه بوقوفه فيه وشغله له، وأراد بالحوزة جانب عمر حين عهد إليه بالخلافة وجعلها له.

(يغلظ كَلْمُهَا): الغلظ: خلاف الرقَّة، والكَلْمُ: الجرح، قال:

وكَلْمُ السيفِ تدملَه فيبرا .... وكَلْمُ الدهرِ ما جَرَحَ اللسانُ(7)

---

(1) في النهج: تشطرا ضرعيها، وفي (ب): تشطر أضرعتها.

(2) أعلام نهج البلاغة –خ–.

(3) في (ب): متقدمان.
(4) كذا في النسختين، ولعل الصواب: خلفان، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 170/1: وللناقة أربعة أخلاف: خِلفان قادمان، وخلفان آخران، وكل اثنين منهما شطر. انتهى.
(5) زيادة في (ب).
(6) في (ب): أشطرها.
(7) البيت ورد في لسان العرب 1014/1، بدون نسبة لقائله بلفظ:
وجرح السيف تدمله فيبرا .... ويبقى الدهر ما جرح اللسان

(182/1)

(ويخشن مسُّها): الخشن: خلاف الملاسة، والمسُّ: هو الجسُّ باليد، وهو مستعار ها هنا استعارة رشيقة، والمعنى هو أن عمر لما علا ذروة الخلافة وملك زمامها وقع في شدائد، وألم به خطوب عظيمة، تدهش الحليم، ويذهل عنها اللبيب، وكنى عن هذا بغلظ الكلم وخشن المس إشارة إلى ما قلناه، وهي كناية عجيبة، لايفطن لها إلا هو.
(ويكثر العثار [فيها](1)): يشيربه إلى المطاعن التي وقعت في خلافته.
(والاعتذار منها): يريد أنه قد عثر واعتذر عن عثراته، ولنشر إلى طرف من ذلك:
أولها: أنه رجم حاملاً، فقال له أمير المؤمنين: هب أن لك سلطاناً عليها، فما سلطانك على مافي بطنها. فأمسك، وقال: لولا علي لهلك عمر(2).
وثانيها: أنه كان يمنع من المغالاة في المهور في خطبه فنبهته امرأة، فقالت له: إن الله تعالى يقول: {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا}[النساء:20]، فاعتذر عن ذلك وقال: كلكم أفقه من عمر، حتى المخدَّرات في البيوت(3).

---

(1) سقط من الأصل وهو في شرح النهج.
(2) انظر الرواية بالتفصيل في مجموع الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام ص228 برقم(494) بسنده عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام، وفي الأحكام للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام 220/2، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
(3) شرح النهج لابن أبي الحديد 182/1، ولفظ آخره فيه: (كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال)، وروى قريباً منه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام 234/3 وعزاه إلى الثمرات للفقيه العلامة يوسف بن أحمد بن عثمان الثلائي رحمه الله، وكما في أنوار التمام رواه

العلامة المفسر الزمخشري في الكشاف523/1، وقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد في المغني13/2/20.

(183/1)

وثالثها: أنه أخبر بقوم يشربون الخمر فتسور عليهم، فقالوا له: أخطأت في ثلاث: منها أن الله تعالى نهى عن التجسس وقد فعلته، ومنها أنك دخلت بغير أذن، ومنها أنك لم تسلم(1)، فا عتذر إليهم في ذلك، وغير ذلك من القضايا الاجتهادية التي ارتبك فيها، وأخذ الحكم فيها من أمير المؤمنين، وهي ظاهرة مروية في كتب الفقه(2)، فهذا هو مراده بقوله عليه السلام: ويكثر العثار والاعتذار منها، فإذا كان الأمر كما قلنا(3) من مقاساة الأمورالشديدة والخطوب الصعبة بتحمل الخلافة، والقيام بأعبائها.

(فصاحبها): الضمير إما للحوزة؛ لأنه هو السابق في الذكر، وإما للخلافة؛ لأنها هي المعهودة بالذكر، فيما يلاقي من خطوبها وأثقالها:

(كراكب الصعبة): يشبه(4) حاله حال من ركب ناقة نفوراً غير مذللة فهو فيما يكابد من عنائها، إما أشنق لها والإشناق: هو جذبها بزمامها، فإذا جذبها بزمامها وهي تنازعه رأسها خرم أنفها.

---

(1) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 182/1، والمغني 14/2/20.

(2) انظر الروضة الندية في شرح التحفة العلوية ص143-147، وانظر الجزء الثالث من كتاب الغدير للسيد محسن الأميني، والنص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين.

(3) في (ب): قلناه.

(4) في (ب): شبه.

(184/1)

(إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحَّم): الأصل في تقحم تتقحم(1) لكن حذف أحد(2) التائين على جهة التحقيق، يقال: أشنق لبعيره وأشنقه يتعدى ولا يتعدى، وإما أرخى لها رسنها(3) مع صعوبتها، فإذا فعل ذلك تقحمت عليه ولم يملكها وأسلس لها إذا أرخى زمامها، وسلس بوله وأسلسه يتعدى بكل حال، وإنما قال: أسلس لها، والقياس فيه التعدية ليطابق قوله: أشنق لها، لما كان فيه الأمران(4) التعدية و تركها، وهذا الكلام يعني به عمر، وهو المراد بقوله: فصاحبها، والمعنى في

هذا هو أنه لما صارت الخلافة إليه كان في معاملته للناس بين أمرين: إما حمل الناس على المكروه، وعلى خلاف ما يريدونه، أدى ذلك إلى فساده وتظالمهم، وإما تركهم وآراءهم أدى ذلك إلى بطلان أمره وفساده بتقحمهم عليه، وإنما حملناه على هذا ليكون المثال(5) مطابقاً لممثوله في ركوب الصعبة التي أوردها، فلما عهد إليه أبو بكر في الخلافة وصيرها فيه:

(فمني الناس –لعمر الله–): ابتلي الناس في تلك المدة، ولعمر الله قسم، وهو مرفوع على الابتداء، وخبره قسمي وهو محذوف، ومعناه البقاء والدوام، يقال: عمر الرجل يعمر عمراً وعمراً إذا عاش طويلاً، فكأنه قال: أحلف ببقاء الله ودوامه.

(بخبط): سير على غير طريق.

(وشماس): شمس الفرس إذا منع صاحبه عن الركوب، والغرض من هذا هو أنهم عدلوا عنه فخبطوا في غير طريق وحالوا بينه وبين حقه ومنعوه، ولهذا قال: بخبط وشماس يشير به إلى ما ذكرناه.

---

(1) في (أ): يتقحم، وهو تصحيف.

(2) في (ب): إحدى.

(3) في (أ): سنها، وهو تحريف، وفي (ب) كما أثبته، والرسن: الحبل.

(4) في (ب): الأمرين.

(5) في (أ): المقال، وفي (ب) ما أثبته.

(185/1)

(وتلَّون): فلان يتلوَّن إذا كان لا يستقرعلى حالة واحدة، ولا يثبت على خلق واحد.

(واعتراض): إما من قولهم: اعترضت فلاناً إذا وقعت به في الأذية، وإما [من](1) قولهم: اعترضت كذا، إذا جعلت نفسك حائلة(2) دونه، والغرض من هذا هو أنهم أعطوه(3) دون حقه وصيروا أهويتهم(4) عارضة عنه، أو حصلت الوقعة من بعضهم لبعض، فكل هذا قد كان، فتلوَّنوا في أخلاقهم، يريد أنهم لم يثبتوا على خلق واحد في جعلها له وصيرورتها إلى جانبه، بل بعضهم يقول علي، وبعضهم يقول غيره، فلما كان فيهم من الاستبداد ما كان، وعرض منهم ما عرض.

(فصبرت على طول المدة): لأن خلافة أبي بكر كانت سنتين ونصفاً، وخلافة عمر كانت(5) عشر سنين، وخلافة عثمان كانت قريباً من اثنتي(6) عشرة سنة.

(وشدة المحنة): لمنعي(7) من حقي، وانحطاطي عن مرتبتي، وكل(8) ذلك من شدة البلوى وعظم المحنة.

(حتى إذا مضى لسبيله): مات عمر وهلك كغيره.

(جعلها): صيَّرها.

(في جماعة): علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

(زعم أني أحدهم): قال من جهة نفسه: إنها شورى بين هؤلاء الستة، وإني واحد منهم لا اختصاص لي بشيء دونهم.

(فيا لله): استغاثة منه بالله في هذا الصنيع منهم، واللام مفتوحة أينما وقعت للاستغاثة.

(وللشورى!): الرواية فيه بكسر اللام، وإنما كسرت لأمرين:

---

(1) سقط من (أ).

(2) في (ب): جاثمة.

(3) في (أ): اعترضوا، وما أثبته من (ب).

(4) في (ب): نفوسهم.

(5) قوله: كانت سقط من (أ).

(6) في (ب): اثني.

(7) في (أ): لمنع، والصواب كما أثبته من (ب).

(8) في (ب): وكان.

(186/1)

أحدهما: أن تكون الشورى مستغاثاً بها، وكسرت لامها لأجل زوال اللبس بوقوع الواو، ويكون معناه أستغيث بالله وبالشورى على هؤلاء حين عدوني من أهلها.

وثانيهما: أن تكون الشورى معطوفاً على شيء مستغاث(1) من أجله، فلهذا كان لامها مكسوراً، فيكون تقديره: أستغيث بالله على هؤلاء وعلى الشورى حين صرت معدوداً من أهلها.

وزعم الشريف السيد علي بن ناصر صاحب (الأعلام) أن اللام في قوله: ياالله للاستغاثة، وفتحت فرقاً بينها وبين اللام في المستغاث منه، وأن اللام في قوله: وللشورى لام التعجب(2)، وهذا فاسد؛ لأن لام التعجب لا تكون إلا مفتوحة كقولهم: يا للماء ويا للدواهي، وقولهم: يا للعجب.

(متى اعترض الريب فيَّ(3) مع الأول(4)): أي زمان كان الشك معترضاً حاصلاً في ذاتي ومتى وقع النقص في همتي.

(حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر!): حتى هذه هي الابتدائية، ومعناها حتى صيروني مثلاً بهذه النظائر، والقرن والنظير(5) هما: المثل.

(لكني أسففت إذ(6) أسفوا): أسف الطائر إذا دنا من الأرض عند طيرانه.

(وطرت إذ(7) طاروا): معناه(8) حلقت حين حلقوا، والتحليق هو: ارتفاع الطائر في الجو، والتحليق إنما يكون في الطيور القوية كالنسر والعقاب، فأما صغار الطيور فلا تقوى عليه لضعفها.

سؤال؛ من حق لكن إذا كانت للاستدراك أن تكون متوسطة بين كلامين متغايرين، فأين التغاير في كلامه هذا؟

---

(1) في (أ): على مستغاثاً، وما أثبته من (ب).

(2) أعلام نهج البلاغة -خ- ص: 7.

(3) قوله: فيَّ، سقط من (أ).

(4) في شرح النهج: مع الأول منهم.

(5) في (أ): والنظر، وهو تحريف.

(6) في (أ) إذا.

(7) في (أ): إذا.

(8) في (أ): معنا، والصواب ما أثبته من (ب).

(187/1)

وجوابه؛ هو: أن التقدير فيه لما ضمَّوني إلى هذه النظاير فما حوَّلت ولا بدّلت شيئاً مما فعلوه أصلاً، لكني تركتهم على حالهم فيما زعموه، وفعلت ما قالوه فأسففت حين أسفوا، وطرت حين طاروا، فاجتهدوا، وأعملوا(1) آراءهم في صرفها عني، وإيثار غيري بها.

(فصغا رجل منهم لضغنه): فمال واحد منهم عني لما في صدره من الحقد، وهو الضغن، وهو سعد بن أبي وقاص(2)، فإنه قتل أباه يوم بدر، وهو الذي توقَّف في إمامته بعد قتل عثمان وإجماع الناس عليها مع غيره.

(ومال الآخر لصهره): يريد عبد الرحمن بن عوف مال إلى عثمان؛ لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً(3) لعثمان من أمه وأمهما أروى(4).

(مع هن وهن(5)): الهن: جعلوه كناية عن الأشياء القبيحة، ولهذا فإنهم لما استقبحوا التلَفّظ باسم الفرْج جعلوا مكانه الهن.

---

(1) في (أ): وعملوا، وفي (ب) ما أثبته.

(2) ذكر هذا القول الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ-، وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج189/1 أن المراد بقوله: (فصغا رجل منهم لضغنه) أي طلحة، قال: وقال

القطب الراوندي: يعني سعد بن أبي وقاص؛ لأن عليًا عليه السلام قتل أباه يوم بدر، قال: وهذا خطأ فإن أباه (أبو وقاص) واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب مات في الجاهلية حتف أنفه. انتهى.

(3) في (أ) و(ب): أخت، والصواب كما أثبته: اختاً بالنصب؛ لأنه خبر كان.

(4) هي أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

(5) في (ب): ووهن.

(188/1)

قال:

أرى ابن نزارٍ قد جفاني وملَّني .... على هَنَواتٍ شأنُها مُتَشَاسِعُ(1)

ويقال: كان بينهم هنات أي أشياء قبيحة، ولما أراد حسان مهاجاة قريش أمره الرسول عليه السلام بأن يسأل أبا بكر عن فضائحهم، وقال: ((اسأله، فإنه أعرف بتلك الهنات)) فصبرت على ما أنا فيه من الاستبداد والإيثار عليَّ:

(إلى أن قام ثالث القوم): يعني عثمان، أي واحد من القوم.

(نافجاً بحضنيه(2)): النافج بالجيم: صاحب الكبر والخيلاء، نفج الرجل إذا تكبر واختال، ومن رواه بالخاء المعجمة فإنما هو تصحيف لا وجه له، والحضن: ما دون الإبط إلى الخاصرة، وانتصابه على الحال من ثالث القوم، أي قام على هذه الحالة.

(بين نثيله ومعتلفه): النثيل: الزبل، والمعتلف: موضع العلف، وفعيل في نثيل بمعنى مفعول، مثل جريح بمعنى مجروح.

سؤال؛ إلى ما يشير بقوله: نافجاً حضنيه(3)، وقوله: بين نثيله ومعتلفه، فيكاد أن يكون كلاماً أجنبياً غير ملائم؟

---

(1) البيت في لسان العرب 840/3 بدون نسبة إلى قائله، وقوله هنا: (متشاسع)، في اللسان: (متتابع)، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد184/1.

(2) في شرح النهج: حضنيه.

(3) في (ب): حضنه.

(189/1)

وجوابه؛ هو: أنه أشار عليه السلام بقوله: نافجاً حضنيه إلى الكبر والتعاظم، ولهذا كان منه إلى جلة الصحابة وأكابرهم ما كان من ضرب عبد الله بن مسعود، وإحراق سائر المصاحف كلها إلا مصحفه، وأمره بإشخاص ابن مسعود لما طعن فيه وكفَّره، وما كان من ضربه لعمار بن ياسر وكان يكفّره ويطعن عليه، وأخرج أبا ذر إلى الشام إرضاءً لمعاوية، وضربه له، وغير ذلك مما يدل على تكبر وتعاظم على أهل الدين، وأشارعليه السلام بقوله: بين نثيله ومعتلفه إلى ما كان من تساهله في إعطاء أموال الله من ليس أهلاً لها ولا يستاهلها يخضمها ويقضمها(1) من غير استحقاق، حتى روي أنه أعطى أربعة نفر من قريش أربعمائة ألف دينار، كانوا أزواجاً لبناته، إلى غير ذلك مما لو ذكرناه لطال(2)، فأشار بهذه الإشارة اللطيفة إلى ما ذكرناه.
(وقام معه بنو أبيه): أقاربه من بني مُعَيْط، ولهذا قال له عمر: إذا وليت هذا الأمر فلا تسلط آل معيط على رقاب الناس(3).
(يخضمون مال الله): الخضم هو: الأكل بجميع الفم.

---

(1) الخضم: الأكل بجميع الفم، والقضم: الأكل بأطراف الأسنان.
(2) انظر المصابيح لأبي العباس الحسني ص283-294، وشرح النهج لابن أبي الحديد 199،198/1، والمغني لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد 38/2/20-40.
(3) الرواية في شرح النهج لابن أبي الحديد 186/1، عن الجاحظ في كتاب (السفيانية)واللفظ فيه: (هيها إليك. كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء ...إلخ). وانظر الرواية بلفظ المؤلف هنا في المغني لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد 38/2/20.

(190/1)

(خضم الإبل نبتة الربيع): لما فيها من الطيب والرقة، لأن أكلها يعظم فيها، فلهذا شبه حالهم بأكل الإبل لها، ثم أقام على هذه الصفة، ومكث على هذه الحالة.
(إلى أن نكث غزله فقتله(1)): نكث الغزل إذا نقضه وغزله مرة ثانية.
(وأجهز عليه عمله): أراد أن عمله أسرع إلى قتله، أخذاً من قولهم: أجهز على الجريح إذا أسرع في قتله.
(وكبت به مطيته(2)): فسقط من ظهرها، فاستعار(3) عليه السلام هذه الأشياء ودل بها على تغير حاله، وتفاقم الأمر عليه من كل جانب، حتى قال عمار بن ياسر: قتلناه كافراً.
وفي بعض النسخ: (كبت به بطنته) والبطنة هي: الإمتلاء، وهو خطأ لا معنى له.

(فما راعني): الروع(4) هو: الفزع، قال الله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ}[هود:74] أي الفزع، ومعناه فما أفزعني.

(إلا والناس إليَّ كَعُرْف الضبع): إلا والناس يتوجهون إليَّ أرسالاً فريق بعد فريق، وإنما شبههم بعرف الضبع لكثرة شعرها، وترادف بعضه على بعض.

سؤال؛ أين [فاعل(5)] راعني وما بعده لايصلح أن يكون فاعلاً؟

وجوابه؛ أنه(6) يحتمل أن يكون الفاعل له ما بعد إلا، والتقدير فيه: فما راعني إلا اجتماع الناس إليَّ، وعلى هذا يكون الاستثناء فيه مفرغاً، ويحتمل أن يكون فاعله محذوفاً، أي ما راعني شيء، وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً، تقديره لكن الناس إليَّ مجتمعون.

(ينثالون عليَّ): ينصبُّون.

(من كل جانب): من كل جهة لكثرتهم، وتراكم عددهم.

---

(1) في (ب): إلى أن انتكث عليه فتله، وفي شرح النهج: إلى أن انتكث فتله.

(2) في شرح النهج: بطنته.

(3) في (ب): واستعار.

(4) في (ب): من الروع.

(5) سقط من (أ)، وأثبته من (ب).

(6) في (ب): هو أن يحتمل... إلخ.

(191/1)

(حتى لقد وطئ الحسنان): من كثرة الناس، وازدحامهم عليه.

(وشق عطافي(1)): تمزق ردائي لوطئهم له بأخفافهم ينثالون.

(مجتمعين): حال من الواو في ينثالون.

(حولي): من عن يميني، وشمالي، وخلفي، وقدامي محدقين بي.

(كربيضة الغنم): الربيضة: مكان ربوض الغنم، والمعنى أنهم محيطون بي كإحاطة الربيضة بالغنم واجتماعها فيها.

وحكي أن الناس فرحوا ذلك اليوم(2) فرحاً شديداً، وصاروا يتباكون(3) حوله خوفاً أن يعتذرهم عن البيعة، فقال: (أنا أطلع المنبر، فإن قال أحد: لا أرضى لم أدخل)، حتى قال ابن عباس: لقد خشيت أن يقول أحد ممن قتل أباه أو جده: لا أرضى فيتأخر، فلما صعد أمير المؤمنين المنبر خطب الناس، وخيرهم الأمر فيه، فما قال أحد: لا أرضى، إلا دخلوا في بيعته أفواجاً، وقاموا إليه فرادى

وأزواجاً(4) ابتهاجاً بما أسعدهم الله بخلافته وأكرمهم بتصرفه(5)، فرضوا بي، ودخلوا في بيعتي:
(فلما نهضت بالأمر): تحملت أعباء الإمامة، وأثقال الخلافة.
(نكثت(6) طائفة): النكث: نقض العهد يعني طلحة والزبير؛ لأن بيعته قد تقدمت في رقابهما، فعليهما الحجة له في خروجهما من غير بصيرة بعد الدخول.
(ومرقت أخرى): أخذ المروق من قولهم: مرق السهم من الصيد، إذا خرج من الجانب الآخر، يعني بذلك الخوارج، فكان خروجهم من الدين شبيهاً(7) بما قال في المروق.

---

(1) في شرح النهج: عطفاي.
(2) في (ب): فرحوا يومئذ.
(3) في (أ): ينثالون، وفي (ب) ما أثبته.
(4) انظر المغني لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد 66/2/20.
(5) في (ب): بنصرته.
(6) في (أ): نكث، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.
(7) في (أ): شبه.

(192/1)

(وفسق آخرون): أي خرجوا من الدين بعداوته(1) وحربه، يعني بذلك معاوية؛ إعراضاً عن الآخرة والتفاتاً إلى عاجل الدنيا.
(كأنهم لم يسمعوا الله تعالى يقول: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ.........}الآية(2) [القصص:83]): وهؤلاء أرادوا الدنيا والعلو في الأرض والإفساد فيها فلا عاقبة لهم في الآخرة إلا النار لعدم التقوى.
(بلى والله): تكذيباً لهم، ورداً عليهم.
(فقد(3) سمعوها): بآذانهم.
(ووعوها): بقلوبهم.
(ولكن(4) حليت الدنيا في أعينهم): حلاَّها الله تعالى في أعينهم فتنة وامتحاناً وبلية واختباراً كسائر الامتحانات.
(وراقهم زبرجها): وأعجبهم زينتها، والزِبْرِجُ: الزينة، والزِبْرِجُ: الذهب أيضاً.
قال حسان(5):
ونجا ابنُ خضراء العِجَالِ حويرثٌ(6) .... يغلي الدماغ به كغلي الزِّبْرِجِ
سؤال؛ من حق لكن أن تكون واقعة بين كلامين متغايرين، فكيف تقديره وكلامه(7) هذا؟

(1) في (ب): بعداواته.
(2) في شرح النهج: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين}.
(3) في شرح النهج: لقد.
(4) في شرح النهج: ولكنهم.
(5) هو: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد المتوفى سنة 54هـ: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يشهد مع النبيصلى الله عليه وآله وسلم مشهداً (الأعلام 4/175-176).
(6) لسان العرب 8/2، ولفظ الشطر الأول فيه:
ونجا ابن حمراء العجان حويرث
(7) في (ب): في كلامه هذا.

(193/1)

وجوابه؛ هو: أن التغاير فيها أكثر ما يأتي مقدراً، وتقديره ها هنا والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن ما فعلوا ما يقتضيه حكم الوعي والسماع؛ لإكبابهم على الدنيا وزينتها، وإعراضهم عن الآخرة ونعيمها، وفي كلامه هذا دلالة على أن من نكث بيعته ومرق عنه وفسق ما كان إلا طامعاً(1) في عاجل الدنيا وما(2) كان عن بصيرة، ولا ارتياء في فكرة، ولا طلب روية.
(أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة): أما هذه مخففة، وهي(3) للتنبيه، وفلق الحبة: شقها نصفين(4)، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى}[الأنعام:95].
وبرأ: خلق، ومنه البرية، والنسمة: هي النفس، وخلاف العقلاء في ماهية النفس فيه خبط عظيم، وقد ذكرناه في الكتب العقلية.
(لولا حضور الحاضر): يعني وجود(5) الناصرين، وأراد أن قعوده في أول الأمر ما كان إلا لفقد الأنصار والأعوان، واليوم هم حاضرون فلا عذر لي في التأخر (6) عن نصرة الدين.
(وقيام الحجة بوجود الناصر): وأن حجة الله تعالى قد قامت في إحياء الدين، وإشادة ما اندرس من معالمه وحججه.
(وما أخذ الله على العلماء): عطف على قوله: لولا حضور الحاضر، وما أخذ الله علىالعلماء من الميثاق حيث قال: {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ}[آل عمران:187].
(أن لا يقاروا): يصبروا.

(على كظّة ظالم): الكظّة بالكسر: اسم لما يعتري الإنسان من كثرةِ الأكل، ومن رواه بالفتح فإنما هو المرة الواحدة كالضربة، والكسر فيه أفصح(7) كالبطنة.

---

(1) في (أ): طمعاً، وفي (ب) ما أثبته.
(2) في (ب): ما بدون واو.
(3) في (ب): وهو.
(4) في (أ): بنصفين.
(5) في (ب): بوجود.
(6) في (ب): التأخير.
(7) في (ب): أصح.

(194/1)

(ولا على سغب مظلوم): السغب: الجوع، قال تعالى: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}[البلد:14] أي مجاعة، والمعنى في هذا أي لا يصبروا على إمتلاء الظالم وأكله من الأموال الحرام، وجوع المظلوم بأخذ ماله، وهذا ما(1) يهزُّ الأعطاف ويحرّكُ الدواعي في حق العلماء وأئمة الدين في الإنكار على الظلمة، بتكدير لذاتهم وتغيير شهواتهم رضآءً لله وتقرباً إليه، كما كان منهعليه السلام في ذلك.
(لألقيت): هذا هو جواب القسم، وما قبله كلام عارض بين القسم وجوابه لفائدة جليلة قد رمزنا إليها.
(حبلها على غاربها): الغارب من الجمل هو: مقدم سنامه، وهو من الفرس المنسج والحارك والكاهل، وهو من الإنسان المنكب.
وقوله: ألقيت حبلها على غاربها، كناية عجيبة عن ترك الأمر(2) وإهماله، ونظيره في الكناية: فلان كثير رماد القدر إذا كان كريماً، وفلان رحب المقلد إذا كان طويلاً، فحقائق هذه الأمور معروفة، ولكنهم وضعوها كناية عما ذكرناه، وقد عدها بعضهم من المجاز كالاستعارة، وهذا فاسد فإنها دالة على معناها الذي وضعت من أجله في الأصل(3) وما هذا حاله، فليس مجازاً أصلاً.
(ولسقيت آخرها بكأس أولها): لفعلت الآن في الترك والإعراض مثل ما كان مني من قبل، ولكن ما وسعني عند الله إلا القيام بأمر الله، وإظهار شعار الدين وحكمه.
(ولألفيتم(4)): جواب القسم أيضاً، ومعناه لو جدتم.
(دنياكم هذه): عاجلتكم هذه المذمومة.
(عندي): في نفسي وضميري.
(أزهد): أقل وأحقر.

(1) في (ب): مما.
(2) في (أ): الأمور، وما أثبته من (ب).
(3) وهو الطبخ والطول. تمت حاشية في (أ) بين السطور.
(4) في النهج: لوجدتم دنياكم أزهد عندي...إلخ.

(من عفطة عنز): العفاط للمعزى: اسم لما يخرج من أدبارها، والعفاط في الشاء: اسم لما يخرج من خياشيمها.

وفي بعض النسخ: (عفطة عير): وهو الحمار وهو خطأ، فإن العفاط ليس مفعولاً في حق الحمير.

(فلما انتهى إلى هذا الموضع قام إليه رجل من أهل السواد، فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه، فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس: [يا أمير المؤمنين](1)، لو اطردت مقالتك من حيث أفضيت): اطرد الشيء إذا اتبع بعضه بعضاً، وأفضى فلان سره إذا أظهره. (فقال له عليه السلام: هيهات [يا ابن عباس] (2)): أي بَعُدَ ما تريد.

وجواب لو في كلام ابن عباس محذوف تقديره: لو اطردت مقالتك لكان حسناً.

(تلك شقشقة): والشقشقة: لحمة كالرئة تخرج من [فم](3) البعير إذا هاج.

(هدرت): هدر الجمل إذا ردد صوته في حنجرته غيظاً وتضجراً.

(ثم قرّت): سكنت وهمدت.

(قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على شيء(4) قط كأسفي على ذلك(5) الكلام ألاَّ يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد).

قال الشريف المؤلف:

---

(1) زيادة في شرح النهج.
(2) زيادة في شرح النهج.
(3) سقط من (أ).
(4) في شرح النهج: كلام.
(5) في شرح النهج: هذا.

فلهذا لقبت هذه الخطبة بالشقشقية(1) لما ذكره عليه السلام، ثم مع اشتمالها على ما فسرناه من المحاسن، فلقد(2) تضمنت من جزل الألفاظ ودقيقها وبلاغة المعاني ورقيقها ما فيه بلال كل غلة، وشفاء كل علة، فإنها دالة على فضل باهر وعلم حاكم قاهر، وقد أوردنا فضائله على جهة التفصيل في كتابنا الملقب بـ(النهاية(3)) في علم الدين وغيره من الكتب العقلية، فمن أرادها فليأخذها منه، ولو لم يرد في فضله إلا مارواه أحمد البيهقي(4) مسنداً إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم(5) أنه قال: ((من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في زهادته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب))(6)

لكان هذا كافياً في فضله على غيره من سائر العالمين لمساواته لهؤلاء الأنبياء في هذه الخصال بخلاف غيره.

---

(1) في (أ): بالشقشقة.

(2) في (أ): لقد، وفي (ب) ما أثبته.

(3) كتاب النهاية يسمى: (النهاية في الوصول إلى علم حقائق الأصول) (أصول دين) ثلاثة أجزاء . خ، ج1 بمكتبة السيد سراج الدين عدلان في (538) صفحة، مصور بمكتبة السيد محمد بن عبد العظيم الهادي، (انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص: 1131).

(4) البيهقي، هو: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر [384- 458هـ] من أئمة الحديث، ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق، ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطُلِبَ إلى نيسابور فلم يزل فيها إلى أن مات، له تصانيف كثيرة منها: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، المعارف، الأسماء والصفات، دلائل النبوة وغيرها (الأعلام 116/1).

(5) قوله: وسلم سقط من (أ).

(6) له شواهد: منها ما أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 133/1 بسنده إلى عليعليه السلام بلفظ: ((من أراد أن ينظر إلى موسى في شدة بطشه، وإلى نوح في حلمه فلينظر إلى علي بن أبي طالب))، ومنها ما أخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق 280/2 برقم (811) بسنده عن أبي الحمراء بلفظ: ((من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب))، وانظر تخريجه الموسع هناك، وباللفظ الذي أورده المؤلف هنا هو أيضاً عن البيهقي في مطمح الآمال ص100، وانظر تخريجه فيه، وانظر الحديث في لوامع الأنوار 638/2-641 فهو فيه بتخريج موسع.

(4) ومن خطبة له عليه السلام

(بنا اهتديتم في الظلماء): هذا كلام يخاطب به من خالفه ويشيربه إلى ما منَّ الله به [من] (1) نبوة ابن عمه ونعمة الله برسالته، فلهذا قال: بنا يشير إلى ذلك، يريد أنه هداهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وكل ذلك باصطفاء محمد واختياره.

(وتسنمتم العلياء): يعني علوتم على كل مرتبة بما كان من الإسلام والدين .

(وبنا انفجرتم عن السِّرار): انفجر الشيء إذا انفتح(2)، ومنه انفجارالصبح انفتاحه بالضياء والنور. وقوله: {وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا}[القمر:12] أي فتحناها، والسرار هو: الخفاء، ومنه السر لخفائه، وسرار الهلال: يكون في الليلة الآخرة من الشهر، ومراده أن أمرهم كان خافياً مستتراً، حتى جاء الله بالرسول والإسلام.

(وُقِرَ سمع لم يسمع(3) الواعية): الوقر: الصمم، قال الله تعالى: {وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ}[فصلت:5] السمع: الذي يدرك الإنسان به الصوت، كا لبصر بالعين، والواعية: الصارخة، وهذا الكلام خارج على جهة الدعاء، والمعنى فيه أصم الله أذن من سمع فضلي بالدلائل الظاهرة، وعلمه بالأخبار المأثورة، من جهة الرسول فكتمه وأنكره.

---

(1) سقط من (أ).

(2) العبارة في (أ): تفجر الشيء إذا انفجر، وما أثبته من (ب).

(3) في شرح النهج: يفقه.

(كيف يراعي(1) النبأة من أصمته الصيحة): النبأة: الصوت الخفي، والصيحة هي: الصوت العظيم، ولايدرك الأخفى مع الصوت العظيم، وهذا كلام خارج مخرج التعجب، ولهذا صدّره بكيف، ومراده من ذلك هو أن من لم يكفه في فضلي على غيري ما يعرفه من قرابتي من رسول الله، وما يقرع سمعه من أخباره في فضائلي، وكمال علمي، وبما كان من الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] (2) في إبانة فضلي في المشاهد المختلفة والمواقف العظيمة فلا يؤثر في حاله شيء آخر غير ذلك.

(ربط جنان لم يفارقه الخفقان): الربط هو: الشد على الشيء، قال الله تعالى: {وَرَبَطْنَا عَلَى

قُلُوبِهِمْ}[الكهف:14]، والجنان هو: القلب، والخفقان: حركة القلب والريح، وهو: اضطرابهما، وهذا الكلام خارج على جهة الدعاء، ومعناه ربط الله كل جنان لا يفارقه الخفقان، وفيه تعريض بأصحابه الذين يخاطبهم في عدم سكوتهم إلى ما يقول، وانشراح صدورهم إلى معرفة حقه، وامتثال أوامره، ولهذا قال لهم عقيب هذا(3).

(ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر): الغدر هو: ترك الوفاء، ومراده من ذلك ذم أصحابه بأن دوام انتظاره لهم ليس لخير يرجوه منهم أصلاً، وإنما يرتقب الغدر منهم، وترك الوفاء بما يتوجه [من حقه] (4).

(وأتوسمكم بحلية المغترين): أتفرس في أحوالكم كلها فوجدتكم(5) متحلين بحلية المغترين المخدوعين بالأماني الباطلة والتسويفات الكاذبة.

(سترني): غطاني.

---

(1) في (أ): تراعي، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(2) سقط من (ب).

(3) في (ب): ذلك.

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): وجدتكم.

(199/1)

(عنكم جلباب الدين): لباسه، والجلباب هو: الملحفة والرداء، والمعنى في هذا هو أن ديني وخوفي من الله تعالى منعني عن أن أريكم آثار قوتي وسلطاني، أو يكون المعنى منعني(1) تستركم(2) بالدين وإظهاره عن إنزال العقوبة بكم من جهتي.

(وبصرنيكم): عرفني حالكم، وما أنتم عليه من التخاذل، وترك النصرة في.

(صدق النية): صفاء عقيدتي ونور باطني، كما قال عليه السلام: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))(3).

(أقمت لكم): أثبت نفسي، وثبت من أجلكم.

(على سنن الحق): السنن: الطريقة الموصلة إلى الحق.

(في جواد المضلة(4)): الجواد: جمع جادة، والمضلة بالكسر: موضع الضلال، وغرضه أني ثبت واستقمت على طريقة الحق، حين وقعتم في طريقة(5) الضلال ومسالكها.

(حيث تلتفتون): من كثرة الحيرة يميناً وشمالاً.

(ولا دليل): يدلكم على النجاة.
(وتحتفرون): من حفر الأرض إذا شقها.
(ولا تميهون): تبلغون الماء لضلالكم عن مكانه وموضعه.
(اليوم): أي الزمان الذي أنا موجود فيه.

---

(1) قوله: منعني سقط من (أ).
(2) في (أ): ستركم.
(3) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص230 برقم (191) بسنده عن أبي سعيد الخدري، وأورده ابن الأثير في النهاية 428/3، وهو في موسوعة أطراف الحديث 96/1، وعزاه إلى مصادر عدة انظرها هناك، ورواه العلامة القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار7/2 في الباب الحادي والمائة.
(4) في (أ) مكتوب فوقها: معاً ويقصد أنها تصح بالكسر والفتح أي المضِلة والمضلة.
(5) في (ب): في طرق.

(200/1)

(أُنْطِقُ لكم العجماء): أظهر لكم الأدلة، وأكشف عنها، التي لم تكن مذكورة قبلي، ولا يكشف عنها أحد مثلي، والعجماء: البهيمة؛ سميت بذلك لأنها لا تتكلم، والحجة: ما لم يتكلم بها أحد ويظهرها فهي عجماء، والأعجمي: الذي لايفصح عن كلامه.
(ذات البيان): صفة للعجماء، يريد أن الحجة بعدما كشفها تصير ذات بيان، لما يظهر فيها من الإفصاح بالعلم بمدلولها.
(عزب رأي امرئ تخلف عني): عزب أي بَعُدَ أمره، وما أدى إليه نظره من لم يوافقني على ما أنا عليه ويبايعني(1)، وهذا عام أعني إنكاره على من تخلف عنه، سواء كان ذلك عن نكث ومشاقة، كما كان من طلحة والزبير وغيرهما، أو كان عن بصيرة كما كان من عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص؛ لأنه قائم على الحق، وما بعد الحق إلا الضلال.
(ما(2) شككت في الحق مذ رأيته(3)): يشير أنه(4) عليه السلام كان صافي الذهن، متقد القريحة، منور البصيرة من جهة الله تعالى، فلا يخالجه شك في معرفة الحق وتحققه، ولهذا قال: (علمني رسول الله ألف باب من العلم، فانفتح لي في كل باب ألف باب)(5).
ومن هذه حاله كيف لايدرك الحق عند رؤيته له.

---

(1) في (أ): ويتابعني.
(2) في (ب): فما.
(3) في شرح النهج: أريته.
(4) في (أ): يشير أنه عليه السلام أنه ...إلخ.
(5) أخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق 483/2- 485 تحت رقم (1012) بسنده عن عبد الله بن عمر، من حديث لفظه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه: ((ادعوا لي أخي)) فدعي له عثمان فأعرض عنه، ثم قال: ((ادعوا لي أخي)) فدعي له علي بن أبي طالب فستره بثوب وانكب عليه، فلما خرج من عنده قيل له: ما قال [النبي لك؟]، قال: (علمني ألف باب يفتح كل باب ألف باب). انتهى.

(201/1)

(لم يوجس موسى خيفة على نفسه): الإيجاس: إضمار الخوف، وأراد أن موسى عليه السلام ما أوجس الخوف وأضمره إشفاقاً على نفسه وإنما أضمره خوفاً على قومه ألا يتبعوه، وهكذا حالي فإني [لم](1) أضمر الخوف إشفاقاً على نفسي فأنا على بصيرة من أمري، وهداية من ربي، ولكن إشفاقي خوفاً عليكم من الوقوع في الضلال بمخالفتي وعصياني [إنما](2).
(أشفق من غلبة الجهّال): أشفق الرجل إذا حذر خوفاً من غيره، وأشفق إذا صار ذا حذر وخوف، قال الله تعالى: {وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا}[الأحزاب:72] أي حذرن [خوفاً](3) من تحملها يعني الأمانة، وقال: {مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ}[المؤمنون:57] أي حذرون خوفاً من عذابه، والمعنى أن من غلبه الجهال على رأيه وأمره صار ذا حذر وخوف من سوء عاقبة رأيهم وضلال أمرهم.
(ودول الضلال): حكى يونس(4): عن أبي عمرو بن العلاء(5): أن الدَولة بفتح الفاء تكون في الحرب، يقال: كانت الدَولة لنا عليهم، والدُولة بالضم في المال، يقال: هذا المال دُولة بيننا أي نتداوله.

---

(1) سقط من (أ).
(2) زيادة في (ب).
(3) سقط من (أ).
(4) هو يونس بن حبيب بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي [94-182هـ] علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره، من كتبه: معاني القرآن (الأعلام 261/8).

(5) هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري [70-154هـ]، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء، من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة (الأعلام 41/3).

(202/1)

وقال أبو عبيد(1): الدَولة بفتح الفاء هو: المصدر، وبضمها اسم للشيء المتداول.
وقال عيسى بن عمر(2): كلاهما يكون في المال والحرب، فأما يونس فقال: أما أنا فوالله ما أدري ما بينهما(3)، يعني ما حالهما، ومراده عليه السلام أن [من](4) غلبه أهل الجور والفساد من أرباب الدولة فهو حذر خوفاً من وقوعه في المتالف لما في رأيهم من الفساد.

---

(1) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، أبو عبيدة النحوي [110-290هـ]، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده ووفاته بالبصرة، له نحو مائتي مؤلف، منها: مجاز القرآن، ونقائض الفرزدق وجرير وغيرهما (الأعلام 272/7).
(2) هو عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان، المتوفى سنة 149، من أئمة اللغة وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتبه، وهو من أهل البصرة (الأعلام 106/5).
(3) انظر مختار الصحاح ص 216.
(4) زيادة في (ب).

(203/1)

(اليوم تواقفنا(1) على سبيل الحق والباطل): يريد بعضنا على الحق وبعضنا على الباطل موقعه، وهذا من أنواع البديع يسمى اللف والنشر، وحقيقته آيلة إلى أن المتكلم يجمع بين كلمتين بالواو، وهذا هو اللف، ثم يلحق بكل واحد منهما ما يناسبه من الحكم ويلائمه وهذا هو النشر، وهذا كقوله ها هنا: تواقفنا على الحق والباطل، فهذا اللف، ثم نشره بأن المعنى فيه فنحن على الحق، وأنتم علىالباطل، ونظيره من كتاب الله تعالى قوله: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}[الفرقان:62] فهذا اللف، ثم قال بعد ذلك: {لِتَسْكُنُوا فِيهِ}[يونس:67] يعني الليل، {وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا}[يونس:67] فهذا نشر.
(من وثق بماء لم يظمأ): أي من(2) وثق بماء العلم لم يظمأ بعطش الجهل، ومراده من هذا هو أن من كان على بصيرة من أمره، وانشراح صدر في دينه، فهو ساكن القلب مطمئن النفس، ومن كان على غيربصيرة فهو قلق الأحشاء، مضطرب الفؤاد، كمن يكون في مفازة، ومعه ما يكفيه من الماء،

فإن تحققه للماء يرفع عطشه، ويسكن التهابه، ومن ليس معه ماء في تلك المفازة فإن استشعاره لعدم الماء يذيب فؤاده، ويلهب أحشاءه، ثم إن هذه الخطبة مع صغرها، وتقارب أطواقها قد اشتملت على الحكم القصيرة، والمعاني البديعة، وإن أنهار البديع لتطَّرد على صفحاتها، وأنوار الحسن تجول على جنباتها.

---

(1) في النسختين: توفقنا، وفي شرح النهج وفي أعلام نهج البلاغة -خ- وفي النهج بشرح محمد عبده: تواقفنا، كما أثبتناه.
(2) قوله: من، سقط من (أ).
(3) قوله: وسلم، سقط من (أ).

(204/1)

---

(5) ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم](3) وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة

(أيها الناس، شقوا أمواج الفتن): أي هو المنادى، وهاء التنبيه مقحمة عوض عمَّا كان لأي من الإضافة، والناس صفة لأي، والشق هو: التفريق والانصداع، ومنه شق العصا وهو تفرقها، والأمواج: جمع موج، وهو ما يكون من زفير البحر عند هيجانه بالريح، وهو استعارة ها هنا؛ لأن إقبال الفتن لعظمها كإقبال أمواج البحر في عظمها وتراكمها.

(بسفن النجاة(1)): كما أن البحر لا يمكن أن يعبر إلا بالسفن، فهكذا لا يمكن الخلاص من أمواج الفتن إلا بسفن البصائر، وتمييز الحق فيها عن الباطل.

(وعرجوا عن طريق المنافرة): يقال: فلان عرج على كذا، إذا واظب عليه، وعرج(2) عن كذا إذا تركه ومال عنه، والمنافرة هي: المفاخرة في الأحساب، يقال: نافره فنفره ينفره بالضم إذا غلبه وفخر عليه بحسبه، وغرضه من هذا ميلوا عن مسالك المفاخرات في الأحساب.

(وضعوا تيجان المفاخرة): وأسقطوها عن أن تكون منصوبة على رؤوسكم، وهذا الكلام يشبه أن يكون قد أخذه من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم](3) يوم الفتح، لما أخذ بحلقة باب الكعبة وقريش حوله: ((إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وافتخاركم بالآباء، الناس كلهم من ولد آدم، وآدم من تراب))(4) فسبكه هذا السبك، فصار أنيق الديباجة، رقيق الزجاجة.

(أفلح من نهض بجناح): يريد من نهض لأمر من الأمور، وكان له أنصار يعينونه(5) على تحصيل مطلوبه، فقد أفلح بالوصول إليه، استعارة من نهوض الطائر بجناحه.

---

(1) في (أ): النجا، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(2) في (أ): وحرج، وهو تحريف.

(3) زيادة في (ب).

(4) هو جزء من خطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة، انظر سيرة ابن هشام35/4.

(5) في (أ): يعينوه، وهو خطأ.

(205/1)

(أو استسلم فأراح): يريد ومن لم يكن له أعوان على ما يطلب فانقاد لحكم المقادير وقعد، فقد أراح نفسه عن التشوف لما لا قدرة له عليه، وهذا كلام يخاطب به(1) نفسه في أول الأمر، فإنه استسلم وانقاد لما لم يجد ناصراً على ما يريد.

(ماء آجن): أي هذا الذي أنا فيه أمر صعب، شبهه بالماء الآجن، وهو المتغير لونه وطعمه.

(ولقمة يغص بها آكلها): الغصة هي: الشجا، وغص باللقمة وأغصته(2) إذانشبت في حلقه فلا تصل إلى معدته ولا ترتد إلى فِيهْ، يريد أن من خاض في أمر، ولم يتم له ذلك الأمر، كان كمن غص باللقمة فلا هو ردها ولا هو ابتلعها، فهكذا حاله لاهوتركه، ولاهو أتمه وأنفذه.

(ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها): جنى الثمرة واجتناها إذا أخذها، ومراده هو أن من اجتنى الثمار لغير وقتها، فإنه لايصل إلى مقصوده منها، ولا ينتفع بها، يصير حاله:

(كالزرّاع(3) بغير أرضه): فكما أن الزراع بأرض الغير لايصل إلى مقصوده؛ لأن لصاحب الأرض رفعه وإفساده، وهذا منه عليه السلام تشبيه(4) بحالة من تشوش الأمر عليه، وقلة الأنصار على ما يريده، وحصول الوحشة في حقه، وتنكر الأحوال له، فأنا فيما أعاني من هذه الأمور أكابد على(5) الصعوبة لا أنفك عن حالتين.

(فإن أقل يقولوا: حرص علىالملك): يقول إن أمدد يدي للمبايعة كما طلبوها مني يتهموني بطلب الدنيا، والإقبال إليها، والإعجاب بزخرفها.

---

(1) قوله: به سقط من (أ).

(2) في (ب): واغتصه.

(3) في شرح النهج: كالزارع.

(4) في (أ): يشبه.

(5) في (ب): هذه

(وإن أسكت(1)، يقولوا: جزع من الموت): يقول: وإن أكفف يدي عن المبايعة، يقولوا: ما ترك ذلك إلا عجزاً(2) عن الأمر، وفراراً من الموت، فما انفك عن هاتين الحالتين.

(هيهات بعد اللتيا والتي!): أراد بقوله: هيهات أي بَعُد ما قالوه من أن تأخري كان جزعاً من الموت، أو أن إقدامي إن أقدمت كان طمعاً [في الدنيا](3)، واللتيا والتي هما اسمان من أسماء الداهية.

قال العجاج(4):

بعد اللتيا والتي .... إذا علتها أنفسُ تَرَدت(5)

ومعناه بعد الشدة العظيمة والطاقة الكبرى أن أخوّف بالموت أو أطمع في زخرف الدنيا، وإنما حذفوا صلة اللتيا والتي ليوهموا أنها بلغت مبلغاً تقاصرت العبارة عن كنهه(6) في الشدة والعظم، وقوله: (والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه): إنما هو إنكار لقولهم: جزع من الموت، واستحضار لما أراده بقوله: بعد اللتيا والتي، فإنما(7) جعلهما كناية عن استبعاد مقالتهم في طمعه في الدنيا وجزعه من الموت، فإقسامه بالله على ما ذكر من الأنس بالموت يرد مقالتهم ويكذبها، ولعمري إن من بلغ حاله في الأنس بالموت إلى هذه الحالة فإنه خليق بأن لا يجزع منه ولا يهابه إذا ورد عليه.

---

(1) في (أ): سكت.

(2) في (أ): عجز.

(3) سقط من (ب).

(4) هو: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر التميمي، أبو الشعثاء العجاج، المتوفى نحو سنة 90هـ، راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية، وقال الشعر فيها ثم أسلم (الأعلام 4/86-87).

(5) لسان العرب 341/3.

(6) في (أ): كهنه، وهو تحريف.

(7) في (أ): فإنهما.

(بل اندمجت على مكنون علم): اندمج في الشيء إذا دخل فيه وتغطى به، وكننت الشيء وأكننته إذا سترته، والمعنى في هذا هو أن العلم مندمج في صدره قد استولى عليه.

(لو بحت به): باح بالسر وأباحه إذا أظهره.

(لاضطربتم): تحركتم حركة بعنف وشدة.

(اضطراب الأرشية): اضطراباً يشبه اصطكاك الأرشية، وهي الحبال الطويلة.

(في الطَّويِّ البعيدة): الطوى: البئر، وفعيلة ها هنا بمعنى مفعولة، والمقصود من هذا [هو] (1) أني لو أظهرت لكم مكنون علمي لفشلتم، ولا ضطربت عقائدكم وتزلزلت، كما قال عليه السلام في بعض كلماته: (لو شئت أن أخبر كل واحد منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا برسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم]) (2).

سؤال؛ ما وجه الملائمة بين قوله: بل اندمجت على مكنون علم، وبين قوله: والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الصبي حتى أورده على إثره، وبينهما تنافر كما ترى؟

وجوابه؛ إن هذا من باب الاستطراد، وله في البلاغة موقع عظيم، وهو أن يخرج من كلام إلى كلام آخر مغاير للأول، ألا ترى أنه ها هنا بينا هو يتكلم في أنسه بالموت إذ قد خرج إلى ذكر حاله في العلم، وهذا من غريب البلاغة وبديعها، ونظيره قوله تعالى: {أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ}[فصلت:39] ثم قال بعد ذلك(3): {إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى}[فصلت:39] فبينا هو يدل على عظم(4) قدرته بإنزال الغيث واهتزاز الأرض، إذ خرج إلى ذكر إحياءه الموتى، وليس لأحدهما تعلق بالآخر، وكم في كلامه من معنى بديع، وسرعجيب كما ترى.

---

(1) سقط من (أ).

(2) زيادة في (ب).

(3) في (ب): وبعد ذلك.

(4) في (ب): عظيم.

(208/1)

---

(6) ومن كلام له عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير

(والله لا أكون كالضبع ينام(1) على طول اللَّدْمِ): اعلم أن السبب في هذا الكلام هو أن أمير المؤمنين لما أراد الخروج إلى العراق تابعاً لطلحة والزبير، أشار عليه ولده الحسين بالرجوع عن ذلك، فقال مجيباً له: (والله لا أكون) واللدم: عبارة عن صوت الحجر إذا وقع على الأرض، قال الشاعر:

للفؤادِ وَجِيْبٌ تحت أَبهره .... لَدْمُ الغلام وراء الغيبِ بِالْحَجَرِ(2)

واللَّدْمُ هو: أن يضرب الصائد بالحجر على جحر الضبع فيحسبه صيداً، فيخرج عند ذلك حياً(3)

يصاد، وغرضه من هذا المثل هو إنكاره على الحسين لما أشار إليه بالرجوع عن الخروج إلى العراق، فيقول: أتبعهم، ولا أقف حتى يقصدوني بالحرب، فأكون كالضبع [تكون](4) واقفة فتصاد في جحرها.

(حتى يصل إليها طالبها): بسبب وقوفها في جُحْرِهَا.

(ويختلها راصدها): الختل: الخدع، وختله إذا خدعه، والراصد هو: المترقب، وكل هذا حاصل بوقوفها، فأنا لا أتبع رأيك في هذا.

(ولكني أضرب بالمقبل إلى الحق): أنتصر بالمتابع(5) لي، والمتابع للحق المنقاد له، فجعل الضرب كناية عن الانتصار لما كان سبباً فيه، فأضرب به.

(المدبر عنه): المخالف [لي والآنف] (6) عن متابعتي.

(وبالسامع): لأمري.

(المطيع): له.

(العاصي): المخالف لأمري وإرادتي.

(والمريب(7) أبداً): الشاك المتردد.

---

(1) في شرح النهج: تنام.

(2) البيت في أساس البلاغة ص 407: ونسبه إلى ابن مقبل، وكذلك في لسان العرب 358/3، والوجيب: الاضطراب.

(3) في (ب): حتى.

(4) سقط من (ب).

(5) في (ب): بالمبايع.

(6) سقط من (ب).

(7) في (ب) وشرح النهج:المريب، وفي (أ) سقط قوله: أبداً.

(209/1)

(حتى يأتي عليَّ يومي): عبارة عن الموت، وانقطاع الأجل.

(فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي): مؤخراً عن أخذه واستيفائه، وهذا لشؤم الدنيا وتكدرها.

ويحكى أن ابن عباس تكلَّم يوماً في صفة أميرالمؤمنين، فقال: كان رجلاً مملوًاً حلماً وعلماً، عزته سابقته من رسول الله، فكان عنده أنه لا يمدُّ يده إلى شيء إلا فناله، فما مدَّ يده إلى شيء(1) فناله.

(مستأثراً عليَّ): مستبداً به دوني كما كان في الإمامة وغيرها.

(منذ قبض رسول الله حتى يوم الناس هذا(2)): يريد أن أول الاستئثار كان بعد وفاة الرسول عليه السلام إلى هذه الساعة.

سؤال؛ أليس هو الآن الإمام والخليفة، فكيف قال: مستأثراً عليه بحقه؟

وجوابه؛ هو أن الاستبداد قد كان حاصلاً من قبل في تقدمهم عليه، وأخذهم لها بغير رضاه.

(7) ومن كلام له عليه السلام

(اتخذواالشيطان لأمرهم مِلاَكاً): الملاك: ما يقوم الشيء به(3) ويستقر أمره معه، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: ((ملاك الدين الورع، وملاك العمل خواتمه)) فوصف هؤلاء باتخاذهم الشيطان قوام أمرهم كله فلما اتخذوه هكذا:

(اتخذهم له أشراكاً): والأشراك تحتمل أمرين:

أما أولاً: فبأن تكون جمع شَرَك وهي الحبالة التي يصاد بها فجعلهم له مصايد، كما يحكى عن إبليس أنه قال [لله] (4): ياربِ، اجعل لي مصائد، قال: ((النساء)).

---

(1) في (ب): لشيء.

(2) العبارة في شرح النهج: منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه حتى يوم الناس هذا.

(3) في (ب): ما يقوم به الشيء.

(4) زيادة في (ب).

(210/1)

وأما ثانياً: فبأن تكون جمعاً لشريك مثل شريف وأشراف، والغرض هو اتخاذهم شركاء، كما قال تعالى: {وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ}[الإسراء:64]، فالمشاركة في الأموال بالربا والظلم والتصرف بالمكاسب المحظورة، والمشاركة في الأولاد بالزنا، وادعائه له من غير وجهه، وتسمية الولد بعبد اللات والعزى(1) وغير ذلك.

(فباض وفرخ في صدورهم): البيض والتفريخ لكل ما لا يلد من أنواع الطير كلها.

وحكي عنه عليه السلام أنه قال: (كل ما ظهر ت أذنه فنسله يكون بالولادة، وكل ما خفيت أذنه فنسله يكون بالبيض والتفريخ منها).

(ودبَّ ودرج في حجورهم): الدبيب على وجه الأرض أقل من المشي، والدروج أكثر منه أي مشى ومضى لسبيله في الإغواء والتزين، فالتبسهم من كل وجهة (2).

(فنظر بأعينهم): في جميع مطالع السوء.

(ونطق بألسنتهم): بالكذب، والزور، والإملاء، والخدع.
(فركب بهم الزلل): جرَّأهم على كل ما يزل به الإنسان عن الحق.
(وزين لهم الْخَطَلَ): المنطق الفاسد المضطرب، وفلان قد خطل في كلامه يخطل خطلاً إذا أفحش فيه، فجميع هذه الأمور كلها من الدبيب والتفريخ والدروج في الحجور، وهي: جمع حجرة وهي ناحية الدار.
(فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه): أي شاركه في أمره كله.
(ونطق بالباطل على لسانه): فصار مستولياً عليه في كل أحواله.
واعلم: أن كلامه هذا قد اشتمل على نوعين من أنواع البديع، وكل واحد منهما له موقع في البلاغة لايخفى:

---

(1) العبارة في (أ): وتسمية الولد بغير الأب والعِرى، وغير ذلك، وما أثبته من (ب).
(2) في (ب): فأثبتهم من كل جهة.

(211/1)

أولهما: الترجيع وهو: أن تكون الكلمتان مستويتين في الإعجاز والأوزان وهذا كقوله: باض وفرخ في صدورهم، ودبَّ ودرج في حجورهم، وهذا كقوله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}[الغاشية:25-26].
وثانيهما: التخييل وهو: تصوير حقيقة الشيء، حتى يتوهم أنه ذو صورة مشاهدة، وأنه مما يظهر في العيان، وهذا كقوله: نظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، ومن هذا قوله تعالى: {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}[الزمر:67]، وقوله [تعالى] (1): {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ}[الصافات:65].

(8) ومن كلام له عليه السلام يخاطب(2) به الزبير
(يزعم أنه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه): يريد أنه قد ظهر(3) إعطاؤه البيعة، لأنه كان ذلك على ملأٍ من الناس، لكنه ادَّعى أن قلبه لم يرض ذلك وأنه كاره له.
(فقد أقرَّ بالبيعة): حيث قال: إني كنت مكرهاً.
وكما قال طلحة: بايعت واللجُّ يعني السيف على قَفَيّ(4).
وهذا إقرار(5) صريح من جهتهما.

---

(1) سقط من (ب).

(2) في شرح النهج وفي نسخة أخرى: يعني.
(3) في (ب): أظهر إعطاءه.
(4) هو في النهاية لابن الأثير 234/4 بلفظ: (قدموني فوضعوا اللجَّ على قَفَيّ) وانظر لسان العرب 343/3، ترتيب يوسف خياط، وقول طلحة أورده أيضاً ابن أبي الحديد في شرح النهج 7/4، وقال في شرحه: واللج سيف الأشتر،وقَفيّ لغة هذلية، إذا أضافوا المقصور إلى أنفسهم قلبوا الألف ياء وأدغموا إحدى اليائين في الأخرى، فيقولون: قد وافق ذلك هوىَّ، أي هواي، وهذه عصيّ، أي عصاي، انتهى.
(5) في (أ): قرار، وهو سهو، والصحيح كما أثبته من (ب).

(212/1)

(وادعى الوليجة): الوليجة: الخاصة والبطانة، كماقال تعالى: {وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً}[التوبة:16] أي بطانة، وغرضه ها هنا أنه ادعى دخوله في البيعة مكرهاً، وأصله من البطانة لأنه يبطن ذلك ويسره.

(فليأت عليها): يعني الوليجة.

(بأمر معروف(1)): لاينكره أحد، وهو إقامة البينة عليها.

(وإلا فليدخل فيما خرج منه): وهو الإمامة التي دخل فيها أولاً.

(9) ومن كلام له عليه السلام

(وقد أرعدوا وأبرقوا): أبرق الرجل وأرعد إذا تهدد وأوعد.

قال الكميت(2):

أَبْرِقْ وأَرْعِد يا يزيـ .... ـد فما وعيدُك لي بضائرْ(3)

(ومع هذين الأمرين الفشل):يريد أن من حق من أبرق وأرعد أن يصدر ذلك عن تؤدة ورزانة وحصافة(4)، إذا كان صادقاً وقادراً على إنفاذه.

فأما إذا صدر ذلك عن فشل وارتعاد فرائص فهو دلالة على كذبه وبطلانه، فأما نحن:

(فلسنا نرعد حتى نوقع): أي أنّا لانرعد إلا بعد الإيقاع بالعدو، وأن فعلنا متقدم على قولنا؛ لأن القول إذا تقدم فربما لايوافقه الفعل وربما يوافقه، أما إذا سبق الفعل فالقول لايكون إلا صادقاً لامحالة.

(ولا نسيل حتى نمطر): اعلم أن الإسالة من دون مطر محال، والغرض أنا لا نفعل أمراً إلا بعد تقرير قواعده والفراغ من مقدماته.

---

(1) في شرح النهج وفي نسخة أخرى: يعرف.

(2) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، أبو المستهل [60-126هـ]، شاعر آل البيت " من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بالأدب العربي واللغة وأخبار العرب وأنسابها (معجم رجال الاعتبار ص353).

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 237/1، ولسان العرب 197/1.

(4) في (أ): وحصانة.

(213/1)

---

(10) ومن خطبة له عليه السلام

(ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله وَرَجْلِهِ): حزب الرجل: أصحابه وأعوانه، والأحزاب: الطوائف والجماعات، والخيل: الخيالة، والرجل: اسم جمع كالصحب والركب.

سؤال؛ ما يريد بقوله: إن الشيطان قد أجلب بالخيل والرجالة؟

وجوابه؛ أنه يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك مجازاً، وارد(1) على جهة التمثيل، مثّلت حالته في تسلطه عليهم بالإغواء واستيلائه عليهم بمنزلة من أغار على قوم، وصاح عليهم وأجلب عليهم بخيله ورجله، حتى استأصل شأفتهم وقطع دابرهم.

وثانيهما: أن يكون مريداً لحقيقة ذلك، وأن يكون الشيطان له خيل ورجالة يقهر بها ويغلب.

(وإن بصيرتي لمعي): البصيرة: الحجة، واشتقاقها من البصر؛ لأن الإنسان يميز بها بين الحق والباطل كما يميز ببصره بين الأشياء كلها، ويدل على ذلك أني.

(ما لبَّست على نفسي): فأكون غاشاً لها وخادعاً وغاراً(2) في ارتكاب الخطأ بالتأويلات الباطلة والشبهات الكاذبة.

(ولا لُبِّس عليّ): ولا خدعني غيري بالانقياد له، والمتابعة له لقوله.

(وايم الله): الأصل في هذا ايمن الله، وهي جمع يمين، والهمزة فيه همزة وصل عند سيبويه، ولم تفتح الهمزة إلا هاهنا، وفي الهمزة مع لام التعريف.

وقال الفراء: إنها همزة قطع، ورفعه على الابتداء، وخبره محذوف، وتقديره: أيمن الله قسمي(3).

(لأفرطن لهم(4) حوضاً أنا ماتحه): فرطت القوم أفرطهم إذا سبقتهم إلى الماء.

---

(1) هكذا في النسختين بالرفع، فلعله خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو وارد.

(2) في (أ): وواعاً، وهو غامض، وفي (ب) كما أثبته.

(3) في (أ): قسم.

(4) في (أ): لكم، وما أثبته من (ب)، ومن شرح النهج. .

قال القطامي:

فاستعجلونا وكانوا من صَحَابتِنا .... كما تعجَّل فرَّاطٌ لورَّادِ(1)

ومثله(2) قوله صلى الله عليه وآله: ((أنا فَرَطُكم علىالحوض))(3) أي متقدمكم، والماتح هو: الذي يستقي الماء، والمعنى في كلامه هذا: والله لأهيِّئَنَّ لهم حرباً أقيم عمادها، وأشب نارها(4) وأريهم مقامي وموضعي فيها، ولأقطعن دابرهم بالقتل واستئصال الشأفة.

(لا يصدرون عنه): لا ينفكون حتى آتي على آخرهم بالقتل، والضميرللحوض.

(ولا يعودون إليه): لما يحصل عليهم من القتل والتفريق، ولقد بلغ تمثيله للحرب بالحوض مبلغاً يصرف الأفهام إلى قبوله، وتبتدر الخواطر إلى فهمه ومعقوله(5).

---

(1) القطامي، ستأتي ترجمته، والبيت في لسان العرب 1079/2، وقوله هنا: (كما تعجل) في اللسان: (كما تقدم).

(2) في (أ): ومنه، وهو خطأ.

(3) رواه الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي عليه السلام في جوابه على مسائل عبد الله بن الحسن من مجموع كتبه ورسائله632/2، وأورده من حديث عن ابن مسعود الإمام القاسم بن محمدعليه السلام في الاعتصام36/1 وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف524.523/2 إلى مصادر عدة منها البخاري158/8،150،148، 58/9، ومسلم في الفضائل26،32/25، وسنن ابن ماجة4306، ومسند أحمد بن حنبل 257،384،406/1 وغيرها، والسنن الكبرى للبيهقي 78/4 وعزاه إلى غيرها من المصادر انظرها هناك، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 240/1، وابن الأثير في النهاية 434/3، والرازي في مختار الصحاح صـ499، والزمخشري في أساس البلاغة ص339.

(4) في (أ): بنارها، وما أثبته من (ب).

(5) العبارة في (أ): وتبتدر الحوض إلى فهمه ومفعوله، وفيها تحريف، والصواب ما أثبته من (ب).

---

(11) ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

(تزول الجبال ولا تَزُلْ): شبه رسوخ قدمه في نفوذ البصيرة وتحقق الأمر بثبوت الجبال ورسوخها.

(عَضَّ على ناجذك): النواجذ ليس هي الأنياب، وللإنسان منها أربعة، وإنما هي الأرحاء(1) آخر ما ينبت، وعدتها ست عشرة رحاً، ويقال: إنها أسنان الحلم، وفي الحديث: ((ضحك رسول الله حتى بدت نواجذه))(2)، يريد أنه استغرق في ضحكه، وجعلها هاهنا كناية عن الصبر عند تحمل المكاره، وأعظمها(3) هو بذل الروح في سبيل الله.

(أَعِرِ الله جمجمتك): الجمجمة هي: تدويرالرأس.

سؤال؛ لم قال ها هنا: أعِر الله، ولم يقل: هب من الله، والهبة أدخل في الملك من العارية؟

وجوابه؛ هو أن الغرض [هاهنا إنما هو الجودة والسماحة لله تعالى بالنفس، ولا شك] (4) أن نفس الإنسان بالعارية أسمح؛ لأنها عن قريب تعود إليه، بخلاف الهبة فإنها تملك عليه فلهذا شبهها بالعارية مبالغة في السماحة والبذل لها.

(تِدْ في الأرض قدمك): وتد الوتد إذا ضربه في الأرض، والأمر من ذلك هو قولنا: تِدْ، وأصله اوتد ذهبت الواو حملاً له على المضارع، لأن الأمر والمضارع يتقاربان، وذهبت همزة الوصل لأجل تحرّك عين الكلمة فاستغني عنها، وغرضه إجعل قدمك كالوتد المضروب على الأرض فلا يزول أبداً.

(إرم ببصرك أقصىالقوم): لأن من رمى ببصره أقصى العسكر فإنه لاينتهي دون الوصول إلى أقصاهم، ومن كان همه إدراك أولهم نكص عن(5) بلوغ آخرهم.

(وغض بصرك): عن الالتفات يميناً وشمالاً، فإن ذلك يكون أثبت للجأش وأقرب إلى الطمأنينة.

---

(1) الأرحاء: الأضراس.

(2) الحديث أورده الزمخشري في أساس البلاغة ص447، وابن الأثير في النهاية 20/5.

(3) في (ب): ومن أعظمها.

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(5) في (أ): على.

سؤال؛ كيف قال: غض بصرك، وقد قال من قبل: إنه يرمي(1) ببصره أقصى القوم؟

وجوابه؛ هو أن الغرض بالكف للبصروغضه عن الالتفات يميناً وشمالاً وذلك يورث الفشل، فأما رؤية أقصى العسكر فهو خارج عن هذا لما فيه من القوة والثبات(2).

(واعلم أن النصر من عند الله): لأن له القوة والحول والقدرة والبسطة فلا يوجد ذلك من جهة غيره بحال، وقد ضمن هذا الكلام نوعين من أنواع البديع كل واحد منهما له موقع في البلاغة لا يخفى:
أولهما: إتيانه فيما علَّمه من أدب(3) الحرب بهذه الجمل من غير حرف عطف ، وهو يسمى التجريد، فإن أتى في الصفات فهو تعديد، كقوله تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ...}إلى آخرها[التوبة:112]، وإن [كان] (4) أتى في الجمل سمي التجريد، ومثاله قوله تعالى: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}[النور:35] فحذف الواو من هذه الجمل وجردها منها.
وثانيهما: إتيانه بهذه الآية من القرآن في آخر كلامه، فكانت واسطة لعقدها، ودرة لتاجها، وقمر هالتها، وطراز غِلاَلَتِها(5).
وله كلام في آية الكرسي ذيّله بهذه الآية، فكانت غرة [فيه] (6) ومتميزة عنه، وفي تميز القرآن عن كلامه عليه السلام دلالة على أنه ليس من كلام البشر، إذ كان كلامه في أعلى طبقات الفصاحة، فإذا تميز القرآن عنه دل على ما قلناه.

---

(1) في (أ): رمى.
(2) في (ب): والبيان.
(3) في (ب): من أحوال، وقال في هامشها في نسخة: من آداب.
(4) سقط من (ب).
(5) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً. (مختار الصحاح ص479).
(6) زيادة في (ب).

(217/1)

---

(12) ومن كلام له عليه السلام لما ظفر بأصحاب الجمل
وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله على أعدائك، فقال عليه السلام:
(أهوى أخيك كان معنا؟ فقال: نعم): يريد إذا كان أخوك يحبنا ومواليا لنا، فلما قال[له] (1): نعم.
(قال: فقد شَهِدَنا والله): يعني أن أمره إذا كان على ما قلناه من المحبة والولاية فهو كمن شَهِدَنَا في عسكرنا ونَصَرَنا، وفي هذا دلالة على أن الولاية توجب الكون من الجملة، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[المائدة:51].
(ولقد شَهِدَ نا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال، وأرحام النساء): أراد أن من كان موالياً لنا،

وكانت عقيدته في حرب هؤلاء كعقيدتنا فهو في الحقيقة كأنه موجود معنا، وإن كان غير موجود الآن بأن يكون منياً في أصلاب الرجال، ونطفاً في قرارات(2) أرحام النساء.

(سيرعف بهم الزمان): الرعاف: الدم الخارج من الأنف، ورعف القلم إذا سال منه المداد، وهذه استعارة رشيقة، وهي من لطائف(3) استعاراته المعجبة.

(ويقوى بهم الإيمان): لما يقع بهم من نصرة الدين، وتقوية قواعده.

(13) ومن كلام له عليه السلام في ذم البصرة وأهلها

(كنتم جند المرأة): أراد بالمرأة عائشة، وفي هذا الكلام تعريض بضعف أحلامهم وركة عقولهم في انقيادهم لحكمها، وذلك من أوجه:

أما أولاً: فلما ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: ((لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة))(4).

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (ب): في قرار.

(3) في (ب): لطيف.

(4) هو في موسوعة أطراف الحديث النبوي 721/6، وعزاه إلى البخاري 70/6،9،10، وسنن الترمذي رقم (2262)، وسنن النسائي (المجتبى) 227/8، وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر، انظرها هناك.

(218/1)

وأما ثانياً: فلأنه إذا كان لا ولاية لها في بضعها فكيف يكون لها ولاية في غيره.

وأما ثالثاً: فلما يختصين به من ضعف العقل، ولهذا جعل الله شهادة امرأتين بمنزلة شهادة رجل واحد، فمن هذا(1) حاله كيف(2) يستحق أن يكون أهلاً للمتابعة أو يناط به شيء من الأمور الدينية، ونظير هذا في التعريض قوله تعالى: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ}[الزخرف:18] أي لايزال متحلياً بأنواع الزينة {وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}[الزخرف:18]، أي أنه لايبين وجه حجته ولا يفهم له احتجاج، فمن هذه حاله كيف يجعل الملائكة الذين هم أكرم المخلوقات عند الله وأقربهم إليه وأعظمهم منزلة عنده بمنزلة الإناث.

(وأتباع البهيمة): يريد الجمل، فجعله متبوعاً(3) لما ركبته، وأجابوها واحتكموا لأمرها في مخالفته، والدعاء إلى توهين أمره في خلافته، وهذه أتحف من الأولى(4)، وكل هذا منه مبالغة في قبح ما توسموه من مخالفته، وشقّ عصا المسلمين، فنزَّلهم في عدم البصيرة فيما أتوه بمنزلة من بايع بهيمة

لا عقل لها.

(رغا فأجبتم): يريد أنما بينكم وبين الإجابة [والانقياد] (5) إلا أنه رغا أي صاح فأجبتم، والرَّغَاء في الإبل بمنزلة الخَوَارِ في البقر، والصَّهيل في الخيل، والنُّهاق في الحمير، والبَعاء في الماشية.

(وعقر فهربتم): أراد(6) أنه لم يكن السبب في اجتماعهم إلا الجمل فلما عقر تفرقوا شذر مذر، وفيه تعريض منه بطلحة والزبير في اتباعهما لعائشة ونكثهما لبيعته.

---

(1) في (ب): هذه.

(2) في (ب): فكيف.

(3) في (أ): مسرعاً، وهو تحريف.

(4) في (ب): وهذه أسحق من الأول.

(5) سقط من (ب).

(6) في (ب): يريد.

(219/1)

وأقول: لقد هلكوا جميعاً واستحقوا الوعيد من جهة الله تعالى بمخالفته وشقاقه، لولا تداركهم الله برحمته بالتوبة والإنابة والرجوع إليه.

(أخلاقكم دقاق): الدقة من التراب هو: السحيق الذي جمعته(1) الريح، والغرض أن كل ماكان دقيقاً فإنه ضعيف، لا يعتمد عليه لأنه يبطل ويتلاشى، ومعناه أن آراءكم وشيمكم لا يعتمد عليها

(وعهدكم شقاق): الشقاق هو: الخلاف والعداوة، فالعهود من حقها الوفاء والحفظ، وأنتم نقضتم حكمها بأن جعلتموها شقاقاً حيث نكثتم البيعة وخالفتم أمري.

(ودينكم نفاق): ليس الغرض أنهم صاروا بمخالفته كفاراً منافقين فإن سيرته فيهم تخالف ذلك، وإنما الغرض هو أنكم تدَّعون أنكم باقون علىالدين، ومستمرون عليه، مع ما يظهر منكم من مخالفتي وشقاقي ونصب العداوة لي، فظاهر دينكم لايوافق بواطنكم، وهذه هي صفة المنافق لأنه يظهر خلاف ما يبطنه في قلبه ويفارق ما يبدو من لسانه.

(وماؤكم زعاق): شديد الملوحة، لا يمكن لشدة ملوحته شربه، وكنَّى بذلك عن حالهم فإنهم مع شدة المخالفة والمعاداة له، لاتكون موالاتهم سائغة لأحد من المسلمين.

(المقيم بين أظهركم): المخالط لكم والراضي بأعمالكم والمتخلق بهذه الطباع فيكم.

(مرتهن بذنبه): واقع في الخطايا رهين بالذنوب، لما يلحقه بالإقامة بين أظهركم، كما قال تعالى: {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}[الطور:21] شبهه بالرهن؛ لأن الإنسان إذا قارف(2) المعصية فإنه يكون

مرتهناً بنفسه، حتى يتخلصها بالتوبة.

(والشاخص عنكم): والمفارق لكم، والبعيد عنكم.

---

(1) في (أ): جمعه.

(2) في (أ): فارق، وهو تصحيف،

(220/1)

(متدارك برحمة من ربه): الرحمة: هي ما يكون من الألطاف الخفية من جهة الله تعالى، يشير إلى أن حصول الألطاف [الخفية](1) إنما تكون بالمفارقة لهم، ووقوع الخذلان يكون بالإقامة بين أظهرهم(2).

(كأني بمسجدكم هذا): يعني مسجد البصرة، وإنما قال هذا أي الذي تجتمعون فيه للآراء الفاسدة والأقاويل الباطلة في عداوتي وشقاقي.

(كجؤجؤ سفينة(3)): جؤجؤ الطائر وجؤجؤ السفينة هو: الصدر منهما، وإنما شبهه بالجؤجؤ لأمرين: أما أولاً: فلما يبعث الله عليه من العذاب بالغرق، ولهذا قال في رواية أخرى.

(وايم الله، لتغرقن بلدكم(4) هذه): يعني البصرة.

(حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة): وأما ثانياً: فلأنه أشار بهذا إلى أنه لا يبقى منه إلا أثر أو طَلَل(5) أي يخرب ولا يبقى منه إلا ما ذكرناه، وما(6) قاله عليه السلام يحتمل أن يكون قد وقع أو أنه سيقع بعد هذا.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (أ): أظهركم، وما أثبته من (ب).

(3) بعده في شرح النهج (251/1): (قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها، وغرّق من في ضمنها).

وفي رواية أخرى: (كجؤجؤ طير في لجة بحر).

وفي رواية أخرى: (بلادكم أنتن بلاد الله تربة، أقربها من الماء، وأبعدها من السماء، وبها تسعة أعشار الشر، المحتبس فيها بذنبه، والخارج بعفو الله، كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبقها الماء، حتى ما يرى منها إلا شرُفُ المسجد، كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر). انتهى.

(4) في شرح النهج: بلدتكم.

(5) الطَّلَلُ: ما شخص من آثار الدار، والجمع أطلال وطلول (مختار الصحاح ص396).
(6) في (أ): ومما، وفي (ب) كما أثبته.

(221/1)

(أرضكم قريبة من الماء): كنّى بما ذكره عن ركة أحوالهم ونزول هممهم حتى صارت في أسفل سافلين، ولهذا يقال: أنف في السماء، وقدم في الماء، يُضْرَبُ مثلاً لمن يدعي الحلم والوقار، وهو يفعل أفاعيل(1) السفهاء، فيقال له ذلك.

(بعيدة عن السماء): أراد إما بعيدة عن الرحمة من الله تعالى؛ لأنها تنزل من السماء، وإما أن أحلامهم بعيدة عن عادة أهل الديانة وأهل الورع والنفاسة.

(خفَّت عقولكم): فلهذا تستفز بأدنى شيء لارزانة في حصاتها(2) ولا ملاك لأمرها.

(وسفهت حُلومكم): أي صارت تشبه أخلاق السفهاء فيما تلبستم به(3) من المخالفة.

(فأنتم غرض لنابل): الغرض: ما يرمى من قرطاس أو غيره، والنابل: صاحب النبال، ومراده أن كل أحد يرميكم بنباله، ويسدِّد إليكم سهامه.

(وأُكلة لآكل): الأكلة بالضم هي: ما يؤكل، ولهذا قال عليه السلام: ((فضل ما بينكم وبين اليهود أكلة السحور))(4). والأكلة بالفتح: واحدة الأكلات، وبالكسر: الضرب من الأكل، وهي الحالة كالركْبة والجِلَسة، ومراده أنهم صاروا أكلة لأي آكل [كان] (5)، وإنما نكَّر الأكل لما فيه من الفخامة ما لايفيده التعريف لو عرَّف.

(وفريسة لصائل): الصائل: ما يصول من سبع أو جمل أوغيرذلك، ومراده من ذلك هو أنهم صاروا يأخذهم كل من استطال عليهم بمنزلة الفريسة المأكولة، لاينتصرون من أحد لذلهم وركة أحوالهم.

---

(1) في (أ): افتعال، وما أثبته من (ب).
(2) في (ب): حصانها.
(3) في (أ): فيه.
(4) له شاهد ذكره في موسوعة أطراف الحديث النبوي 567/5 بلفظ: ((فضل ما بين صيامكم وصيام أهل الكتاب أكل السحر))، وعزاه إلى مصنف ابن أبي شيبة 8/3.
(5) سقط من (ب).

(222/1)

---

(14) ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان

القِطاع والقَطاع بالكسر والفتح هو: المال الحرام. وأقطعت الرجل قطيعة أي طائفة من مال الخراج، وذلك أنه قد كان جرى في خلافته أحداث عظيمة وأمور منكرة من أخذ الأموال من غير حلها، وصرفها في غير وجهها، وإيثار أقاربه بها، مع عدم الاستحقاق منهم لها، فلما كان الأمر فيها كما قلناه، وانتهت النوبة إلى أمير المؤمنين ردها عن تلك المصارف، وقال:

(والله لو وجدته قد تُزوّج به النساء): أراد جُعل مهوراً لهن.

(ومُلِكَ به الإماء): بأن جُعِل أثماناً لهن، وإنما مثَّل بهذين الأمرين لأنهما أحق الأمور المباحة بالبذل، والزيادة فيهما لا تكون تبذيراً، ولهذا قال تعالى: {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا}[النساء:20]، وقال في آية أخرى: {فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا}[النساء:4].

وعن أمير المؤمنين أنه قال: (إذا مس الإنسان وجع في بطنه، فليأخذ من مهر امرأته شيئاً، وليشتري به عسلاً، ويجعل عليه شيئاً(1) من ماء السماء؛ ثم يشربه فيجمع بين الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك).

فلهذا مثله بما ذكرناه، يريد فلو صرف في هذه المصارف مع حلها وقلة التبعة فيها.

(لرددته): عن مصرفه هذا، ولصرفته في مصرفه الذي أمرالله بصرفه فيه.

(فإن في العدل سعة): في الدنيا راحة القلب عن مظالم الخلق، وضيق النفس منهم بكثرة المطالبة والمخاصمة.

وأما في الآخرة فإن فيه خلاصاً عن الحساب والوقوف بين يدي الله.

(ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق): فيه وجهان:

---

(1) في (ب): شيء.

(223/1)

أحدهما: أن يريد ومن ضاق عليه العدل مع ما فيه من السهولة والخفة على النفس بترك التبعات، فالجور عليه أضيق لما فيه من الصعوبة وضيق النفس.

وثانيهما: أن يريد ومن ضاق عليه العدل فلم يبسط يده في الأخذ؛ بل يحتاط ويتحرج في ذلك، فالأولى أن يفعل ذلك في الجور ويكف نفسه عنه.

(15) ومن خطبة له عليه السلام لما بويع في المدينة

(ذمتي): الذمة هي: العهد والميثاق.
(بما أقول): ما ها هنا إما موصولة أي بالذي أقوله، وإما مصدرية أي بقولي من صدق المقالة، والوفاء بالذمم والعهود كلها.
(رهينة): أي مرتهنة، فلا تخلص إلا بالوفاء بها.
(وأنا به زعيم): أي كفيل، والكفيل: زعيم، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم(1): ((الزعيم غارم))(2) وأراد به الكفيل.
(إن من صرحت له العبر عمَّا بين يديه من المثلات): صرح الحق وانصرح، أي بان وظهر، والصرح بالتحريك: الخالص من كل شيء.
قال المتنخل الهذلي(3):

---

(1) قوله: وسلم زيادة في (ب).
(2) أخرجه الإمام أحمد بن عيسى بن زيد عليه السلام في أماليه في الجزء الرابع ص240 بسنده إلى شرحبيل بن مسلم، قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((العارية مؤداة، والمنحة مردودة، والزعيم غارم)) وأورده ابن الأثير في النهاية 363/3، وهو في مختار الصحاح ص272، ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله في أنوار التمام 493/4 وعزاه إلى شرح التجريد وأصول الأحكام والشفاء.
(3) هو مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي، من مضر، أبو أثيلة، شاعر من نوابغ هذيل، قال الأصمعي: هو صاحب أجود قصيدة طائية قالتها العرب (الأعلام 264/5).

(224/1)

تَعْلُو السيوفُ بأيدينا جَمَاجِمَهُم .... كَمَا نُفَلِّقُ مَرْوَ الأمعز الصَّرِحي(1)
أي الخالص، ومنه المثل: صرَّح الحق عن محضه، أي: بان وانكشف، والعبر: جمع عبرة وهي الاسم من الاعتبار، واشتقاقها من عبرت عينه إذا بكت، ومراده من ذلك هو أن من كشفت له الأمور المعبر بها والمجعولة عبرة عمَّا تقدمه من العقوبات النازلة بالأمم الماضية والقرون الخالية.
(حجزه(2)) أي منعه، ومنه الحاجز، وهو: الحائل بين الشيئين.
(التقوى): التوقي، وهي مصدر كالدعوى.
(عن تقحم الشبهات): [عن](3) اقتحام المهالك والوقوع فيها.
(ألا وإن بليتكم هذه قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه): البلية والبلوى والبلاء واحد، وهي مصادر كلها، والبلية: الناقة التي تحبس عند قبر الرجل إذا مات، وغرضه من هذا الكلام هو أني قد ابتليت

بكم في الاعوجاج، ومقاسات الأمور الشدائد مثل ما ابتلي به رسول الله[صلى الله عليه وآله وسلم](4) من قومه من ذلك.

(والذي بعثه بالحق): إقسام بالله جل جلاله، وإنما خص البعثة لما فيها من مزيد الاعتناء(5) بحاله صلى الله عليه وآله ورفع مكانه عند الله.

(لَتُبَلْبَلُنَّ بلبلة): البلبلة: التحرك والاضطراب، يقال: تبلبلت الألسنة إذا اختلطت، جعله هاهنا كناية عن تغير أحوالهم، وتبدلها عمّا هي عليه الآن.

---

(1) في (أ): كما نفلق مره والأمعرا الصرحى، وما أثبته من (ب)، والمرو: حجارة بيض رقاق براقة تقدح منها النار، والأمعز: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة، (انظر المعجم الوسيط ص865، 877)، والبيت ورد في لسان العرب 435/2 بلفظ:

تعلو السيوف بأيديهم جماجمهم .... كما يُفَلِّقُ مرو الأمعز الصرح

(2) في شرح النهج: حجزته.

(3) زيادة في (ب).

(4) سقط من (أ).

(5) في (أ): الاعتبار.

(225/1)

(ولَتُغَرْبَلُنَّ غربلة): أي لتنخلنّ(1) نخلاً بالغربال، وهو المنخل، وهو كناية عن القتل والاستئصال.

(ولَتُساطُنَّ سوط القدر): السوط: الخلط، ساطه يسوطه سوطاً إذا خلطه بغيره، والمسواط: عود يحرك به القدر ليخلط ما فيها بعضه ببعض.

(حتى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم): من كثرة الاضطراب واختلاف الأهواء وتفرق الآراء كالشيء المسوط في القدر فإن هذه حاله.

(وليسبقَنَّ سباقون(2) كانوا قصَّروا): أي وليتقدمن إلى نصرتي ومتابعتي أقوام كانوا قصروا في أول الأمر من خلافتي بالتأخر عني.

(وليقصِّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا): أي وليتأخرنّ عن مناصرتي ومعاضدتي أقوام كانوا سبقوا إليها في أول الأمركما كان من طلحة والزبير وغيرهما، وكل ما ذكره من هذه الأحوال دلالة على الفشل وكثرة الاضطراب في أمورهم(3) كلها.

(والله ما كتمت وسمة(4)): الوسمة بثلاث من أسفل هي: الأثر.

يقال(5): وسمه يسمه سمة إذا أثر فيه، والوشمة بثلاث من أعلى هي: القطرة، يقال: ما أصابتنا

العام وشمة.

قال ابن السكيت(6): ما عصيته وشمة أي كلمة، وكلاهما جيد ها هنا، أي ما كتم أثراً(7) ولا كتم كلمة.

---

(1) في (أ): لتنجلن، وهو تصحيف.

(2) في شرح النهج: سابقون.

(3) في (ب): الأمور.

(4) في شرح النهج: وشمة.

(5) في (ب): ويقال.

(6) ابن السكيت هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف [186-244هـ]، إمام في اللغة والأدب، تعلم ببغداد، له مصنفات منها: إصلاح المنطق وغيره (الأعلام8/195).

(7) في (أ): أثر، وهو خطأ.

(226/1)

(ولا كذبت كذبة): أي واحدة من الكذبات، واختلفت الزيدية والإمامية في قوله هل يكون حجة أم لا؟ فمن قال [منهم](1) بعصمته من الخطأ وهم الأقل قال: إن قوله حجة فيما قاله، إلا أن يكون الخطأ في تلك المسألة يكون صغيراً فإنه لايكون حجة، ومن قال منهم: بأن قوله لايكون حجة قال: إنه غير معصوم وهم الأكثر، وهذا هو الصحيح، لأن الدليل إنما دلَّ على عصمة جماعتهم أعني علياً وفاطمة والحسن والحسين، فأما على انفراده فلا دلالة على ذلك(2)

---

(1) زيادة في (ب).

(2) أقول وبالله التوفيق: استدل القائلون بعصمة أمير المؤمنين علي عليه السلام على انفراده وحجية قوله بعدد من الأدلة، فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((علي مع الحق، والحق معه)) رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في كتاب معرفة الله عز وجل ص53 من مجموع رسائله، والإمام المرتضى محمد بن الهادي عليهما السلام في كتاب الأصول من مجموع كتبه ورسائله 711/2، وأخرج الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني عليه السلام في أماليه ص93 برقم (50) بسنده عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أم سلمة إذ استأذن رجل فقيل له: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى علي، فقالت أم سلمة: مرحباً بك يا أبا ثابت ادخل، فدخل فرحبت به، ثم قالت له: يا أبا ثابت، أين طار قلبك حين طارت القلوب مطايرها؟ فقال: تبع علي بن أبي طالب

عليه السلام. فقالت: وقّفت، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((علي مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض)). وأورد العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله في الروضة الندية ص156 عدداً من الأحاديث النبوية القاضية بدوران الحق مع أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث دار، ومن ذلك حديث عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((رحم الله عليًّا، اللهم أدر الحق معه حيث دار))، وعزاه إلى البخاري، قال: وفي بعضها الإخبار بأنه مع القرآن، والقرآن معه، كما أخرج الطبراني في الأوسط، ومالك في الموطأ من حديث أم سلمة قالت: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)). انتهى. ثم ساق عدداً من الروايات الواردة في الباب، والمؤدية إلى المعنى نفسه حتى قال ص157: فهذه قطرة من أحاديث الباب فيها الدلالة على أنه عليه السلام لا يفارق الحق والحق لا يفارقه، وقد دعا له صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، ثم أخبر أنه مع القرآن والقرآن معه، فأفاد أن الله استجاب دعوته صلى الله عليه وآله وسلم فيه عليه السلام، وفيه دليل واضح على عصمته عليه السلام أوضح من أدلة عصمة الأمة، وفيه دليل أيضاً على حجية قوله؛ لأنه لا يقول إلا الحق، والحق هو ما أمر الله عباده باتباعه، فدل على أن قوله يتبع، وهي مسألة مشهورة وفي كتب الأصول مسطورة. انتهى._ ... _قلت: ومن القائلين بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام وحجية قوله الإمام عز الدين بن الحسنعليه السلام ذكره في كتابه المعراج، حكاه عنه العلامة المولى مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار 252/2، ومن القائلين بالعصمة أيضاً الأمير الحسين بن بدر الدين رحمه الله ذكره في ينابيع النصيحة واستدل على ذلك بخبري الموالاة، والمنزلة، ومنهم القاضي العلامة المجتهد أحمد بن يحيى حابس الصعدي رحمه الله ذكره في كتابه الإيضاح شرح المصباح ص325، واستدل على عصمة أمير المؤمنين علي عليه السلام وحجية قوله، بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((علي مع الحق...))الحديث، وبخبر عمار، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمار بن ياسر: ((إذا سلك الناس وادياً وعلي وادياً فعليك بعلي، وخلِّ الناس جانباً))، ومنهم أيضاً السيد العلامة أحمد بن محمد بن لقمان رحمه الله ذكره في كتابه الكاشف لذوي العقول ص138-139، واستدل على ذلك بخبر: ((علي مع الحق))، وبخبر: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)).

هذا ومن القائلين بحجية قول أمير المؤمنين علي عليه السلام الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام ذكره في كتاب أصول الأحكام في كتاب الإجارات من باب ضمان الأجير، ومنهم الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في كتابه الشافي حيث قال: وكلام علي عليه السلام حجة ...إلخ، حكاه عنه العلامة المجتهد مجد الدين المؤيدي في كتابه لوامع الأنوار 147/1، ومنهم العلامة علي بن الحسين رحمه الله في كتابه المحيط حيث قال: ومن خصائص علي عليه السلام أن قوله حجة يجب المصير إليه، وذلك إجماع أهل البيت لا يختلفون فيه، حكاه عنه العلامة

المؤيدي في لوامع الأنوار 147/1، وقال المولى العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي رضي الله عنه في لوامع الأنوار 143/1-144 ما لفظه: واعلم أنا ندين الله تعالى بما دانت به جماعة العترة الأحمدية، والصفوة العلوية ومن اهتدى بهداهم من علماء الأمة المحمدية، أن إمام المتقين، وسيد الوصيين، وأخا سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الإمام وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخاص والعام، وحجة الله بعد نبيه على جميع الأنام، وأنه منزل منزلته إلا النبوة كما نطق به صلوات الله عليه وآله عن الله تعالى في جميع الأحكام، فقوله صلوات الله عليه حجة ومنهجه في كل شيء أعظم محجة. أما في الأصول فلا خلاف بين آل محمد صلوات الله عليهم وأتباعهم في ذلك لمكان ما جعل الله تعالى له من العصمة، وكون الحق فيها واحداً كما قضت به الأدلة السابقة المعلومة. (قلت: انظر الجزء الأول من كتاب لوامع الأنوار) قال حفظه الله تعالى: وأما في فروع الأحكام فكذلك عند جمهور أهل البيت وأتباعهم لما سبق من الحجج المنيرة، المتواترة الشهيرة، وغيرها من الكتاب والسنة، وقد جمع في ذلك المقام السيد الإمام الحسين بن القاسم عليهما السلام ما كثر وطاب، وأنعم الوطاب، وفيه كفاية لأولي الألباب، ولم تفصل البراهين القاضية بكون الحق معه وكونه على الحق، وما شاكلها بين أصول وفروع، ولا بين معقول ومسموع. انتهى. ثم ساق الكلام في ذلك وأورد أدلة كثيرة شهيرة في ذلك الموضوع من كتب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم رضي الله عنهم، ومن كتب غيرهم، أقام بها الحجة، وأوضح بها المحجة رضي الله عنه وأرضاه، وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء. (انظر المصدر المذكور 143/1-157) هذا ومتابعة هذا الغرض يطول، ومن أراد المزيد فليبحث عن الموضوع في كتب الأصول. والله ولي الهداية والتوفيق، وهو نعم المسئول..

(227/1)

.

(ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم): أراد بالمقام إما موضع الإقامة، وإما الإقامة نفسها وهو المصدر، أي مو ضع إقامتي فيكم بما كان منكم من التشتت والتفرق(1) واختلاف الأهواء، وأراد باليوم ولايته عليهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(2) قد كان أعلمه بأيام خلافته، وبما يكون عليه من التفرق والخلاف، وهذا من جملة الأمور الغيبية التي عهد إليه فيها ونبأه بها.

(ألا وإن الخطايا خيلُ شُمُسٌ): الأشمس من الخيل: الذي يمنع صاحبه الركوب.

(حُمِلَ عليها أهلها): أي حملتهم الأهواء والشياطين بالتزيين(3) من جهتهم وغلبة الهوى واستحكامه.

(وخُلعت(4) لُجُمها): أزيلت وأبعدت عن أفواهها.

(فتقحمت بهم النار(5)): قحم الفرس بفارسه وتقحم وانقحم إذا لم يملك رأسه، ولم يقف على مراده.

(ألا وإن التقوى مطايا ذلل): المطايا: جمع مطية وهو: الواحد من الإبل مذللة لصاحبها، يفعل فيها كيف أراد من إقدام وإحجام.
(حُمِل عليها أهلها): أعينوا عليها بالألطاف والصبر، وبإمداد من جهة الله تعالى.
(فأُعطوا(6) أزمتها): يعني مكنّوا منها في أيديهم، وأملك ما يكون الإنسان للدابة إذا كان آخذاً بزمامها يُصَرِّفُها كيف أراد.
(فأوردتهم الجنة): على سهولة ومشي سجح.

---

(1) في (أ): والتفريق.
(2) قوله: وسلم زيادة في (ب).
(3) في (أ): بالتزين، وما أثبته من (ب).
(4) في (أ): وجعلت، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.
(5) في شرح النهج: في النار.
(6) في (ب) وشرح النهج: وأعطوا.

واعلم: أن في كلامه هذا من لطيف(1) الاستعارة وغريبها ما لايقوم بوصفه لسان، ولا يطلع على سره إنسان، ومن بديع ذلك وعجيبه هو أنه لما استعار ذكر الخيل والمطايا، عقَّب كل واحد منها(2) بما يصلح فيه من الاقتحام في حق الخيل؛ لأنه هو الغالب عليها، والتذلل في المطايا؛ لأنه هو الغالب عليها، وهذا يسمى توشيح الاستعارة لأنه يزيدها عذوبة وحلاوة، ويكسيها(3) رونقاً وطلاوة.
سؤال؛ لِمَ استعار للخطايا الخيل، وللتقوى المطايا من الإبل، ثم قال: في الخطايا خلعت لجمها، وقال في الطاعة: أعطوا أزمتها، وقال في الخطايا: تقحمت بهم النار، وقال في الطاعة: أوردتهم الجنة؟

---

(1) في (ب): لطائف.
(2) في (ب): منهما.
(3) في (ب): ويكسبها.

وجوابه؛ أن في كل واحد من هذه الأشياء المختلفة معنى يوافق ما هو بصدده، وما جيء به من أصله، فلما كانت المعاصي لا تُفعل إلا بمعاناة وكد وإتعاب الخاطر(1) في تحصيلها، استعار لها الخيل، لما فيه(2) من الشدة وشكاسة الأخلاق، بخلاف التقوى فإنها تحصل علسهولة لما يحصل من المراد بالألطاف الخفية من الله تعالى، فلهذا استعار لها المطايا لما فيه من التذلل وسهولة الانقياد، وإنما قال في الخيل: خلعت(3) لجمها إشارة إلى أن الفرس مع اللجام لايأمن راكبها التقحم عليه فضلاً عن خلع اللجام، فإن ذلك أيسر للتقحم وأدعله، وغرضه بذلك تشبيه أهل المعاصي في الإسراع إلى الخطايا بالخيل إذا خلعت(4) لجمها، بخلاف أهل التقوى فإنهم قبضوا وملكوها، والإبل ربما ساعدت في الانقباض بغير زمام فضلاً عن حالها مع قبض الزمام، فإنها تكون أطوع لا محالة، وإنما قال في حق الخيل: تقحمت بهم؛ لأن التقحم إنما يكون في المكروه وخلاف المراد. وقال في المطايا: أوردتهم؛ لئن الورود أكثر استعماله في المحبوب، كما يقال: ورد على الأمير(5) بعادته وعطيته، وطابق في هذا(6) الاستعارات كلها الغرض المقصود، وجاء في كل شيء بما يليق به، وما ذاك إلا لأنه قد جُعِلَ على البلاغة أميراً، وصار لمعانيها وأسرارها ترجماناً وسفيراً.

---

(1) في (ب): الخواطر.

(2) في (ب): به.

(3) في (أ): جعلت، وهو تحريف.

(4) في (أ): جعلت، وهو تحريف.

(5) في (أ): الأمر، وهو تحريف.

(6) في (ب): هذه.

(230/1)

(حق وباطل): أي أمرنا وما نحن فيه حق وباطل، فالحق ما أنا عليه، والباطل ما خالفه وهذا من علم البديع يسمى الطباق، ويقال له: التكافؤ أيضاً، وهو أن يأتي بالشيء ونقيضه، وهذا كقوله تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا}[التوبة:82].

ومنه قوله:

أيا عجباً كيف اتفَقْنا فناصحٌ .... وفيٌّ ومطويٌّ على الغلِّ غادرُ

(ولكل): من ذلك.

(أهل): يريد أن الحق له أقوام، يقيمون حده، ويشيدون أركانه، وأن الباطل له أقوام، يحيون معالمه، ويرفعون ستائره(1)، ونظير هذا قوله صلى الله عليه وآله: ((إن للدنيا أبناء، وللآخرة أبناء، فكونوا

من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا)) (2).

(فلئن أَمِرَ الباطل): أَمِرَ الشيء إذا كثر وفشا، يقال: أَمِرَ ماله إذا كثر.

(لقديما فعل): انتصاب قديماً على الظرفية أي لزماناً قديماً فعل، لكنه طرح موصوفه، وأقيم مقامه فانتصب انتصابه، ومن هذا قولهم: ستر عليه طويلاً وقديماً وحديثاً، اللام في قوله: لئن أَمِرَ، هي الموطية للقسم، مثلها في قوله تعالى: {لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ}[الحشر:11]، واللام في قوله: لقديماً هي جواب القسم، ومراده أن الباطل إذا كثر فهذا هو الغالب من أحواله؛ لأن أنصاره كثيرون، وأعوانه جم غفير.

---

(1) في (ب): شناره، وهو تصحيف، ولعل الصواب: شياره.

(2) أخرجه من حديث عن أبي هريرة الشريف زيد بن عبد الله السيلقي رحمه الله في الأربعين السيلقية ص48 الحديث رقم (39).

(231/1)

(ولئن قلَّ الحق لربما(1) ولعل): لأن أنصاره قليلون، ومتبعوه في غاية الندرة، ومتعلق رب محذوف أي ربما كان ذاك(2)، ولعل اسمها وخبرها محذوفان، أي ولعل ذاك حاصل، وحذفه إنما ساغ للعلم به، وهو واقع في كلام الفصحاء كثيراً.

ويحكى عن عمر بن عبد العزيز، وكان بليغاً، ذكر له أعرابي حاجة فقال: لعل ذاك، أي لعل ذلك حاصل.

(ولقلَّما أدبر شيء فأقبل(3)): هذه(4) من الحكم العجيبة، والآداب الحسنة، يريد أن الإنسان إذا كان في صحة ونعمة فليعمر ما هو فيه من الصحة والنعمة بالطاعة والشكر، ولا يغفل عن ذلك حتى إذا فاتت طلب ذلك وسأله وعوَّل فيه، فقلَّ ما أدبر شيء فعاد، كما كان من قبل، ويصلح أن تكون مفيدة لمعاني غير ما ذكرناه، وأشرنَا إليه، وهي من حكمه القصيرة المشتملة على المعاني الجمة، والنكت الغزيرة.

---

(1) في النهج: فلربما.

(2) في (ب): ذلك.

(3) بعده في شرح النهج: قال الرضي عليه السلام: وأقول: إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لاتبلغه مواقع الاستحسان، وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به، وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطلع فجَّها إنسان، ولا يعرف ما أقول

إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عرق: {وما يعقلها إلا العالمون}.

(4) في (ب): هذا.

---

(16) ومن خطبة له عليه السلام

(شُغِلَ من الجنةُ والنارُ أمامه!): يريد أنه لا شغل أعظم حالاً ممن كانت الجنة أمامه طالباً لها، ولا من(1) كانت النار أمامه محاذراً عنها، والأمام في قوله: أمامه، يحتمل أن يكون حقيقة؛ لأن الجنة والنار لا بد من مشاهدتهما، ولا يشاهدان إلا مع المقابلة، بأن يكونا أمام كل مبصر، ويحتمل أن يكون مجازاً، والغرض أنهما إذا كانا نصب عينيه واظب على الطاعة ليحرز الجنة، وكف عن القبائح وسائر المحظورات ليسلم عن النار.

(ساع سريع نجا، وطالب بطيء رجا، ومقصر في النار[هوى] (2)): يعني أن الناس بالإضافة إلى إحراز رضوان الله تعالى والانكفاف عن محرماته على هذه الأصناف الثلاثة: فمنهم من سعى سعياً عظيماً بجد واجتهاد، وأعرض عن الدنيا، وكان همه الآخرة، فهذا قد حاز النجاة لا محالة وأحرزها(3) بجهده، ومنهم من يطلبها طلباً بطيئاً بتسهيل وتهاون من غير إخلال بواجب ولا إقدام على قبيح، ولكنه يتساهل في أمور، فهذا يرجى له المغفرة من الله تعالى والتجاوز بالعفو عن التقصير، ومنهم مقصر في النار بإقدامه على القبائح، وإخلاله بالواجبات، ونظير هذا التقسيم قوله تعالى: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}[الواقعة:8]، ثم قال: {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}[الواقعة:9]، ثم قال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}[الواقعة:10]، وفي هذا دلالة على نجاة اثنين(4) دون الثالث.

---

(1) في (ب): ولا ممن.

(2) سقط من (أ).

(3) في (أ): وإحرازها، وما أثبته من (ب).

(4) في (ب): الإثنين، وقال في الهامش: في نسخة : اثنين.

(اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة): يريد أن(1) طريق النجاة هي الوسطى، ومن حاد عنها يميناً فهو هالك أوشمالاً فهو هالك أيضاً، وكل واحد منهما أعني اليمين والشمال مضلة،

والمضلة بكسرالفاء هي: موضع الضلال، وبفتحها هي: المصدر أي ذات ضلال، والجادة: معظم الطريق، وفي المثل: من سلك الجواد أمن من العثار.

(عليها باقي الكتاب): الضمير للجادة، وهي: عبارة عن الاعتراف بالإلهية والإقرار لله بالوحدانية، والباقي هو: المستمر الثابت، والكتاب يحتمل أن يكون عاماً لجميع ما أنزل الله من السماء فإنها مستمرة ثابتة على التصريح بالتوحيد والإلهية، ويحتمل أن يكون خاصاً للقرآن فإنه مملوء من الأدلة على وجود الصانع وإثبات توحيده.

(وآثار النبوة): الآثار: جمع أثر بالتحريك، وهو: عبارة عما يبقى من رسم الشيء، وسير الرسول: آثاره، وغرضه من ذلك هو أن آثار النبوة حاصلة للجادة(2)، ويحتمل العموم في النبوة إذ لا نبوة حاصلة لأحد من الأنبياء إلا وهي متضمنة لتوحيد الله وإلهيته، ويحتمل أن تكون خاصة في نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فإنها متضمنة لما ذكرناه.

(ومنها): يعني الجادة.

(منفذ السنة): نفذ أمره إذا كان ماضياً، ونفذ السهم من الرمية، ومراده من ذلك هو: أن مضي السنة واستمرارها على ما ذكرناه من الحكم بالتوحيد والقضاء به.

(وإليها): يعني الجادة.

(المصير): مصدر من صار يصير وهو خارج عن قياس بابه وقياسه المصار(3)، وهكذا المرجع فإن قياس بابه بالفتح، ولكنهما خرجا عن القياس كما ترى، وهما مستعملان جميعاً في كتاب الله تعالى مع خروجهما عن قياس بابهما.

---

(1) قوله: (أن)، سقط من (ب).

(2) في (ب): على الجادة.

(3) في (أ): المصادر، وهو تحريف.

(234/1)

(مصير العاقبة): والعاقبة من كل شيء: آخره، وفي الحديث: ((أنا العاقب))(1) أي أنا آخر الأنبياء، وغرضه من ذلك هو أن إليها ترجع عاقبة كل أمر على الحقيقة، فإن كل أحد لا عذر له عن معرفة الله تعالى والعلم بإلهيته وحكمته.

(هلك(2) من ادعى): خلاف ما تقضي به العقول من الاعتراف بوجود الله وإثبات وحدانيته، أو من ادَّعى ما ليس حقاً له(3)؛ لأن ذلك يكون ظلماً منه بادعائه له.

(وخاب من افترى): خاب الرجل خيبة إذا لم ينل ما طلب، وفي المثل: الهيبة خيبة، وافترى الكذب

إذا اختلقه وأوجده، وافترى علىالله كذباً، ومراده من ذلك هو أن من افترى فقد خاب ظنه، ولم ينل ما طلبه في كل شيء.

(من أبدى): بدا الشيء إذا ظهر، وبدأ خلقه أي ابتدأه.

(صفحته للحق): صفحة كل شيء: جانبه.

(هلك عند جهلة الناس(4)): فسد وبطل، ومراده من هذا هو أن من أبدى جانبه لمدافعة الحق وإنكاره ضل سعيه وبطل أمره.

---

(1) أخرجه من حديث السيد أبو العباس الحسني رضي الله عنه في المصابيح ص166 بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، والحديث في مختار الصحاح ص 443 بلفظ: ((أنا السيد والعاقب))، وفي لسان العرب 831/2، وفي النهاية لابن الأثير 268/3، وانظر تخريج الحديث في المصابيح لأبي العباس الحسني.

(2) في (ب): وهلك.

(3) قوله: له سقط من (ب).

(4) قوله: عند جهلة الناس، سقط من شرح النهج.

(235/1)

(كفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدر نفسه(1)): يريد أن معرفة الإنسان بأحوال نفسه سابقة على معرفته بحال غيرها، فإذا(2) كان لايعرف قدر نفسه من جميع الوجوه فهذا هو نهاية الجهل وقصاراه وغايته، أو يريد أن معرفة الإنسان نفسه هو من جملة العلوم الضرورية بل هو أقواها وأوضحها، فإذا كان لايعرف حال نفسه مع وضوحه وقوته فكيف يرجى فلاحه في غيرها.

(لا يهلك على التقوى سِنْخ أصل): السنخ: أصل الشيء، وسنخ السن: أصله، والتقوى هو مصدر كالاتقاء، ومراده من هذا هو أن من كان ملازماً على تقوى الله تعالى، وخوفه ومراقبته في كل أحواله فإنه لا يضعف أمره، ولا يفسد شيء من أحواله، والغرض بالأصل ها هنا هو الشيء أي لا يهلك على ملازمة التقوى أصل شيء أصلاً، بل يكون مع التقوى إلى نمو وزيادة.

(ولا يظمأ عليه زرع قوم): الضمير في قوله: عليه، للتقوى؛ لأنها بمعنى الاتقاء، وهذا من الاستعارات العجيبة، ومراده أن من كان همه ملازمة التقوى لله تعالى والخوف منه(3) فإن زرعه لا يتغير بالظمأ، وإن أصله لايتطرق إليه الهلاك، وكيف لا والتقوى جوهر نفيس، وقد ورد القرآن بالثناء على أهل التقوى في غير آية:

أما أولاً: فالمصاحبة بالإعانة، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا}[النحل:128].

وأما ثانياً: فتيسير المخرج من كل همٍّ، كقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}[الطلاق:2].
وأما ثالثاً: فتكفير السيئات، كقوله تعالى: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}[الأنفال:29].

---

(1) في شرح النهج: ألا يعرف قدره.
(2) في (أ): فإذ.
(3) في (أ): فيه.

(236/1)

وأما رابعاً: فالتذكر والإبصار، كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}[الأعراف:201].
وأما خامساً: فالصدق، كقوله(1) تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[التوبة:119]، وغير ذلك من الخصال الشريفة التي تحصل بملازمة التقوى ودوامها.
(فاستتروا ببيوتكم): الستر: ما يستر به، وأراد اجعلوها غطاء لجميع عوراتكم، أما في الدين فلو ارتكب الإنسان محظوراً في بيته وتستر به(2) ستره الله، كما ورد في الحديث: ((من تضمخ بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستراالله تعالى)) (3).
وأما في الدنيا فلأنه لو كان فقيراً أو عرياناً ففي البيت [ستره](4)، ستره عن إظهار هذه الأشياء وانكشافها.

---

(1) في (أ): قوله.
(2) في (ب): وسنده.
(3) الحديث رواه في نهاية ابن الأثير 28/4 بلفظ: ((من أصاب من هذه القاذورة شيئاً فليستتر بستر الله))، وهو بلفظ النهاية في لسان العرب 39/3 ، وفي موسوعة أطراف الحديث 92/8 بلفظ: ((من أصاب من هذه القاذورات شيئاً))، وعزاه إلى نصب الراية 323/3، وتفسير القرطبي 157/6، 104/19، وهو فيها أيضاً 21/8 بلفظ: ((من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر)) وعزاه إلى تلخيص الحبير لابن حجر 57/4، وله فيها أيضاً شواهد أخر، انظرها هناك.
(4) سقط من (ب).

(237/1)

(وأصلحوا ذات بينكم): خصها عليه [السلام](1) بالإصلاح، كما خصها الله تعالى(2) في قوله: {وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}[الأنفال:1]، والمراد حال ذات بينكم، أي الأحوال التي بينكم، حتى تكون أحوال إلفة ومحبة واتفاق على ذلك، ولما كانت تلك الأحوال خافية ملابسة لهم، قيل لها: ذات البين، كما قيل: ذات الصدور، أي بالأحوال التي بالصدور.

(والتوبة من ورائكم): وراء يستعمل بمعنى خلف، ويستعمل بمعنى قدام، [قال الله تعالى] (3): {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ}[الكهف:79] أي قدامهم، وهو من الأضداد، وكلامه ها هنا محتمل(4) للأمرين جميعاً، فيحتمل أن تكون التوبة قدامهم لتكون خاتمة لأعمالهم وتكملة لها، ويحتمل أن تكون التوبة من خلفهم لتكون حاثَّة لهم على فعلها وعلى التلبس بها.

(ولا يَحْمَدُ حامدٌ إلا ربه): يريد انحصار الحمد في حق الله تعالى فلا يُحْمد سواه؛ لأنه [هو](5) المبتدئ بالنعم أوائلها وأواخرها وأصولها وفروعها، فكما(6) أنه لا نعمة إلا منه فهكذا لا يحمد أحد إلا هو.

(ولا يلم لائم إلا نفسه): إذ لا يحصل عليه شر إلا من جهة نفسه: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}[النساء:79].

---

(1) سقط من (أ).

(2) قوله: تعالى سقط من (ب).

(3) سقط من (ب).

(4) في (ب): يحتمل.

(5) سقط من (أ).

(6) في (ب): وكما.

(238/1)

وكلامه عليه السلام في هذه الخطبة قد اشتمل على أنواع من الاستطراد، وهو من علم البديع بمكان محوط رفيع، وهو خروج من كلام إلى كلام آخر، لا مناسبة بين الأول والثاني، فبينا هو يتكلم في الجنة والنار إذ خرج إلى وصف الطريق الجادة، وبينا هو يتكلم في الطريق [إذ] خرج إلى وصف التقوى وإصلاح ذات البين، وبينا هو يتكلم في ذلك إذ خرج إلى الحمد لله والملامة للنفس، وهذا من بديع البلاغة وغريبها، وغرضنا من ذلك هو التنبيه على إحاطته بفنون البلاغة.

(17) ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس أهلاً لذلك

(إن أبغض الخلائق إلى الله تعالى رجلان): البغض من جهة الله تعالى إنما يكون حقيقته(1) إنزال المضار بالمبغوض لاغير،كما أن المحبة من جهته إنما هي إرادة إنزال المنافع بالمحبوب، والمحبة له هي إرادة الطاعات لوجهه وإخلاصها له، والبغض له يكون هو ملابسة المعاصي وإتيان المحظورات التي نهى عنها، فإذا قيل: فلان يبغض الله، فالغرض به إتيان معاصيه التي حظرها ونهى عنها.

(رجل وكله الله إلى نفسه): أي أحوجه إليها، وتركه عن الإعانة بالألطاف وسائر الاستصلاحات من جهته، من قولهم: فلان وَكَلَة أي يكل أمره على غيره، ومن كانت هذه حاله.

(فهو جائر): بالجيم أي مائل.

(عن قصد السبيل): القصد: العدل، ومعناه عن الطريقة العدلة.

(مشغوف): الشغاف: علاق القلب، يقال: شغفه الحب، أي بلغ شغافه، ومنه قوله تعالى: {قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا}[يوسف:30] أي دخل حبه تحت شغافها.

---

(1) في (أ): إنما يكون حقيقة.

(239/1)

(بكلام بدعة): البدعة: ما ابتدع، وهو ما كان مناقضاً للسنة، وهو الضلالة بعينها، فإن جعلنا الكلام مضافاً إلى البدعة فمعناه بكلام صاحب بدعة أي ضلالة، وإن جعلناه منوناً فمعناه بكلام ذي بدعة، أي ذي ضلالة يضل لأجله من سمعه.

(ودعاء ضلالة): أي وهو مشغوف بدعاء ضلالة، إما بأن يكون داعياً إليها وإما أن يكون مدعواً، وإذا كان على الحال التي وصفها.

(فهو فتنة): محنة، وبلوى.

(لمن افتتن به): لمن أراد الزيغ والضلال عن الحق بسببه ومن أجله.

(ضال): من قولهم: ضل عن الطريق إذا مال عنها، ولم يصبها، ومنه قوله تعالى: {وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}[المائدة:77].

(عن هدي من كان قبله): منحرف عن هدي الأنبياء والأئمة والصالحين من العلماء.

(مضل لمن اقتدى به): من أضلَّه يُضِلُّه إذا أزاله عن الطريق لمن كان متابعاً له.

(في حياته): بقوله وأفعاله التي يشاهدها من كان مقتدياً به.

(وبعد وفاته): بأخباره التي تؤثر عنه، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سنّ سنة سيئة كان عليه(1) وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)) (2).

---

(1) في (أ): له.

(2) الحديث إلى قوله: ((ووزر من عمل بها))، في موسوعة أطراف الحديث النبوي 319/8، وعزاه إلى مصنف ابن أبي شبية 109/3، وهو بلفظ: ((ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))، أخرجه من حديث برقم (415) الإمام أبو طالب في أماليه ص363 بسنده عن جرير بن عبد الله البجلي، ورواه في مسند شمس الأخبار 41/2 في الباب العاشر والمائة وعزاه إلى أبي طالب (وانظر تخريجه فيه).

(240/1)

(حمَّال خطايا غيره): بما كان من إضلاله وإغوائه له، كما قال تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ}[النحل:25]، ولا يحمل إلا على ذلك ليطابق: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[الأنعام:164].

(رهن بخطيئته(1)): أي بما كسبت نفسه من الخطايا، فحاصل كلامه فيما قاله أن من وصف حاله مغرور بكلام البدعة، مشغوف بالدعاء إلى الضلالة، وهذا كثير ما يعرض لأقوام، فإذا وجد واحد منهم كلاماً وحشياً أو تهويلاً في عبارة عول عليه واعتمده واستند إليه، وهذا كم(2) يغتر بما يقرع سمعه من وحشي كلام الفلاسفة وتهويلاتهم كإضافة هذه الآثار إلى الحركات الفلكية بعناية العقول السماوية، وبما يظهر من التفاعل في المواد العنصرية بالوسائط (3)الفلكية، وغير ذلك من التهويلات، ونحو تعبيرهم عن الخالق بالمتحرك(4) وعن الشريعة بالناموس، وعن النبوة بالقوة القدسية، وما شاكله مما ليس وراءه طائل، ولا ثمرة له ولا حاصل، فنعوذ بالله من غلبة الجهل واستحكام الضلالة.

(ورجل قَمَشَ جهلاً): قمش الشيء إذا جمعه من جهات متفرقة.

(مُوضِعٌ): أي مسرع، من قولهم: أوضع الجمل في سيره إذا أسرع فيه.

(في جهّال الأمة): أي أنه أسرع فيهم بالدعاء إلى الضلالة وأنواع كل جهالة، ويحتمل أن يكون موضّع بتشديد الضاد، من قولهم: رجل موضع إذا كان غير كامل الخلق، ومعناه ناقص في خلقه دعاءه في جهال الأمة.

(غارٍ): إما بمعنى غرٌّ أي جاهل ليس له خبرة بالأمور ما يأتي منها وما يذر، وإما غار لغيره مدلس عليه.

(1) في (أ): بخطيته.
(2) في (أ): كما، وفي (ب) كما ثبته.
(3) في (أ): بالرسائط.
(4) في (أ): بالمحرك.

(في أغباش الفتنة): الأغباش: جمع غبش، وهو ما يكون من الظلام آخر الليل، ومراده أنه غر وغار لغيره، ومع ذلك فإنه حاصل في ظلام الفتنة ودجائها.

(عَمٍ): من قولهم: رجل عم إذا كان غير مبصر، والمراد ها هنا إما عمى القلب فلا بصيرة له، وإما عمى العين(1) فلا يبصر بعينه ما هو المعول عليه في الأمور كلها.

(بما في عَقْدِ الهدنة): الهدنة: الاسم من المهادنة، وهي السكون والدعة، ومنه قولهم: هدنة على دجن أي سكون على(2) غل، والمهادنة: المصالحة، ومراده من ذلك هو أن مَنْ هذه حاله فإنه في غطاء عما يوجب الهدنة والمصالحة، وعما يوجب خلافها.

(قد سماه أشباه الناس).: لقبه من لا يشابه الناس إلا في الشبح والصورة الإنسانية، فأما(3) المعاني المحمودة والصفات العالية فلا حظ لهم فيها.

(عالماً): سموه عالماً بزعمهم وجهلاً منهم.

(وليس به): أي ليس بالعالم؛ لأن مَن كانت هذه حاله فليس معدوداً من العلماء ولا محسوباً منهم.

(بكَّر): كل من بادر إلى تحصيل الشيء بسرعة وعجلة، يقال له: بكر، وأبكر، واستبكر.

(فاستكثر): فطلب التكثير.

(من جمع ما لو قلَّ منه خير مما كثر): وهذا صحيح؛ لأن كل ما جمعه فهو جهالات وضلالات، والزيادة من الجهل زيادة من العمى، فلهذا(4) كان نقصانه خيراً من الزيادة فيه.

---

(1) في (ب): العينين.
(2) في (أ): غل غل، وفي (ب) كما أثبته.
(3) في (ب): وأما.
(4) في (ب): ولهذا.

(حتى إذا ارتوى من آجن): حتى ها هنا حرف ابتداء، مثلها في قوله تعالى(1): {حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ}[المؤمنون:64]، والإرتواء هو: الشرب الكامل، والآجن هو: المتغير الريح والطعم من الأمواه، واستعاره ها هنا للإكثار من الجهل.

(وأكثر من غير طائلٍ): ازداد(2) من شيء ليس فيه فائدة، ولا له ثمرة، يقال(3): هذا أمر لا طائل فيه، إذا لم يكن فيه غنى ولا فائدة تعود على صاحبه، ولا يستعمل إلا في النفي كما قاله عليه السلام ها هنا.

(جلس): تمكن في مجلسه.

(بين الناس): والناس من ورائه، ومن خلفه وأمامه محدقون به، يطلبون مثل ما يطلب من العلماء.

(قاضياً): يقضي الخصومات والمسائل المعظلة(4) بزعمه.

(ضامناً): متكفلاً.

(لتخليص): لإبانة الغامض من غيره وإزالة المشتبه.

(ما التبس على غيره): على من هو أوثق منه بحثاً، وأصلب ديانة، وأشد ممارسة للعلوم، وهذا منه تهكم واستهجان لمن وصفنا حاله.

(فإن نزلت به): حدثت وحصلت، من قولهم: نزلت به المنية، ونزلت به الحادثة، وقوله: به أي لاصقته وخالطت قلبه.

(إحدى المبهمات): واحدة من المسائل التي لا يعرف لها باب، أخذاً من قولهم: باب مبهم، إذا كان مغلقاً.

وفي نسخة أخرى: (المهمات) أي الشدائد، من قولهم: أمر مهم إذا كان شديداً صعباً.

(هيَّأ لها): أعد وأصلح من أجلها ومن سببها.

(حشواً من رأيه(5)): والحشو: أضعف الشيء، استعارة له من ضعاف الماشية، فإنها تسمى حشواً لضعفها، استمده من رأيه، وعول عليه، وصار إماماً له.

---

(1) قوله: تعالى سقط من (ب).

(2) في (أ): أراد.

(3) في (ب): فقال.

(4) في (ب): العظلة.

(5) في (ب) وشرح النهج: حشواً رثاً من رأيه

(رثًّا): والرثُّ هو: الشيء البالي، والرثة: ما يسقط من متاع البيت من الأخلاق(1)، استقواه زعماً منه أنه على بصيرة.

(ثم قطع به): فعل الأكياس والأفاضل من أهل البصائر من العلماء.

(فهو من لَبْسِ الشبهات): من ها هنا لابتداء الغاية، والمعنى فهو من اختلاط الأشياء المشتبهة، وارتباكها عليه.

(في مثل نسج العنكبوت): في ضعف أمره، وهو أن رأيه وحكمه مشبه نسج(2) هذه الناسجة، فإنه لا ضعف مثل ضعفه، فإنه ينقطع بتحريك الهواء فضلاً عما وراء ذلك من الأمورالشديدة، فجعل ما ينسجه مثالاً في الضعف لما يحصل من فكرة هذا الجاهل، فمن هذه صفته في عدم البصيرة.

(لا يدري أصاب أم أخطأ): لأن التمييز بين الخطأ والصواب إنما يكون لمن يعرف الصواب فيأتيه، ويعرف الخطأ فيجتنبه، فأما من لا يميز بينهما فهذا الذي وصفنا حاله، فإنه لا يمكنه معرفة واحد منهما بحال، فهو في لبس من أمره.

(إن(3) أصاب): إن قدر الإصابة فيما هو فيه .

(خاف أن يكون قد أخطأ): فهو على إشفاق من أن يكون مخطئاً.

(وإن أخطأ): قدرالخطأ فيما فعل.

(رجا أن يكون قد أصاب): جوز أن تكون الإصابة حاصلة في فعله.

سؤال؛ لِمَ جعل متعلق الخوف الخطأ، وجعل متعلق الرجاء هو الإصابة، وهو في كل واحد منهما على غير قطع ويقين؟

وجوابه؛ هو أن الخوف إنما يكون في الأمور المكروهة، والخطأ من جملتها، والرجاء إنما يكون في الأمور المحبوبة، والصواب من جملتها، ولهذا يقال: أخاف الأسد، وأرجو الفرج، ولا ينعكس الأمر لما قررناه.

(جاهل): قد صارمن جملة الجهّال.

---

(1) الأخلاق: الثياب البالية.

(2) في (ب): بنسج.

(3) في (أ): بأن، وما أثبته من (ب)، وفي شرح النهج: فإن.

(خبّاط جهالات): قد تميز منهم(1) بأن زاد عليهم حتى خبط في كل وادٍ من أودية الجهالة(2).

(عاش): العاشي هو: الذي لا يبصر في الليل لضعف في بصره، واستعاره ها هنا لمن يقدم على الأشياء بغير بصيرة.

(ركّاب عشوات): العشوة: أن تركب أمراً من غير بيان، يقال: أوطاني عشوة أي أمراً ملتبساً، وقد جعلت المبالغة في قوله: ركّاب، على أن معناه أن ركوبه كثير بمنزلة ضرَّاب لمن يكثر ضربه، وفي قوله: عشوات، يعني أنها ليست عشوة واحدة، وإنما هي عشوات كثيرة.

(لم يعض على العلم): يريد أنه ليس علىالحقيقة في أمره في فتواه.

(بضرس قاطع): ببصيرة نافذة، والعض بالضرس من الاستعارات الحسنة.

(يذري الروايات إذراء الريح): ذرت الريح التراب، وأذرته إذا أذهبته وطيرته ذرواً وذرياً، قال الله تعالى: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا}[الذاريات:1] أراد به الريح، والإذراء مصدر أذرت، وذرواً وذرياً مصدران لذرت.

(الهشيم من النبات): المتكسر البالي، ومراده من ذلك أنه ينشرالروايات، ويذيعها كذباً وافتراء وتقولاً كنشر الريح لهشيم النبات ودقاقه ويابسه من غير ورع(3) يَحْجُرُ، ولا بصيرة نافذة، وأبلغ مما ذكرته أنه:

(لا مَلِيءٌ والله بإصدار ما ورد عليه[ولا هو أهل لما فوض إليه](4)): الْمَلِيءُ: الحقيق بالشيء، يقال: فلان مَلِيء بكذا، إذا كان حقيقاً به، والإصدار هو: الرجوع، يقال: أصدرته فصدر أي أرجعته فرجع، ومراده من ذلك أنه لجهله(5) ليس حقيقاً بأن يرجع ما ورد عليه من الفتاوى على وجهها لما هو عليه من الغباوة.

---

(1) في (أ): عملهم، وفي (ب) كما أثبته.

(2) في (أ): الجهال، وما أثبته من (ب).

(3) في (ب): وزع.

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): بجهله.

(245/1)

(لا يحسب العلم في شيء مما أنكره): حسَب الشيء بفتح العين يحسُبه بضمها، إذا عدَّه وقدَّره، وحَسِبَه بكسرها يحسَبه بكسرها وفتحها إذا ظنَّه، قال الله تعالى: {فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ}[إبراهيم:47] بالكسر والفتح جميعاً، وسماعنا فيه بالضم هاهنا، ومراده أنه لم يقدر جهله وتهالكه في الإعجاب

بنفسه، لايعد ما أنكره علماً بل يعتقد أن ما معه هو العلم بعينه وأن ما عداه جهل.

(ولا يرى أن من وراء ما بلغه منه مذهباً لغيره): إذا فتحت حرف المضارعة من يرى فهو يعني يعلم، وإن ضممتها فهو بمعنى يظن، والمعنيان متقاربان، والمعنى فيه هو أنه [لايعلم و](1) لا يغلب على ظنه أن من وراء ما يبلغه ويصل إليه رأياً لغيره قد سبق إليه فيقطع برأيه اعتماداً عليه، وغرض أمير المؤمنين تعويله على رأي نفسه، وترك الالتفات إلى ما سواه، وهذا إنما يكون منكراً على أحد وجهين:

أما أولاً: فبأن تكون المسألة اجتهادية، فيوجب علىالناس التزام قوله جهلاً منه، والمسألة خلافية وهو ظاهر كلامه، ولهذا قال: إن من وراء ما بلغه مذهباً لغيره.

وأما ثانياً: فبأن يكون خلاف ما قاله قد وقع عليه الإجماع، فتكون فتواه بعد ذلك(2) خطأ لمخالفته للإجماع القاطع، فالإنكار عليه لا يليق إلا على ما ذكرناه.

(وإن أظلم عليه أمر اكتتم به): كتم الشيء وأكتمه إذا أضمره وستره، يقول: إذا وقع في معضلة، وانسدت عليه حميع مسالكها أضمرها في نفسه، ولم يذاكر بها العلماء ولم يطلب فيها وجه الحق من جهة غيره، وإنما أضمرها.

____

(1) سقط من (أ).

(2) في (ب): فيكون فتواه بذلك.

(246/1)

(لما يعلم من جهل نفسه): لأن جهله بوجهها وجهله بمعرفة نفسه، هو ضم جهل إلى جهل، فلو جهل وجهها وعرف حال نفسه في القصور عن إدراكها وفزع إلى من هو أفضل منه في حلها لكان قد سلم من أحد الجهلين.

(تصرخ من جور قضائه الدماء): الصراخ هو: الصوت، من جوره: من حيفه وظلمه، أي من أجل جور قضائه الدماء إما بالزيادة فيكون ظلماً، وإما بالنقصان فيكون فيه إهدار للدماء وإبطال لحقها.

(وتعج منه المواريث إلى الله): العجيج: رفع الصوت، وهو أبلغ من الصراخ، وعجيجها إنما يكون بإعطاء من لا يستحقها أو بحرمان من يستحقها، وهذا أنهى(1) ما ذكره من الإنكار على مسألة قد وقع فيها الإجماع ثم حكم بخلافه، وإما أن تكون مسألة اجتهادية، وليس أهلاً للاجتهاد، ولا حاز منصبه فعلى أحد هذين الوجهين يتوجه إنكار حكمه، وإبطاله(2)، إسناد الصراخ إلى الدماء، وإسناد العجيج إلى المواريث واد من أودية الاستعارة، والغرض المبالغة في حيفه في المواريث والدماء، ومن بليغ الاستعارة قول ابن المعتز(3) يمدح امرأة:

أثمرتْ أغصانُ رَاحَتِهَا .... لِجُنَاةِ الحسنِ عناباً

يريد أن أنامل هذه التي هي كالأغصان أثمرت لطالبي الحسن شبه العناب من أطرافها.

ومنه قوله:

إذ أصبحت بيد الشمال زِمَامها .... فهذا يدَّعي أنْ للشمالِ يدا

---

(1) في (أ): إنما، وفي (ب) أنهى، وما أثبته من (ب).

(2) في (أ): وإبطال، وفي (ب) ما أثبته.

(3) هو: عبد الله بن محمد المعتز ابن المتوكل ابن المعتصم العباسي، أبو العباس [247-296هـ]، الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، وصنَّف كتباً منها: الزهر والرياض، والبديع وغيرهما (انظر الأعلام 119،118/4).

(247/1)

وهو الريح، وأن للسحابة زماماً، وغير ذلك من بديع الاستعارة وغريبها.

(من معشر(1)): أي هذا الذي قمش جهلاً.

(يعيشون جّهالاً): لا بصيرة لهم في حياتهم بالعلم.

(ويموتون ضُلاَّلاً): عن الحق بزيغهم عنه، وإضلالهم لغيرهم بتلبيسهم عليه وجه الصواب.

(ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي عليهم حق تلاوته): بار المتاع يبور بوراً إذا كسد، وفي الحديث: ((نعوذ بالله من بوار الأيم)) (2) يريد أن هؤلاء يكون كتاب الله بينهم كالسلعة البائرة التي لا يريدها أحد؛ لكثرة إغفالهم واطراحهم لأحكامه وعلومه.

(ولا سلعة أنفق بيعاً، ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرِّف عن مواضعه): يريد أنهم يعرضون عند تلاوة الكتاب، وإظهار أحكامه، ويقبلون إذا غُيِّر عن مواضعه بالتأويلات الكاذبة والتخييلات الباطلة التي توافق آراءهم وتطمئن بها قلوبهم، وتكون فسحة لهم فيما هم فيه من ارتكاب الفواحش، والانهماك في اللذات المحرمة.

(و(3)لا عندهم أنكر من المعروف): إذ لا يعرفونه بفعله، ولا يأمرون به فهو منكر عندهم.

(ولا أعرف من المنكر): لكثرة وقوعهم فيه، وتلبسهم به، وأمرهم به فلا ينكرونه لأنسهم به، وفي كلامه هذا هزٌّ للأعطاف، وتحريك للهمم في إدراك العلم وتحصيل البصائر النافذة، وتحذير عن الفتوى بغير بصيرة.

---

(1) في النهج: إلى الله أشكو من معشر.

(2) النهاية لابن الأثير 161/1.
(3) الواو، زيادة في شرح النهج.

---

(18) ومن كلام له [عليه السلام](1) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

الفتوى والفتيا مصدران، كلاهما من الياء؛ لأن(2) فُعلى بضم الفاء تبقى ياؤها من غير قلب كالقضاء من قضيت، وفَعلى بفتح الفاء تقلب ياؤها واواً كالدعوى من دعيت، فلهذا تقول: الفتيا فتبقيها ياءاً على حالها، وتقول: الفتوى فتقلبها واواً كما ذكرناه فرقاً بينهما.

(ترد على أحدهم القضية في حكم): واحد:

(من(3) الأحكام فيحكم فيها برأيه): أراد أنه إذا نزلت بأحدهم إحدى النوازل واحتيج إلى معرفة حكمها، فأعمل فيها رأيه، وراجع في حكمها خاطره، ثم حكم فيها بحكم.

(ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره): ثم يستفتي ويطلب فيها رأي غيره كما طلب منه.

(فيحكم فيها بخلاف قوله): بحيث لا يجتمعان على حكم واحد فيها.

(ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم): أراد ثم تعرض تلك القضية بعينها على الإمام، لأنه هو الغاية في ذلك كله، من حيث كان بيده الحل والعقد والأمر والنهي والإثبات والنفي، وهذه منه حكاية لحالهم في الفتوى وتعجب من حالهم لما كان على هذه الصفة.

(فيصوِّب آراءهم جميعاً(5)): فلا ينكر على أحد منهم مقالته، ولا ينبِّهه على خطاءه.

(وإلههم واحد): فكيف يختلفون في حكمه من تحليل أو تحريم.

(ونبيهم واحد): فكيف يختلفون في شرعه، وقد ذم الاختلاف إليهم، وفهموا قبحه من جهته.

(وكتابهم(4) واحد): فكيف يختلفون في معناه.

واعلم: أن إنكاره هذا إنما يكون على أحد وجوه ثلاثة:

---

(1) زيادة في شرح النهج.
(2) في (ب): لكن.
(3) قوله: من، سقط من (ب).
(4) في (ب): فيصوب فيها آراءهم جميعاً.
(5) في (ب): وكتابه.

أولها: أن تكون هذه المسألة التي فرض وقوع الخلاف فيها بين الإمام والقضاة فيها حكم قاطع ثم اختلفوا فيه، وإذ كان الأمر فيها كما قلناه فالحق فيها واحد وما عداه خطأ، فيكون تصويب الإمام لهم خطأ، واختلافهم فيها أيضاً خطأ.

وثانيها: أن يكون الإمام وقضاته ناقصين عن مرتبة الاجتهاد كلهم، والمسألة اجتهادية، لكنهم ليسوا أهلاً للاجتهاد، فهم إذا حكموا فيها برأيهم فهو خطأ، وإذا صوّبهم الإمام فهو خطأ أيضاً لقصورهم عن ذلك.

وثالثها: أن تكون المسألة اجتهادية، ويكون مذهب أمير المؤمنين أن الحق في المسائل الاجتهادية واحد كا لمسائل القاطعة، والوجهان الأولان اللذان عليهما التعويل في تأويل كلامه هاهنا؛ فإن القول بأن الحق واحد في المسائل المجتهدة ليس مأثوراً عنه، ولا حكاه أحد من أئمتنا " عنه، ولا أثره عنه أحد من العلماء، ولو كان لنقله الأصوليون [فيما نقلوه](1) من(2) المسائل الخلافية الأصولية، وكيف يقال: بأنه مذهب له، وقد كانت مجالس الاشتوار للصحابة رضي الله عنهم في الأقضية والأحكام والفتاوى تفترق بهم على الاختلاف فيما بينهم في هذه الأشياء من غير نكير ولا ذم، ومرة يخالفهم أمير المؤمنين، ومرة يوافقهم، ولم يسمع من(3) أحد منهم إنكار على صاحبه فيما ذهب إليه ولا ذم له، بل يعتذرون [في](4) المخالفة بأن يقولوا: هذا رأيي وهذا رأيك، فعلى هذا يكون تأويل كلامه فيما ذكره من اختلاف الفتوى.

---

(1) سقط من (ب).

(2) في (ب): في.

(3) في (ب): عن.

(4) سقط من (أ).

(أفأمرهم الله بالاختلاف فأطاعوه! [أم نهاهم عنه فعصوه](1)): أراد فكان اختلافهم الواقع عن أمر من جهة الله تعالى إذا وقع كانوا ممتثلين لأمره كسائر الأوامر الشرعية؟ وهذا الاستفهام وارد على جهة الإنكار.

(أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه!): أراد أو كان سبب الخلاف هو أن الدين لم(2) يتم أمره فوكل بعضه إلى رأيهم فأتموه؟

(أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا، وعليه أن يرضى!): يريد أو شاركوه في الإلهية ومعرفة المصلحة، فلهم أن يقولوا من جهة أنفسهم لما عرفوا المصلحة، وعليه أن يرضى بأقوالهم لما كان كأحدهم؟

(أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول [صلى الله عليه وآله](3) عن تبليغه وأدائه؟): فلأ جل هذا استغنى بهم في إبلاغهم(4)، فإذا كانت الاحتمالات هذه لا وجه لها، ولا يمكن حصول واحد منها بطل الاختلاف في الدين، ولن يكون الحمل مستقيماً إلا على ما ذكرناه وتأولناه، ثم أورد آيات من القرآن مستدلاً بها على عدم الاختلاف في القرآن، كقوله تعالى(5): ({مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ})[الأنعام: 38]: ووجه الاستدلال بها أنا نقول: إذا كان القرآن مشتملاً على كل شيء في البيان فمن أين يقع الخلاف؟!

---

(1) سقط من (أ)، وهو في (ب) وفي شرح النهج.

(2) في (أ): لايتم، وفي (ب): لم يتم، وما أثبته من (ب).

(3) زيادة في النهج.

(4) في (ب): إبلاغه.

(5) في شرح النهج: والله سبحانه يقول: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} وفيه تبيان كل شيء.

(251/1)

وقوله تعالى: ({تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ})[النحل:89] وإذا كان موضحاً لجميع الأشياء استحال وقوع الخلاف فيه لأن الاختلاف أمارة الاضطراب والارتباك، وهو مناقض لكونه بياناً فيجب نفي الخلاف بدلالته.

وقوله تعالى(1): ({وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيرًا})[النساء: 82]: ووجه الدلالة من هذه الآية هو أن ظاهرها يؤذن بأنه لو كان من جهة غير الله لكان فيه الاختلاف، وقد تقرر بالبرهان القاطع أنه من جهة الله تعالى فيجب بطلان الاختلاف فيه، وهذا هو مقصودنا، ويجب حمل ما ذكره عليه السلام في ذم الاختلاف على ما كان فيه مخالفة للأدلة القاطعة، فأما ماعدا ذلك [من] (2) وقوع الاختلاف في المسائل الاجتهادية فلا وجه للإنكار على(3) الاختلاف فيها بحال، لما أوضحناه، من أنه عليه السلام قد خالف وخولف في المسائل الاجتهادية، ولم ينكر على الصحابة فيما خالفوه ولا أنكروا عليه، ولهذا قال: (اجتمع رأيي ورأي عمر على تحريم بيع أمهات الأولاد، وأنا الآن أرى بيعهنَّ)(4) من غير نكير لأحدهما على الآخر، وهكذا القول في سائر الصحابة، فإن الاجتهاد فيهم مشتهر من غير نكير ولا مخالفة، وتقرير قاعدة القياس، والرد على منكريه، قد ذكرناه ونصرناه في الكتب الأصولية، وأوردنا مقالتهم في ذلك.

(1) قبله في شرح النهج: (وذكر أن الكتاب يصدِّق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً}.

(2) سقط من (أ).

(3) في (أ): في.

(4) انظر الرواية ومناقشة ذلك في كتاب أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، انظر ذلك في كتاب البيوع، وكتاب أصول الأحكام تحت الطبع بتحقيق الأستاذ عبد الله بن حمود العزي.

(252/1)

(وإن القرآن ظاهره(1) أنيق): الأنيق: المعجب، يقال: أنق الشيء يأنق أنقاً، إذا أعجب، وإنما كان ظاهره(2) معجباً لما فيه من الدلالة على الأسرار الدقيقة، والمعاني المعجبة، التي لا تزال غضة طرية على وجه الدهر باستنباط العلماء، وأهل الفطانة في كل زمان.

(وباطنه عميق): بئر عميق إذا كان قعرها بعيداً، ومراده أن كل ما يستخرج من بواطن القرآن وأسراره فإنه بعيد غوره لا يستخرج إلا بالقرائح الذكية والفطن الألمعية.

(لا تفنى عجائبه): فني الشيء إذا عدم وذهب، أي لا تزول عجائبه.

(ولا تنقضي غرائبه): تقضَّى الشيء إذا زال، فغرائبه لا زاول لها بحال.

(ولا تكشف الظلمات إلا به): كما يستعار النور للدلالة والحجة فقد تستعار الظلمة للجهل والبدعة، ومراده أن كل مجهول من الأحكام التي تضمنها لا ينكشف عماه إلا بوساطته، ولا يرفع حجابه إلا بدلالته.

(1) في (أ): ظاهر، وفي (ب) كما أثبته.

(2) في (أ): ظاهراً، وما أثبته من (ب).

(253/1)

---

(19) ومن كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس(1)، وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث [فيه](2) فقال له: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك. فخفض بصره إليه: أي قبضه من التطلع إليه تصغيراً من قدره وحقارة له، ثم قال له:

(وما يدريك ما عليَّ ممّا لي): أراد أن قوله: هذه عليك لا لك، إنما هو كلام من يميز بين الأمور ويتفطن لها ببصيرة نافذة، ويعض على العلم بضرس قاطع، فأما من هو معدود في الأغمار وفي اختلالات(3) أهل الجهل، دائم السقوط والعثار.

(عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين): اللعن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعنة هي الاسم، والمصدر منه اللعن، كما قال تعالى في الاسم: {وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ} [الحجر: 35] وقال في المصدر: {وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} [الأحزاب: 68] إنما أنت.

(حائك ابن حائك!): أراد بالحائك هاهنا النمام الذي يحمل الكلام بين الخلق لإدخال البغضاء.

(منافق ابن كافر!): يريد أنك تظهر الإسلام من لسانك، وباطنك مشتمل على خلافه، وأبوك أيضاً كافر لنعمة الله تعالى بما يظهر منه من المخالفة في الدين، أو أراد أنه كافر حقيقة لاحتمال الردة في حاله.

(والله لقد أسرك الإسلام مرة والكفر أخرى(4)!): يريد أنه قد أسر في الكفر مرة وفي الإسلام مرة أخرى، وأخذك الكفار والمسلمون إلى أيديهم، وكنت فيئًا لهم وطعمة لرماحهم.

---

(1) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أبو محمد، أمير كندة، المتوفى سنة 41هـ، قال في (أعيان الشيعة): أعان على قتل أمير المؤمنين، وكاتب معاوية في خلافة الحسن وابنته جعدة سمّت الحسن، وابنه محمد أعان على قتل مسلم وهانئ، وحضر قتل الحسين مع ابن سعد، (يا لها من مناقب!)، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: وكان الأشعث من المنافقين في خلافة علي عليه السلام، وهو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان عبد الله بن أُبي بن سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه. (انظر معجم رجال الاعتبار ص52، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 297/1).

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) في (أ): وفي خيالات الجهل، وفي (ب) كما أثبته.

(4) في شرح النهج: والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى.

(فما فداك(1) من واحد منهما مالك ولا حسبك!): يريد أنه بعد ما أسره ما استخلصه من أيديهم مال فيطمع فيه، ولا حسب فيهاب ويخاف سطوته؛ لأن الأسير في العادة إنما يطلق لأحد [هذين] (2) الأمرين، وما فيك واحد منهما، وما أطلقت بعد الأسر إلا مَنًّا عليك بجز الناصية، إذ لا يرجى منك(3) واحد منهما.

(وإن امرأً دلَّ على قومه السيف): يعني أعان عليهم فتك الأعداء، بأن دلَّهم حتى قتلوهم بالسيف(4).
(وساق إليهم الحتف): الحتف: الموت، وأراد بما ذكره [في ذلك] (5) حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد غرَّ فيه قومه، حتى أوقع يوم اليمامة فيهم خالد وقعة عظيمة، وخدعهم، ومكر بهم(6).
(لخليق(7) أن يمقته الأقرب): فلان خليق بكذا إذا كان حقيقاً به.
وفي نسخة أخرى: (لحري) والحري بالشيء هو الأحق به، والمقت: البغض، فيبغضه القريب بخدعه(8) ومكره.
(ولا يأمنه الأبعد): لإساءته إلى قريبه.

---

(1) في النهج وفي (ب): فما فداك، كما أثبته، وفي (أ): فما داك.
(2) سقط من (أ).
(3) قوله: منك سقط من (ب).
(4) نص العبارة من أولها في (أ): يعني أعان عليهم الأعداء بأن دلهم فيلزمهم بالسيف، وفيها تحريف، والصواب ما أثبته من (ب).
(5) سقط من (ب).
(6) الحديث الذي ذكره المؤلف عليه السلام هنا للأشعث بن قيس مع خالد بن الوليد يوم اليمامة، ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة، وهناك رواية أخرى في ذلك انظرها في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد1/294-296، وانظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده رحمه الله ص112، طبعة دار البلاغة -بيروت -لبنان- الطبعة الثانية 1413هم.
(7) في شرح النهج: لحري.
(8) في (ب): لخدعه.

(255/1)

سؤال؛ لمَ أضاف المقت إلى الأقرب، وأضاف عدم الأمان إلى الأبعد، ولم يعكس الأمر في ذلك؟
وجوابه؛ هو أن البغض أمر خاص، وهو إنما يكون لمن تعرف خلائقه في الرداءة فلهذا خصه بالقريب، وأما الأمان فهو أمرعام، وقد يكون حاصلاً في حق من لا يعرف حاله، فلهذا خصه بالأبعد.

(20) ومن خطبة له عليه السلام

(فإنكم لو قد(1) عاينتم ما قد عاين من مات منكم): المعاينة من رؤية العين، كالمناصرة من النصرة(2)، أراد أنكم لو شاهدتم ما شاهده الأموات من رؤ ية الملائكة، وهول الموت، وتحقق الأحوال كلها، والتحفظ على الأعمال.
(لجزعتم): لقلَّ صبركم عن احتمالها.
(وولهتم(3)): الوله: الفزع، ولفزعتم مما ترون من شدة الأهوال.
(وسمعتم وأطعتم): أجبتم إلى تحصيل الواجبات، وترك المحرمات بالسمع والطاعة لمشاهدة الأمور العظيمة الموجبة للإلجاء، وفي ذلك بطلان التكليف.
(ولكن محجوب عنكم ما عاينوا(4)): من الأهوال لما يريد الله من بقاء التكليف عليكم، ولمصلحة استأثر الله بعلمها، والإحاطة بها.
(وقريب ما يطرح الحجاب): بهجوم(5) الموت، ومعاينة ما عاينوا، ثم إن هذه الكلمة أعني قوله: وقريب ما يطرح الحجاب، مع اختصاصها بالجزالة في اللفظ، والبلاغة في المعنى لبالغة في الموعظة والزجر كل غاية، و(ما) إما زائدة، وإما مصدرية.
(ولقد بُصِّرتم): بما نصب لكم من الأدلة، وتخويف الرسل من عقاب الله باقتحام محارمه.
(إن أبصرتم): إن كان لكم من أنفسكم زاجر.
(وأُسمعتم): الوعيدات كلها، والقوارع العظيمة.

---

(1) قد، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(2) في (أ): النصر، وما أثبته من (ب).
(3) في شرح النهج: ووهلتم.
(4) في النهج: ما قد عاينوا.
(5) في (أ): بهجو من، وفي (ب) ما أثبته.

(256/1)

(إن سمعتم): إن أصغيتم آذانكم لها، ونجعت فيكم.
(وهُديتم): بنصب الأدلة وإيضاح الحجج، وبما ركب في عقولكم من اجتناب ما يردي، وحسن اتباع ما ينجي.
(إن اهتديتم): إن ظهر [لكم](1) على أنفسكم الهداية بتأدية الواجب عليكم، والانكفاف عن المحرمات.
(لحق أقول لكم(2)): أنطق بالحق الذي لاوصم(3) فيه، وبالجد الذي لا هزل يتطرق إليه، ويحتمل

أن يكون قسماً بصدق قوله، ولهذا جاء جوابه باللام(4).

(لقد جاهرتكم العبر): يريد أعلنت، من قولك: جهرالرجل بكلامه إذا أعلنه، أو أبدأت لكم حالها من قولهم: جاهربالعداوة إذا أبداها فهي معلنة أمرها[لهم](5)، مبدية أحوالها في الوعظ والتذكير.

(وزجرتم): منعتم عن ارتكاب المحارم.

(بما فيه مزدجر): بما فيه نهاية الازدجار، وغاية الاتعاظ من القوارع والتخويفات على ألسنة الرسل والعلماء.

(وما يبلغ عن الله بعد رسل(6) السماء إلا البشر): أراد أنه لا يبلغ عن الله تعالى ما فيه مصالح العباد إلا الملائكة أو الرسل(7)، فأما الملائكة فهم مخصوصون بإبلاغ ذلك إلى الأنبياء، والأنبياء يبلغونه إلى الخلق فهم مبلغون عن الله تعالى بواسطة الملائكة، فلهذا قال: لا يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر، وهو يشير إلى نفسه أيضاً فإنه مُبَلِّغ عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، ما حمل من هذه المواعظ.

---

(1) سقط من (أ).

(2) في شرح النهج: وبحق أقول لكم.

(3) في (ب): لاوهم.

(4) في (أ): بالأمر، وهو تحريف.

(5) سقط من (أ).

(6) في نسخة: بعد رسول الله [هامش في (ب)].

(7) في (ب): والرسل.

(257/1)

---

(21) ومن خطبة له عليه السلام

(فإن الغاية أمامكم): الغاية هي: منقطع الشيء وحدُّه، وأراد بذلك الجنة والنار، فإنهما الغايتان لكل مخلوق، فإن مصيره لا محالة [إما](1) إلى جنة وإما إلى نار، كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم(2): ((وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أوالنار))، وهما أمام لكل واحد(3) يأمُّهما(4).

(وإن وراءكم الساعة): أراد أن الجنة والنار قائدتان لكم بالأزمة، وأن الساعة سائقة لكم من ورائكم.

(تحدوكم): مأخوذ من حدو الإبل وهو سوقها، وقد حدوت الإبل أحدوها حدواً إذا سقتها، ويقال: لريح(5) الشمال حَدْوَاء؛ لأنها تحدو السحاب أي تسوقه، فمن كان مقوداً بزمامه، مسوقاً من خلفه فخليق بأن يكون مسرعاً به، واصلاً إلى غايته.

(تخففوا تلحقوا): معناه: ليكن همكم التخفف من الأوزار، وطرح أثقال الدنيا تلحقوا بأهل النجاة، فإن الناجي من سبق، وإن الهالك من تأخر.

(فإنما ينتظر بأولكم آخركم): يريد أن من سبق فهو في مهلة الانتظار لمن تأخر عنه حتى يكمل الكل، فلينظر الناظر ما اشتملت عليه هذه الخطبة من الكلام[الذي] (6) قصرت أطرافه، وطالت به بلاغته، وقلَّت كلماته، وكثرت معانيه، وعظمت فصاحته، حتى مال راجحاً بكل كلام، وصار إماماً له وأي إمام(7).

---

(1) سقط من (أ).

(2) في (أ): عليه السلام.

(3) في (ب): أحد.

(4) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 81/9، وعزاه إلى الدر المنثور للسيوطي 222/6، وتفسير القرطبي 106/18.

(5) في (أ): الريح

(6) سقط من (أ).

(7) قوله: وأي إمام، هو في(أ) كلمات غير واضحة، رسمها الناسخ هكذا: وأي اصمارف، وفيها غموض كما ترى، وما أثبته من (ب).

(258/1)

---

(22) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أصحاب الجمل

(ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه): ذمر أي حث أعوانه واستلحقهم.

(واستجلب خيله(1)): أي طلب الإجلاب بها والانتصار، وما قصده بذلك إلا.

(ليعود): ليرجع.

(الجور): الظلم، وإنما سمي جوراً؛ لأنه يعدل به عن طريق العدل والإنصاف.

(إلى أوطانه): إلى أماكنه التي يستوطنها، ويجعلها مقاماً له.

(ويرجع الباطل إلى نصابه): النصاب هو: الأصل، يريد ليعود إلى أصله ومستقره من الإغواء والدعاء إلى الضلالة.

(والله ما أنكروا عليّ منكراً): أي ما وجدوا منكراً فينكرونه، وما غرضهم إلا البغي والصد عن الدين.

(ولا جعلوا بيني وبينهم نِصفاً): النصف بكسر الفاء هو الاسم من الانتصاف، والمصدر هو الإنصاف، أي ما أرادوا الانتصاف من نفوسهم فيقصدون أخذ الحق وإعطاءه.

(وإنهم ليطلبون حقاً): وهو المطالبة [لقتلة] (2)عثمان بدمه(3):
(هم تركوه): تضييعاً لحقه، وإهمالاً لما يلزم من الذب عنه.
(ودماً هم سفكوه): يعتلون عليَّ بدم عثمان، وهم على الحقيقة سفكوه بالخذلان له، والتأليب(4) عليه، وهو يخاطب بذلك طلحة والزبير، لأنهما تأخرا عن نصرته عند حصره وألبّا عليه.
(فلئن كنت شريكهم فيه): أراد إن كنت قد(5) شاركتهم في قتله وكان رأيي معهم في ذلك.
(فإن لهم لنصيبهم منه): فنحن شركاء في ذلك، فما بالهم يضيفون قتله إليّ على انفرادي، وهم قد شاركوني فيه.

---

(1) في شرح النهج: جلبه.
(2) سقط من (أ).
(3) في (ب): منهم.
(4) في (ب): والتألب.
(5) قوله: قد سقط من (أ).

(259/1)

(وإن(1) كانوا ولوه دوني؛ فما التبعة إلا عندهم): وإن كانوا استبدوا هم بقتله والدعاء إلى ذلك والتجميع [عليه](2) فما التبعة من الإثم وسائر التبعات في القتل إلا مستقره عندهم دوني، وعلى كلا الحالين فلم ينصفوا من نفوسهم الحق في ذلك، ولا أدلوا بحجة قاطعة يعذرون فيها، ولا قصدوا بذلك إلا أنهم.
(يرتضعون أماً قد فطمت): الأم إذا فطمت ولدها تقلص ما في ثديها من اللبن وزال، وأراد بذلك أنهم يجعلون قتل عثمان وطلب ثأره بزعمهم وصلة وذريعة إلى ما لايصلون إليه أبداً، وطلب ارتضاع الأم بعد فطامها، جعله استعارة لاستحالة ما طلبوه من ذلك.
(ويحيون بدعة قد أميتت): أراد بإحياء البدعة الميتة هو أن أهل الجاهلية كانوا يأخذون البريء بذنب المجرم، فمطالبتهم لي بدم عثمان إحياء لهذه(3) البدعة وقد أماتها الله تعالى، وأزال آثارها بالإسلام.
(وإن أعظم حججهم(4)): فيما يأتون به، ويدلون من أباطيلهم.
(لعلى أنفسهم): يريدون بها الانتصار، وهي في الحقيقة نصرة عليهم؛ لأن الحجة التي يأتي بها المحتج تقريراً لمذهبه وإثباتاً له، ثم تكون حجة عليه فهذا هو الغاية في إدحاضه، وإبطال رونقه، وإذهاب جماله.
(يا خيبة الداعي!): خاب الرجل إذا لم ينل مطلوبه، والخيبة المصدر، وتارة تكون مرفوعة على

الابتداء كقولك: خيبة لزيد، وتارة تكون منصوبة على المصدرية(5)، متصلاً بها حرف النداء كقولك: يا خيبة زيد ، ويا خيبة الداعي، والمنادى محذوف ، أي ياقومي، كقوله تعالى: {يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ}[يس: 30] وغير مصدر كقولك: خيبة لزيد، كقولهم: صدعاً له وعقراً.

---

(1) في النهج: ولئن.
(2) سقط من (أ).
(3) في (أ): أحياء هذه.
(4) في شرح النهج: حجتهم.
(5) في (ب): المصدر.

(260/1)

قال الكسائي: ويقال: وقعوا في وادٍ يُخُيّب بضم الياء والخاء المعجمة أي في الباطل(1)، وأراد بالداعي معاوية وأهل الشام.

(من دعا!): من الأجلاف وأهل الغباوة الذين لا بصيرة(2) لهم.

(وإلى ما(3) أجيب!): من البدع والضلالات، وإقامة عمود الفتنة، ومن وما استفهام وارد(4) على جهة التعجب، ومن في موضع نصب بدعا، وما في موضع جر بالحرف قبلها.

(وإني لراض(5) بحجة الله عليهم): ببرهانه الذي احتج به عليهم، حيث قال: {اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}[الأنفال: 1] ولا تقوى ولا إصلاح مع البغي والفساد.

(وعلمه فيهم): أراد حكمه، حيث قال: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}[الحجرات: 9] فإن أعطيت هذين الأمرين قبلتهما، لما يكون فيهما من المصلحة.

(فإن أبوا): أي(6) كرهوا ما قلته، وخالفوا أمر الله في ذلك.

(أعطيتهم حدَّ السيف): حدُّ السيف: شباته(7)، وحدُّ الرجل: بأسه، يقول: مالهم عندي بعد الإدبار عما قلته إلا القتل بالسيف (8)، وهو من الكنايات الرفيعة.

(وكفى به شافياً من الباطل): لما فيه من هدم مناره.

---

(1) في لسان العرب 926/1: ووقع في وادٍ تُخُيِّبَ على تُفُعِّلَ بضم التاء والفاء وكسر العين غير مصروف، وهو الباطل.
(2) في (أ): لا نصرة، وما أثبته من (ب).
(3) في النهج: وإلامَ.

(4) في (أ): وأراد.

(5) في (أ): الراضي، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(6) قوله: أي زيادة في (ب).

(7) في (ب): شباة، وشباة كل شيء: حد طرفه، والجمع الشَّبا والشّبوات. (مختار الصحاح ص328).

(8) في (ب): عما قلته إلا حد السيف القتل بالسيف.

(261/1)

(وناصراً للحق!): لما فيه [من](1) إشادة معالمه.

(ومن العجب بعثهم(2) إليَّ أن أبرز للطعان!): من هاهنا دالة على التبعيض، والمعنى أن بعض ما يعجب منه ويكثر منه العجب أنهم أرسلوا [الرسل] (3)، والبعث: الإرسال، قال الله تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ}[البقرة: 213] أي أرسلهم أن أبرز للرماح للطعن.

(وأن أصبر للجلاد): وأن أكره نفسي على الصبر لجلاد السيوف، والمجالدة: هي المضاربة بالسيف، يقال: اجتلد القوم وتجالدوا، إذا فعلوا ذلك.

(هبلتهم الهبول!): الهبول [جمع هبل و] (4) هي: المرأة التي لا يعيش لها ولد، وهبلته أمه إذا ثكلته، وهذا وارد على جهة الدعاء عليهم، أي ثكلتهم أمهاتهم، ويحتمل أن يكون الهبول من أسماء الداهية، وهبلتهم الهبول(5) أي ركبتهم الداهية [من قولهم] (6): هبله(7)اللحم إذا ركبه وعظم فيه.

(لقد كنت): يحتمل في كان أن تكون هي الناقصة، ويكون معناه: لقد كنت على ما أنا عليه من الشدة والبسالة، ويحتمل أن تكون هي التامة، ويكون معناها: لقد وجدت وحصلت(8).

(وما أهدد بالحرب): لشدة ممارستي لها وولوعي بها.

(وما أرهَّب(9) بالضرب): بالصوارم؛ لكثرة(10) اشتياقي إلى الموت، فقد قال في كلام قد شرحناه من قبل: إنه(11) آنس به(12) من الصبي بثدي أمه.

---

(1) سقط من (أ).

(2) في شرح النهج: بعثتهم.

(3) زيادة في (ب).

(4) سقط من (أ).

(5) في (أ): هتلتهم الهتول وهو تصحيف.

(6) سقط من (ب).

(7) في (أ): هتله، وهو تصحيف، وانظر لسان العرب 765/3.

(8) في (ب): ولقد حصلت.

(9) في شرح النهج: ولا أرهب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(10) في (ب): لشدة.

(11) في (أ): إن، وفي (ب) كما أثبته.

(12) في (ب): الموت.

(262/1)

(وإني لعلى يقين من ربي): فأنا مشتاق إلى لقائه.

(وفي غير شبهة من ديني): فأحب الانتقال إليه.

(23) ومن خطبة له عليه السلام، يحض فيها على صلة الرحم

(أما بعد؛ فإن الأمر ينزل(1) من السماء إلى الأرض): أما بعد كلمة يستعملها الفصحاء في الخطب والرسائل، وبعد فيها تستعمل مضافة، كقولك: أما بعد حمد الله، ومقطوعة عن الإضافة كقولك: أما بعد فإن الأمر كذا، والأمر في قوله عليه السلام: إن الأمر ينزل(2) من السماء، فإنه عبارة عن التقدير والقضاء، ونفوذ الحكم والإمضاء من جميع الكائنات(3) في العالم كله، فإنه ينزل من السماء على حسب المصلحة، كما قال تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ}[الذاريات: 22].

(كقطر المطر): القطر: جمع قطرة كتمرة وتمر، وإنما شبهه بالقطر لما فيه من الكثرة، وتراكم العدد وانتشاره.

(إلى كل نفس ما قدِّر لها(4)): المراد يصل إلى كل نفس ما قدر لها، وسبق به العلم في الأزل.

(من زيادة): في أجل أو رزق أو جسم أو غير ذلك مما يكون مصلحة.

(أو نقصان): من هذه الأمور كلها، فإن كل شيء عنده بمقدار معلوم، وأمر مقدر محتوم: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[يس: 12].

(فإذا(5) رأى أحدكم لأخيه غفيرة): الغفيرة: الزيادة والكثرة، والرؤية هاهنا يحتمل أن تكون من رؤية العين، ويحتمل أن تكون من رؤية العلم.

---

(1) في (أ): نزل، وفي (ب) كما أثبته، وكذا في شرح النهج.

(2) في (أ): نزل.

(3) في (أ): الكنايات وما أثبته من (ب) فهو الصحيح.

(4) في شرح النهج: إلى كل نفس بما قسم لها.
(5) في شرح النهج: فإن.

(263/1)

(في أهل أو مال أو نفس(1) فلا يكون(2) له فتنة): أراد أن الواحد إذا رأى لغيره زيادة في النفس بكثرة الأولاد، والزيادة في الأجسام(3) أيضاً بأن تكون كاملة عظيمة، أو زيادة في الأهل بكثرة العشائر والتكثر بالأصهار وسائر القرابات، أو زيادة في الأموال: العقارات، والدور، والحيوانات، وغير ذلك من الأموال، فلا يكون(4) الضمير للأخ فتنة بأن يحسده على ما أوتي، فإن شغله بذلك شغل بما لا فائدة فيه، ولا ثمرة له، مع ما فيه من الوعيد والتعرض للأُثمة من جهة الله تعالى، وذلك يكون على وجهين:

أحدهما: أن يريد وصول تلك النعم بعينها إلى نفسه، وهذا هو الحسد بعينه، فيريد وصولها إليه وزوالها من أخيه، وقد ورد ذم الحسد في كتاب الله تعالى، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله، كقوله صلى الله عليه وآله: ((ما ذئبان ضاريان في زريبة أحدكم بأسرع من الحسد في حسنات المؤمن)) وهو مذموم على كل حال.

وثانيهما: أن يريد مثل ما لأخيه ولا يريد زوالها منه، فهذه هي الغبطة وليست حسداً، ومنه قولهم: اللَّهُمَّ، غَبْطاً ولا هَبْطاً، أي نسألك الغبطة، ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا(5)، وهي محمودة.

(فإن المرء المسلم): السالم في إيمانه عما يشونه(6).

---

(1) في (ب): في مال أو أهل أو نفس.
(2) في (ب): فلا يكونن، وفي شرح النهج: فلا تكوننَّ.
(3) في (ب): بالأجسام.
(4) في (ب): فلايكونن.
(5) انظر مختار الصحاح ص 468، وقوله هنا: (ولا هبطاً، فيه: لا هبطاً)..
(6) في (أ): سوله، هكذا بدون تنقيط، وما أثبته من (ب).

(264/1)

(ما لم يغش دناءة): ما شرطية، وغشي الشيء إذا تلبَّس به واختلط، ومنه قولهم: غشيهم الليل، وقد دنأ الرجل دناءة ودنؤة أي سقط في فعله، والدنيئة: النقيصة، ورجل دنيء إذا كان سافلاً خبيثاً، ومعناه تغشاها، أي يتلبس بها وتكون فعلاً[له] (1).

(تظهر): تكون مكشوفة، من ظهر الشيء إذا كان مكشوفاً.

(فيخشع لها إذا ذكرت): الخشوع: هو الذل والخضوع من أجلها إذا ذكرها ذاكر، يريد بذلك نقصه، وهو بالخاء المعجمة، وروايته بالجيم تصحيف لا معنى له؛ لأن الجشع هو: الحرص، ولا وجه له هاهنا.

(ويُغْرَى بها): غري بالشيء إذا ألصق(2) به، ومنه الغِرَى لإلصاقه بما يغرى به.

(لئام الناس): جمع لائم كقائم وقيام، وهم: سفلة الناس، ونازلوا الهمة منهم.

(كان): هو جواب الشرط.

(كالفالج): الظافر الفائز بفلجه(3).

(الياسر): اليسر، والياسر واحد، وهو: اللاعب بقداح الميسر.

(الذي ينتظر أول فوزة من قداحه): انتظرت فلاناً إذا ترقبته ليأتي، وفاز فلان يفوز فوزاً إذا نجا، والفوز: الهلاك أيضاً، وهو من الأضداد، والفوز إنما يظهر من أجل القداح، ومن هاهنا لابتداء الغاية، مثلها في قوله تعالى: {أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}[قريش: 4].

(توجب له المغنم): وهو النصب المسماة بهذا القداح(4).

(ويرفع عنه بها المغرم): ويزول عنه ويجاوزه بهذه القداح الفاتحة غرم الجزور الذي يحصل بالقداح الآخر.

---

(1) سقط من (أ).

(2) في (ب): لصق به.

(3) في (أ): بعلجه، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من (ب).

(4) في (أ): لهذا القدح.

(265/1)

سؤال؛ هذه منه عليه السلام إشارة إلى قداح الميسر، وأقلامه(1) والاستقسام بها، فلا بد من بيانه وصفته؟

وجوابه؛ هو أن الميسر عبارة عن القمار وهو مصدر من يسره ييسره، واشتقاقه من اليسر؛ لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهوله، والأزلام: جمع زلم كصرد(2) وهو الواحد من القداح، وجملتها عشرة: الفذّ،

والتوءم، والرقيب، والنافس، والحلس، والمسبل(3)، والمعلّى، والمنيح، والسفيح، والوَغْد(4)، لكل واحد من هذه نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء، وقيل: ثمانية وعشرين إلا لثلاثة منها وهي:

---

(1) ألقوا أقلامهم: أجالوا أزلامهم (انظر أساس البلاغة صد: 376).
(2) في النسختين: كصردح، وهو خطأ، والصواب كما أثبته.
(3) في (أ): والممسل، وهو تحريف.
(4) انظر مختار الصحاح ص 494، ولسان العرب 1064/2.

(266/1)

المنيح، والسفيح، والوغد، فللفذ سهم، وللتوءم سهمان، وللرقيب ثلاثة، وللنافس(1) أربعة، وللحلس(2) خمسة، وللمسبل ستة، والمعلى سبعة، يجعلونها في الربابة(3)، وهي خريطة(4) ويضعونها على يدي عدل منهم ثم يخلخلها ويدخل يده، فتخرج باسم كل رجل منهم قدحاً، فمن خرج له قدح من ذوات(5) النصب المقدرة أخذه، ومن خرج له قدح مما لانصيب له لم يأخذ شيئاً، وغرم الجزور كلها بدفع قيمتها، وقولهعليه السلام: توجب له المغنم، إشارة إلى القداح التي لها السهام المقدرة، وقوله: ويرفع عنه المغرم(6)، إشارة إلى القداح التي لا نصيب لها، وهي توجب المغرم وهو دفع قيمة الجزور.

(وكذلك): الإشارة إلى ما تقدم ذكره.

(المرء المسلم البريء من الخيانة): الخالص من الخيانة، وهو ما ذكره من الحسد لأخيه المسلم.

(ينتظر من الله(7) إحدى الحسنيين): يترقب(8) إحدى الخصلتين الحسنيين تثنية الحسنى، كالفضليين تثنية فضلى، يريد أنه يترقب أحد أمرين حسنين من جهة الله تعالى:

(إما داعي): من جهة:

(الله(9)): وهو الموت، والانتقال إلى رحمة الله الواسعة.

(فما عند الله خير وأبقى(10)): من الثواب العظيم والدرجات العالية أفضل وأجزل وأدوم وأكثر استمراراً.

---

(1) في (أ): وللباقين، وهو تحريف.
(2) في (ب): وللجليس، وهو تحريف.
(3) الربابة: سُلْفَةُ – أي جلدة رقيقة– يعصب بها على يد الرجل الذي تدفع إليه الأيسار للقداح.

(لسان العرب 1101/1).

(4) الخريطة بالفتح: وعاء من أدم وغيره تشرج على ما فيها (مختار الصحاح ص173).

(5) في (أ): دون، وهو خطأ.

(6) في (أ): الغرم.

(7) قوله: من الله، زيادة من شرح النهج.

(8) في (ب): يرقب.

(9) في شرح النهج: إما داعي الله.

(10) في شرح النهج: فما عند الله خير له.

(267/1)

(وإما رزق الله): وهو النفع الذي يأتي من جهته.

(فإذا هو ذو أهل): أولاد، وعشيرة.

(ومال): من العقارات، وأنواع الذخائر كلها.

(ومعه دينه): بترك(1) الحسد، والتلبس به.

(وحسبه): أصله، لأن من كان له أصل شريف وحسب فاخر فإنه يأنف عن(2) الحسد والتضمخ برذائله.

(إن المال والبنين حرث الدنيا): متاع الدنيا وزينتها، كما قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ}[آل عمران:14] إلى آخر جملهما(3)، ثم قال بعد ذلك: {مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[آل عمران:14].

(والعمل الصالح حرث الآخرة): فيحصل منه الفوز بالجنة ونجاة نفسه من النار من حرث الآخر ة، ويحصل من حرث الدنيا متاع أيام قلائل، والناس مقيمون، فمنهم من يحرث للدنيا، ومنهم من يحرث للآخرة، كما قال عليه السلام: ((إن للدنيا أبناء، وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة)).

(وقد يجمعهما الله لأقوام): فيعطيهم الدنيا وزينتها، ولا ينقصهم من أجورهم في الآخرة، وكل ذلك مصلحة استأثر الله تعالى بعلمها والإحاطة بها.

(فاحذروا من الله): خافوه، وتحرزوا عن مواقعة سخطه، وملابسة غضبه.

(ما حذَّركم من نفسه): الذي أبلغه(4) إليكم على ألسنة الرسل من جهة نفسه، من القيام بما أوجب وأمر، والكفّ عمَّا نهى [عنه](5)وحذَّر.

(واخشوه خشية ليست بتعذير): عذر في الأمر إذا كان مقصراً فيه، ومراده ها هنا أن يخافوا الله خوفاً لاتقصير فيه من جهتهم، ولا تهاون بحاله، وترك التقصير فيه القيام بحقه.

(1) في (أ): فترك، وما أثبته من (ب).

(2) في (ب): من.

(3) في (ب): إلى آخرها.

(4) في (أ): أبلغ.

(5) سقط من (أ).

(268/1)

(واعملوا في غير رياء ولا سمعة): واعملوا(1) الأعمال الصالحة سراً بينكم وبين الله، ولا تظهروها على أعين الخلق طلباً للرياء، ولا تحدثوا بها بألسنتكم فتكون سمعة.

(فإنه من يعمل لغير الله): وهو أن يقصد به الرياء والسمعة اللتين ذكرهما.

(يَكله الله إلى من عمل له): يجعل ثوابه إلى الناس الذين عمل من أجلهم، والمعنى يكل أمره إلى من لا يقدر على إعطائه الأجر.

(نسأل(2) الله منازل الشهداء): التي أعدها الله تعالى لهم بما كان(3) من استشهادهم في سبيله وصبرهم على ذلك، فإن لهم منازل عند الله لا يستحقها إلا هم.

(ومعايشة السعداء): المعايشة: مفاعلة من العيش، وهي غير مهموزة؛ لأن الياء فيها أصلية، بخلاف رسائل، وإسعاد(4) المعيشة هو تيسيرها وتسهيلها، وهو المراد من قوله تعالى: {وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا}[النحل:75].

(ومرافقة الأنبياء): فإن مرافقة من هذه(5) حاله حظوة عظيمة، ومنزلة رفيعة، أما في الدنيا فيهتدي بهديهم، وأما في الآخرة فالكون معهم في الجنة، وإنما خصَّ الدعاء بهذه الأمورالثلاثة؛ لأن من رزقه الله رزقاً هنيئاً في دنياه من غير كلفة يناله في طلبه، ورافق الأنبياء وكان معهم، ورفعه الله في منازل الشهداء فقد حاز الخير بأسره في الدين والدنيا، وأحرزه بحذافيره في الآخرة والأولى.

(أيها الناس، [إنه](6) لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال): لايزعم جهلاً منه وظناً بخلاف(7) الصواب، وإن أحرز المال، وكان في سعة منه أن ذلك يغنيه.

(1) في (ب): وآتوا.

(2) في (ب): فنسأل.

(3) في (ب): لما قد كان...إلخ.

(4) في (أ): وسعاد، وفي (ب) ما أثبته.

(5) في (ب): هذا.
(6) سقط من (أ).
(7) في (ب): بخلافه.

(269/1)

(عن عشيرته(1)): أهله وبنو عمه الأقربون إليه، وإنما سموا عشيرة أخذاً من التعاشر، وهو: التخالط لاشتباك أنسابهم.

(ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم): أراد منعهم له بالأيدي عمّن أراد البطش به، وبما يكون من ألسنتهم من الدفع لمن أراد ثلم عرضه.

(وهم أعظم الناس حيطة من ورائه): حاطه حيطة وحياطة، إذا كلأه ورعاه، والحيطة مضافة إلى من، والمعنى في ذلك أن القرابة هم(2) أشد الناس رعاية وكلاءة لمن وراءه من الأولاد، وحفظ ما يتعلق به في حال الغيبة والموت؛ لأن قوله: من ورائه يحتمل الأمرين جميعاً.

(وألمهم لشعثه): وأجمعهم لما تفرق من ذلك، والشعث: انتشار الأمر وتفرقه، يقال: لمّ الله شعثك أي جمع أمرك المنتشر.

(وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به): العطف هو: الرجوع، من قولهم: عطفت الناقة على ولدها إذا رجعت لإرضاعه، والنازلة: الواحدة من شدائد الدهر، يقال: نزلت بهم نازلة، إذا أهمهم أمر عظيم، وأراد أنهم أرجع(3) الناس لتفريج ما ينزل عليه من الشدائد والأهوال لمكان الرحم ووشيج القرابة.

(ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس): لسان الصدق يحتمل أن يكون من باب إضافة الموصوف(4) إلى صفته نحو مسجد الجامع على تأويل لسان القول الصدق، فيكون المعنى اللسان الصادق وهو الثناء الحسن والحمد العالي، وعبَّر باللسان عمّا يوجد به كما عبر باليد عمّا يكون فعله باليد، وهي العطية، كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}[مريم:50]، وقوله: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ}[الشعراء:84].

---

(1) في النهج: عترته.
(2) قوله: هم سقط من (أ).
(3) في (ب): كتب فوقها: أرجى.
(4) في (أ): أن يكون بإضافة الموصوف ...إلخ، وفي (ب) كما أثبته.

(خير له من المال يورِّثه غيره): وإنما كان خيراً من المال لأمور ثلاثة:
أما أولاً: فلأن نفع المال عائد إلى غيره بعد موته، ونفع الثناء راجع إليه نفسه.
وأما ثانياً: فلأن المال يزول ويتغير، بخلاف الثناء فإنه لايزول ولا يتغير، ويبقى على وجه الدهر.
وأما ثالثاً: فلأن لسان الصدق لشرفه جعله الله ميراثاً للأنبياء كما حكيناه، والمال لحقارته جعله الله ميراثاً للفراعنة، فلا جرم كان ما قالهعليه السلام حقاً لما قررناه.
(ألا لا يعدلنَّ أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة): [الخصاص](1) والخصاصة: الفقر، قال الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[الحشر: 9] ومراده هو النهي عن العدول عن القرابة إذا رأى بهم خصاصة.
(أن يسدَّها): أن يصلحها، من قولهم: سددت الثلمة إذا أصلحتها.
(بالذي لا يزيده إن أمسكه): بالما ل أو بالنفع الذي لا يزيده غنى إن هو تركه لنفسه.
(ولا ينقصه إن أهلكه): ولا يؤثر في حاله بالنقصان، إذ ما نقص مال من صدقة، إن أهلكه بإعطائه إياهم.
(ومن يقبض يده عن عشيرته): ومن يقبض عطاءه ونعمته؛ لأن اليد عبارة عن النعمة، عن أقاربه وأهل خاصته من أهله.
(فإنما تقبض [منه] (2)عنهم يد واحدة): فحقيقة حاله أنه قبض يده لا غير وهي يد واحدة، وهم إذا قبضوا أيديهم بالتأخر عن نصرته، وإعانته على الأمور، ومرافدتهم له نقصوه وقلّوه.
(وتقبض منهم(3) عنه أيد كثيرة): إذ هم آحاد وأشخاص عدة فلهذا كثرت أيديهم.
(ومن تلن حاشيته): لين الحاشية، جعلها عليه السلام كناية عن حسن الخلق ولين الجانب، كما جعلوا قولهم: فلان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، كناية عن تحيره.

---

(1) سقط من (أ).
(2) سقط من (أ).
(3) قوله: منهم سقط من (أ).

(تستدم(1) من قومه المودة): لأنهم إذا ألفوه بخفض جناحه وسهولة أخلاقه دام الوداد؛ لأن سببه لايزال متجدداً، فلهذا وجب دوامه وبقاؤه، وما أحسن ما ضمَّنه هذه الخطبة من الحكم الوافية، وحشاه في أثنائها من المواعظ الشافية، وما يعقلها إلا العالمون.

(24) ومن خطبة له عليه السلام

(ولعمري ماعليَّ من قتال من خالف الحق، وخابط الغي): العمر إذا كان مجرداً عن اللام جاز في عينه الفتح والضم، تقول: عَمُرك طويل، وعُمرك طويل، فإذا أدخلت اللام فليس فيها إلا الفتح، فلهذا تقول: لعمرك ولعمري، وهو مبتدأ محذوف الخبر أي لعمرك قسمي، ما عليَّ من حرج في قتال من خالف الحق بفسق وتمرد، وخابط الغي بجهل وضلالة، والخابط هو: الذي يسير على غير الجادة.
(من إدهان ولا إيهان): الإدهان هو: المصانعة، والإيهان هو: الضعف، وقوله: من إدهان ولا إيهان، بعد قوله: على من خالف الحق وخابط الغي من باب اللف والنشر في علم البديع، والمعنى في ذلك ما علي من قتال من خالف الحق من إدهان أي مصانعة، ولا على من خابط الغي من إيهان أي ضعف، فلف أولاً ثم نشر ثانياً بإلحاق كل واحد ما يليق به، أي لا يمنعني من(2) قتال مخالفي الحق المصانعة له في ذلك، ولا يمنعني من قتال الخابط ضعفي عنه.
(فاتقوا الله عباد الله): فمن حق من كان متسماً(3) بسمة العبودية أن يكون ملازماً لتقوى سيده ومولاه، ومراقبة أحواله في السر والجهر.
(وفروا إلى الله): إلجاءوا إليه بالأعمال الصالحة.
(من الله): من عذابه وسخطه وأليم عقوبته.
(وامضوا): أي استمروا، من قولهم: فلان ماضي على طريقته، أي مستمراً عليها.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: يستدم.
(2) في (ب): عن.
(3) في (أ): مقسماً، وهو تحريف.

(272/1)

(في الذي نهجه(1)): أي أوضحه وبيَّنه، ونهج الطريق إذا بيَّنها وأوضحها(2).
قال العبدي(3):
ولقد أَضَاءَ لَكَ الطريقُ وأَنْهَجَت .... سُبُلُ الْمَسَالكِ والهدى يُعْدي(4)
أي تُعِيْنُ وتُقَوِّي.

(وقوموا): أي انهضوا، من قولهم: قام بالأمر إذا نهض به.

(بما عصبه): أي ربطه من الأوامر والنواهي وأنواع التكاليف كلها.

(بكم): أي(5) بنفوسكم وذواتكم.

(فعليٌّ): أي المشهور بالصفات والسمات، القائم بين أظهركم، يدعوكم إلى الله.

(ضامن): أي متكفّل.

(بفلحكم(6)): فوزكم ونجائكم.

(آجلاً): في الآخرة بالثواب وإحراز المراتب العالية.

(إن لم تُمْنَحُوْهُ عاجلاً): في الدنيا بالنصر على الأعداء، والظفر بهم، والمنحة: العطية.

---

(1) في النهج: في الذي نهجه لكم.

(2) في (ب): إذا أوضحها وبينها.

(3) العبدي هو: يزيد بن خَذَّاق الشني العبدي من بني عبد القيس، شاعر جاهلي، كان معاصراً لعمرو بن هند (الأعلام 182/8).

(4) في (أ): بعدت، وهو تصحيف، والبيت ورد في أساس البلاغة ص:474، ونسبه إلى يزيد بن خذاق الشني، قلت: وهو العبدي، وقوله: سبل المسالك، في أساس البلاغة: منه المسالك، والبيت أورده صاحب لسان العرب 727/3، ونسبه إلى يزيد بن الخذاق العبدي وروايته فيه:

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت .... سبل المكارم والهدى تعدي

(5) قوله: أي سقط من (أ).

(6) في شرح النهج: لفلجكم، والفلج: هو الفوز والظفر.

(273/1)

---

(25) ومن خطبة له عليه السلام، وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه(1) على اليمن، وهما: عبيد الله بن العباس(2)، وسعيد بن نمران(3)، لما غلب عليهما بسر بن أرطأة(4)

---

(1) في (أ): عاملان.

(2) هو: عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو محمد [1-87هـ]، وال، كان أصغر من أخيه عبدالله بسنة، رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يرو عنه شيئاً، واستعمله الإمام علي(عليه السلام) على اليمن، فحج بالناس سنة 36هـ، وسنة 37هـ، وكان على مقدمة

الحسن بن علي (عليهما السلام) إلى معاوية ومات بالمدينة، وكان سخياً جواداً، ينحر كل يوم جزوراً، قيل: هو أول من وضع الموائد على الطرق، وله أخبار حسان في الجود، وفيه يقول أحد شعراء المدينة:

وأنت ربيع لليتامى وعصمة .... إذا المحل من جو السماء تطلعا_ ... _ (الأعلام 194/3).

(3) هو: سعيد بن نمران الهمداني ثم الناعطي، المتوفى نحو سنة 70هـ، تابعي، كان سيد همدان، شهد اليرموك، واستكتبه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم ضمه إلى عبيد الله بن العباس حين ولاه اليمن. (انظر الأعلام 103/3).

(4) هو: بسر بن أرطأة (أو ابن أبي أرطأة) العامري القرشي، المتوفى سنة 86هـ، قائد فتَّاك من الجبارين، ولد بمكة قبل الهجرة، وكان من رجال معاوية بن أبي سفيان، وجَّهه معاوية سنة 39هفي ثلاثة آلاف إلى المدينة فأخضعها، وإلى مكة فاحتلها، وإلى اليمن فدخلها، وكان معاوية قد أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب علي فقتل منهم جمعاً، وعاد إلى الشام فولاه معاوية البصرة ثم البحر، ثم أصيب في عقله فلم يزل معاوية مقرباً له، مدنياً منزلته وهو على تلك الحال إلى أن مات (الأعلام 51/2)._ ... _قلت: وبسر هذا هو الذي دعا عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد بعث معاوية لبسر على الحجاز واليمن، وفعل الأفاعيل المنكرة، وقتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب قثم وعبد الرحمن، وهما صبيان صغيران في قصة مشهورة، فدعا الإمام علي عليه السلام عليه بقوله: (اللهم، إن بسراً باع دينه بالدنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك، اللهم، فلا تمته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللهم، العن بسراً وعمراً ومعاوية، وليحل عليهم غضبك ولتنزل بهم نقمتك، وليصبهم بأسك ورجزك الذي لا ترده عن القوم المجرمين)، فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله، فكان يهذي بالسيف، ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به، لا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة – أي وعاء الخبز– فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات. (انظر شرح ابن أبي الحديد18/2).

(274/1)

، فقام عليه السلام إلى المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي، فقال:

(ما هي): الضمير للقصة(1)، كقوله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا} [الأنعام: 29]، وقوله تعالى[{إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ}[الأعراف: 155]: وقد يرد مذكراً، ويراد به الأمر كقوله:] (2) {إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ}[المؤمنون: 25] وقوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ}[الزخرف: 59] وهوضمير يفسره(3) مابعده، ويستعمل في الأمور التي عظم شأنها وفخم أمرها.

(إلا الكوفة): أي القصة(4) المعجبة، وهي ولاية الكوفة وأمرها.

(أقبضها وأبسطها): لا أمر لي في بلدة سواها بالقبض، والبسط، والحل، [والعقد] (5)، والإبرام، والنقض، فوضع القبض والبسط فيها موضع القهر والسلطنة لما كانا من فوائدهما.

(إن لم تكوني(6) أنت): إن لم يكن شأنك وأمرك في نفسك.

(تهبُّ أعاصيرك): هبت الريح إذا هاجت، والأعاصير: جمع إعصار، وهي ريح تثير الغبار، وترتفع [إلى السماء] (7) كالعمود، قال الله تعالى: {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ}[البقرة: 266] والمراد بذلك نهوض أهل الكوفة في نصرته والإقبال إليه، والريح قد ترد عبارة عن النصر، كما قال تعالى: {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال: 43] والمعنى في هذا إن لم يكن أمرك وشأنك نصرتي وإعانتي.

---

(1) في (ب): للقضية.

(2) سقط من (أ).

(3) في (ب): تفسيره.

(4) في (ب): القضية.

(5) سقط من (ب).

(6) في شرح النهج: إن لم يكن إلا أنت.

(7) سقط من (ب).

(275/1)

(فقبحك الله!): الفاء جواب الشرط في قوله: إن لم تكوني(1) أنت، وقبحه الله أي نحاه [الله] (2) عن الخير، قال الله تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ(3) هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}[القصص: 42].

ثم تمثل بقول الشاعر:

(لَعَمْرُ أَبِيْكَ الْخَيْرِ يا عمرُو إنَّني .... على وَضرٍ من ذا الألاءِ(4) قَليلِ)

ولنذكر إعرابه، وموضع الشاهد منه:

أما إعرابه: فالعمر مبتدأ، وهو مقسم به، وخبره محذوف وتقديره: عمر أبيك قسمي، والمعنى: أقسم بعمر أبيك وبقائه.

والخير يجوز فيه الجر صفة لأبيك أي صاحب الخير، والرفع على إضمار مبتدأ، والنصب على المدح، كأنه قال: أمدح صاحب الخير، إنني هو جواب القسم.

والوضربالضاد المعجمة: ما يجده الإنسان من الرائحة في يده من طعام فاسد.

ذا: اسم إشارة.

الألاء: شجر خبيث الرائحة والطعم، وهو مجرور صفة لذا، وقليل مجرور صفة لوضر، ويروى: (من ذا الإناء)، وعلى هذا يكون ذا بمعنى صاحب، أي من صاحب الإناء أي الوضر من صاحب الإناء، وهو عبارة عما يوضع فيه.

وأما موضع الشاهد منه فإنما أورده مثلاً، على معنى أنه لم يبق معه من(5) الولاية إلا أمر قليل فاسد رديء، ولهذا كنى عنه بالوضر لقلته ورداءته وفساده.

ثم قال [عليه السلام] (6):

---

(1) في (أ): إن لم يكن أنتي، وقوله: أنت، سقط من (ب). .

(2) سقط من (ب).

(3) وردت الآية في النسخ هكذا: (وفي الآخرة هم من المقبوحين)، وهو وَهْمٌ من النَّساخ، وصواب الآية كما أثبته.

(4) في شرح النهج: من ذا الإناء.

(5) قوله: من سقط من (ب).

(6) سقط من (أ).

(276/1)

(أنبئت بُسراً قد اطَّلع على اليمن): أعلم بسراً مطلعاً على اليمن، واطلع افتعل من قولهم: اطلعت على باطن أمره، قال الله تعالى: {اطَّلَعَ الْغَيْبَ}[مريم: 78] ومراده إشرافه على اليمن بالقهر والاستيلاء.

(وإني والله لأظن أن(1) هؤلاء القوم): معاوية وأصحابه من أهل الشام.

(سيدالون منكم): الإدالة: الغلبة، أي يغلبونكم و يقهرونكم، لما أرى فيكم من التخاذل وفساد الآراء، وأدالنا الله من عدونا أي نصرنا عليه، وما ذاك إلا.

(بإجماعهم(2) على باطلهم): إتفاق كلمتهم على نصرة الباطل الذي أتوه.

(وتفرقكم عن حقكم): وتشتت آرائكم عن الحق الذي دعيتم إليه.

(ومعصيتكم(3) إمامكم في الحق): وترككم طاعة إمامكم فيما يأمركم به من إتيان الحق وفعله.

(وطاعتهم إمامهم في الباطل): وانقيادهم لما يأمرهم إمامهم من إتيان الباطل وفعله.

(وبأدائهم الأمانة): وبإيصالهم الأمانة كل ما أئتمنهم عليه.

(إلى صاحبهم): من يقوم بأمرهم ويتولى تدبير حالهم.

(وخيانتكم): لي في كل ما أمنتكم عليه.

(وبصلاحهم في بلادهم): من ترك البغي والظلم، والاحتكام لأمر صاحبهم.

(وفسادكم): بالبغي والتظالم، ومخالفة أمري.

(فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بِعِلاقته): القعب: إناء من خشب له علاقة، ومراده أن مصداق مقالتي فيما قلته من هذه الصفات الذميمة أني لو أئتمنت أحدكم على شيء حقير لم يؤده على حاله، وخان فيه، والعِلاقة بالكسر هي: ما يحمل به القوس والقدح، والعَلاقة بالفتح هي: علاقة الحب وعلاقة الخصومة، فالأول هو اسم، والثاني مصدر.

---

(1) أن، زيادة من النهج

(2) في شرح النهج: باجتماعهم.

(3) في شرح النهج: وبمعصيتكم.

[(اللَّهُمَّ، إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني)] (1)

(اللَّهُمَّ): أصله يا الله، لكن طرح حرف النداء، وعوضت الميم المشددة منه.

(أمث(2) قلوبهم): بتفرقها وتشتت أمرها.

(كما يماث الملح في الماء): ماث الملح يميثه إذا فتَّه، وأذهب أجزاءه.

(والله لوددت(3)): تمنيت.

(أن يكون لي بكم): عوضكم وأنتم ألوف مؤلفة وعدد جم.

(ألف فارس): هذه العدة عوضاً عن تلك العدة.

(من بني فراس بن غنم(4)): قبيلة من قبائل العرب مختصون بالشجاعة وجودة الفروسية، ثم تمثَّل:

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، وهو في (ب) وشرح النهج.

(2) في (ب) وشرح النهج: اللهم مث قلوبهم.

(3) في شرح النهج وفي نسخة: أما والله.

(4) وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، حيٌّ مشهورٌ بالشجاعة، منهم: علقمة بن فراس وهو جذِل الطعان، ومنهم: ربيعة بن مكدَّم بن حُرثان بن جَذِيمة بن علقمة بن فراس الشجاع المشهور، حامي الظُّعن حياً وميتاً، ولم يحم الحريم وهو ميت أحد غيره؛ عُرض له فرسان من بني سُلَيم ومعه ظعائن من أهله يحميهم وحده، فطاعنهم، فرماه نُبيشة بن حبيب بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه في الأرض، واعتمد عليه وهو ثابت في سرجه ولم يَزُل ولم يَمِل، وأشار إلى الظعائن

بالرواح، فسرن حتى بلغن بيوت الحي، وبنو سليم قيام إزائه، لا يقدمون عليه ويظنونه حياً، حتى قال قائل منهم: إني لا أراه إلا ميتاً، ولو كان حياً لتحرك، إنه والله لماثلٌ راتبٌ على هيئة واحدة لا يرفع يده، ولا يحرك رأسه فلم يقدم أحدٌ منهم على الدنو منه حتى رموا فرسه بسهم فشب من تحته فوقع وهو ميت وفاتتهم الظعائن. (شرح نهج البلاغة 341/1-342).

(278/1)

(هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أتاكَ مِنهمْ .... فَوَارِسُ مثلُ أَرْمِيةِ الْحَمِيْمِ)(1)

ونذكر إعرابه، وموضع التمثيل:

أما إعرابه فاللام في هنالك للبعد كما في ذلك، والأرمية: جمع أرمى، وهو السحاب.

والحميم: المطر الذي يأتي في شدة الحر، والمراد بالسحاب: سحاب الصيف، لأنه يكون أكثر ملائمة لما أراد من حيث كان أشد جفولاً(2) وأعظم حركة؛ لأنه لا ماء فيه فيثقل به؛ لأن ذلك إنما يكون في أيام الشتاء والربيع.

وأما موضع التمثيل: فأراد وصفهم بالسرعة إذا دعوا والإغاثة إذا استغيث بهم.

(26) ومن خطبة له عليه السلام

(إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله(3)): اصطفاه واختاره بما أيده(4) من المعجزات.

(نذيراً للعالمين): بما أبلغه من الوعيد.

(وأميناً علىالتنزيل): فلا يكتم شيئاً منه، ولا يغيِّره بتحريف ولا تبديل.

(وأنتم معشر العرب): المعشر: جماعة الناس، والمعاشر هي: الجماعات، وانتصابه على الاختصاص، أي أخص معشر العرب.

(على شر دين): مقيمون علىعبادة الأوثان والأصنام، وهي شر الأديان لما فيها من تعظيم غير الله وعبادته.

(وفي شر دار): لا ظلال يظلكم إلا كهوف الجبال وأوراق الشجر.

(منيخون): من قولهم: أنخت الجمل فاستناخ، أي أبركته فبرك.

(بين حجارة خشن): غلاظ.

---

(1) البيت هو من أبيات لأبي جندب الهذلي، أولها:

ألا يا أم زنباع أقيمي .... صدور العيس نحو بني تميم

(انظر شرح نهج البلاغة 348/1)، والبيت الذي تمثل به أمير المؤمنين عليه السلام أورده صاحب

لسان العرب 1232/1.

(2) يقال: أجفل الغيم أي أقشع. (انظر أساس البلاغة ص61).

(3) في شرح النهج: صلى الله عليه، وفي (ب) صلى الله عليه وآله وسلم.

(4) في (ب): لما أيده الله...إلخ.

(279/1)

(وحيات صم): أي لاتسمع، يشير بذلك إلى أنهم أجلاف جفاة لا يسكنون إلا القفار، وموضع الوحش(1) وأماكن الحشرات.

(تشربون الكدر): المتغير من الأمواه.

(وتأكلون الجشب): الجشب بالجيم هو: الطعام الغليظ، وقيل: هو الذي لا إدام(2) معه، وسماعنا له بالجيم لاغير، ومنه الحديث: ((اخشوشبوا واجشوشبوا))(3)، من قولهم: طعام خشبٌ بالباء إذا كان جرزاً، واجشوشبوا بالجيم من الجشب، وهو نقيض اللين.

(وتسفكون دماءكم): أراد إهراقها من غير حقها على غير وجهها.

(وتقطعون أرحامكم): لأن التواصل والتوادد(4) إنما يكون بالإيمان ولا إيمان هناك، وأراد بقطع الأرحام عدم التوارث إذ كان لاميراث هناك [يومئذ] (5).

(الأصنام فيكم منصوبة): أراد الأحجار وغيرها مما لاحياة فيه ولا تمييز له بين أظهركم منصوبة للعبادة من جهتكم.

(والآثام بكم معصوبة): الآثام جمع إثم، وهو: الذنب، وأراد أن الذنوب ملتصقة بكم لتلبسكم(6)، بها، لازمة لكم لزوم العصابة.

(فنظرت): ففكرت في أمري، وتدبرت عاقبة حالي في الحرب والإقدام عليها.

(فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي): ناصراً إلا من يختص بي من أولادي وأقاربي وأرحامي.

(فضننت بهم): من الضنة وهي: البخل، وهي بالضاد، وظننت من التهمة وهو بالظاء، ولا وجه له ها هنا.

(عن الموت): عن أن أقاتل بهم فيقتلوا فتركت الحرب.

(وأغضيت على القذى): الإغضاء هو: إدناء الجفون على القذى وهو ما يؤذي العين، وهو كناية عن ترك الأمر على صعوبة ومشقة.

---

(1) في (ب): ومواضع الوحوش.

(2) في (ب): لا أُدْم معه.

(3) في (ب): اجشوشبوا واخشوشبوا.

(4) في (ب): والتواد.

(5) سقط من (ب).

(6) في (أ): لتسليكم، وما أثبته من (ب).

(280/1)

(وشربت على الشجا): الشجا: ما يعترض(1) في الحلق من عود أو غيره، ومراده فشربت على مكابدة(2) الشجا في حلقي.

(وصبرت على أخذ الكظم): يقال: أخذ بكظمه أي بمخرج نَفَسِه.

(وعلى أمرِّ من طعم العلقم): العلقم: شجر مر، ويقال أيضاً للحنظل، ولكل ما أمرَّ من الشجر: علقم.

(ولم يبايع): يريد عمرو بن العاص حين بايع لمعاوية.

(حتى شرط): إلا بشرط.

(أن يؤتيه على البيعة ثمناً قليلاً): من حطام الدنيا لايدوم في يده ولا يبقى هو له.

(فلا ظفرت يد المبايع، وخزيت أمانة المبتاع): المبايع يحتمل أن يكون اسم فاعل، وأن يكون اسم مفعول، وهكذا المتبايع(3) فإنه صالح على لفظه بهما(4) جميعاً، وسياق الكلام وارد على وجهين:

أحدهما: أن يكون وارداً على جهة الدعاء(5)، والمعنى فلا أظفر الله يد كل واحد منهما؛ لأن المبايعة مفاعلة فهي حاصلة منهما جميعاً، وأخزى الله أمانة كل واحد منهما أيضاً.

وثانيهما: أن يكون وارداً على جهة الإخبار، ويكون المعنىأن يد كل واحد منهما غير ظافرة بمرادها، لما في ذلك من بيع الآخرة بالدنيا، وأن أمانة كل واحد منهما خازية؛ لما في ذلك من البغي والإعانة على الفسوق بمخالفتي(6) وشقاقي.

(فخذوا للحرب أهبتها): من السلاح والكراع.

(وأعدوا لها عدتها): من الصبر والشجاعة، واحتمالات(7) المكاره.

(فقد شب لظاها(8)): حمى جمرها(9).

---

(1) في (ب): ما يعرض.

(2) في (أ): مكايدة.

(3) في (ب): المبتاع.

(4) في (أ): لهما، وفي (ب) كما أثبته.

(5) في (ب): على وجهه.
(6) في (ب): لمخالفتي.
(7) في (ب): واحتمال.
(8) في (ب): فقد شبها لظى.
(9) في (أ): حتى جمرها، وهو تحريف، وما أثبته من (ب).

(281/1)

(وعلا سناها[واستشعروا الصبر، فإنه أدعى إلى النصر](1)): وارتفع ضوؤها، والنار تستعار للحرب، لما فيها من الشدة والتوقد، قال الله تعالى: {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}[المائدة: 64].
وهذه الخطبة على تقارب أطرافها، قد اشتملت على فنون متفرقة وأنواع مختلفة، لا تناسب بينها، فبينا هو يتكلم في ذكر الرسول، إذ خرج إلى ذكر حال العرب قبل البعثة، إذ خرج إلى ذكر ضِنَته(2) بأهله، إذ خرج إلى [ذكر](3) بيعة عمرو، إذ خرج إلى أُهْبَة الحرب، وهذا كله يسمى الاستطراد، وهو في كلامه واقع كثيراً، وقد نبهنا عليه.

---

(1) زيادة في (ب)، وفي شرح النهج.
(2) في (ب): ضنه.
(3) سقط من (ب).

(282/1)

---

(27) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الجهاد
(أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة): أراد أنه نوع من أنواع التكاليف الشرعية، بل هو أشرفها وأعلاها وأعظمها أجراً يستحق عليه الدخول من أبواب الجنة، فتجوَّز(1) فيه بأن جعله باباً للجنة لما ذكرناه، كما قال عليه السلام: ((الجنة تحت أقدام الأمهات)) (2) و((الجنة تحت ظلال السيوف))(3) إشارة إلى ما قلناه.
(فتحه الله لخاصة أوليائه): لأهل القرب من محبته.
(وهو لباس التقوى): شعار الخائفين من الله.
(ودرع الله الحصينة): الواقية لكل من لبسها عن كل سوء، استعارة من درع الحديد.

(1) في (أ): فنحرر هكذا، وهو تحريف، وما أثبته من (ب).

(2) رواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار 170/2 في الباب (141) وعزاه إلى مسند الشهاب، وله شاهد أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 121/2 بسنده يبلغ به إلى محمد بن طلحة بن معاوية السلمي، عن أبيه، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: يا رسول الله، إني أريد الجهاد في سبيل الله، قال: ((أمك حية))؟ قلت: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إلزم رجلها فثمَّ الجنة))، والحديث بلفظ: ((الجنة بناؤها أقدام الأمهات))، أورده في موسوعة أطراف الحديث 513/4، وعزاه إلى المستدرك للحاكم النيسابوري 70/2، وكشف الخفاء 401/1، والدرر المنتثرة 68/ وعزاه إلى غيرها من المصادر.

(3) رواه القرشي في مسند شمس الأخبار 148/2 في الباب (136) وعزاه إلى مسند الشهاب، وهو في موسوعة أطراف الحديث 513/2، وعزاه إلى مسلم في الجهاد 20، وكنز العمال برقم (10482)، وفتح الباري 100/4، وغيرها.

(283/1)

(وجُنته الوثيقة): الجُنة بالضم: ما استترت به من سلاح أو غيره، ومنه الْمَجَنَّة لأنها تواري من فيها، ومراده من ذلك أنها هي الحصينة المغطّية لكل عيب.

(فمن تركه(1)): الضمير للجهاد.

(ألبسه الله ثوب الذل): استعارة له من لبس الثوب، كما قال [الله](2) تعالى: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ}[النحل: 112].

(وشمله البلاء): أراد استولى عليه، والبلاء مصدر بلاه الله، والبلية واحدة البلايا.

(ودُيِّث بالصغار والقماء(3)): [ذُلِّل] (4) بالامتهان، والتحقير.

(وضُرِب على قلبه بالأسداد): ضرب أي جعل، من قولهم: ضرب بينهم الحجاب، ومنه قوله تعالى: {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ}[الحديد: 13] الأسداد: جمع سدٍّ، وهو ما يجعل حاجزاً بين الشيئين، ومنه قوله تعالى: {عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا}[الكهف: 94] على قراءة الفتح.

وفي بعض النسخ: (على قلبه بالإسهاب)(5)، والإسهاب هو: فساد العقل، يقال فيه: أُسْهِبَ الرجل مبنياً على ما لم يسم فاعله إذا ذهب عقله.

(وأديل منه الحق(6)): هو من المداولة أي غلبه الحق، وانتصر عليه.

(وسيم الخسف): أولي النقص، وفلان رضي بالخسف أي بالانتقاص في أمره.

(ومنع النَصفُ): النصف هو: الاسم من الانتصاف، ومراده حيل بينه وبين الانتصاف.

(ألا وإني قد دعوتكم): ناديتكم وصرخت في آذانكم.

(إلى قتال هؤلاء القوم): معاوية وأحزابه من أهل الشام.

---

(1) في النهج: فمن تركه رغبة عنه.

(2) زيادة في (ب).

(3) في النهج: والقماءة.

(4) سقط من (أ)، وهو في (ب): ذلك، وهو تحريف، والصواب كما أثبته.

(5) وكذا في شرح النهج (74/1).

(6) في النهج: وأديل الحق منه بتضييع الجهاد.

(284/1)

(ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً): في جميع الأوقات من الليل والنهار، وعلى جميع الحالات في السر والإعلان.

(وقلت لكم:): أشرت عليكم.

(اغزوهم قبل أن يغزوكم): ابدأوهم بالوصول إلى بلادهم قبل أن يصلوا إلى بلادكم.

(فوالله ما غُزي قوم قط في عقر دارهم): قُصدوا إلى وسط دارهم، والعقر(1) هو: وسط الدار، قط لاستغراق الأزمنة الماضية.

(إلا ذلوا): أصيبوا بالذل ورموا به إذ لا يرجى لهم فلاح بعد ذلك أصلاً.

(فتواكلتم): ووكل(2) كل و احد منكم أمره إلى الآخر، ومنه قولهم(3): فلان وَكَلَة أي يكل أمره إلى غيره.

(وتخاذلتم): هذا يخذل هذا وهذا يخذل ذاك أي لايقوم على نصرته.

(حتى شُنَّت عليكم الغارات): شنُّ الغارات: إتيانها من جهات مختلفة، ومنه الحديث: ((أنَّ رسول الله شنَّ الغارات على بني المصطلق))، أي وجهها عليهم من جهات شتى.

(وملكت عليكم الأقطار): استولي على النواحي من بلادكم وأطرافها.

(هذا(4) أخو غامد قد وردت خيله الأنبار): أمير من أمراء معاوية، قد أغار علىالأنبار، وهي من أعمال أمير المؤمنين وأهل ولايته.

(وقتل حسان بن حسان): هو العامل على الأنبار فلما دخلوها قتلوه.

(وأزال خيلكم عن مسالحها): وأزال أخو غامد: أبعد خيلكم عن الثغور، والمراقب التي تحفظ الأقطار، يقال لها: مسالح.

(ولقد بلغني): وصل إليَّ العلم.

---

(1) في (ب): والعقرة.
(2) في (ب): وكل.
(3) في (أ): قوله.
(4) في شرح النهج: فهذا، وأخو غامد هو سفيان بن عوف بن المغفل الأزدي الغامدي المتوفى سنة 52هـ، من ولاة معاوية بن أبي سفيان.

(285/1)

(بأن الواحد منهم كان يدخل على من في القرية من المسلمين كالمرأة المسلمة ومن أهل الذمة كا لمرأة المعاهدة فينتزع(1)): يأخذ بعنف وشدة.
(حِجْلَها): وهو الخلخال.
(وقُلبَها): وهو السوار في اليد.
(وقلائدها): وهو ما في الحلق من الحلي.
(ورِعاثَها): جمع رَعْثة، وهي: الأقراط في الأذن.
(ما تمتنع منه): بشوكة ولا قوة ولا تمتنع منه(2) إلا.
(إلا بالاسترجاع): وهو أن تقول(3): إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.
(والاسترحام): [و](4)هو طلب الرحمة ممن أخذها، وفعل بها هذه الأفاعيل.
(ثم انصرفوا وافرين): ثم من جهد البلاء أنهم فعلوا ما فعلوه، انصرفوا رجعوا إلى أوطانهم وافرين، إما ذوي وفر لما أ صابوه من الغنائم وأخذوه من بلاد المسلمين من نسائهم وأهل(5) العهد بين أظهرهم، وإما وافرين ماخدش لأحد منهم جلد.
(ولا نالهم كَلْمٌ(6)): ولا أصابهم جرح.
(ولا أريق لهم دم): ولاجرح واحد منهم جرحاً فخرج منه دم.
(فلو أن امرأ مسلماً): فلو أن واحداً ممن تلحقه عزة الإسلام وأنفة الدين.
(مات من بعد هذا): انقطع روحه من بعد رؤية هذا وإبصاره.
(أسفاً ما كان به ملوماً): الأسف هو: شدة الحزن، لم يلحقه بالموت لوم من أحد أي ذم.
(بل كان به جديراً): بل لايبعد الأمر فيه أن يكون حقيقاً، والجدير هو: الحقيق، من قولهم: فلان جدير بكذا أي حقيق به.

---

(1) في شرح النهج: ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع ...إلخ.

(2) في (ب): ولايمتنع عنها: إلا بالاسترجاع...إلخ.

(3) في (ب): أن تقول له.

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): ومن أهل العهد.

(6) في شرح النهج: ما نال رجلاً منهم كلم.

(286/1)

(فيا عجبا): إما يا عجبا، وإما يا عجباه أتعجب(1) [عجباً وطرح فعله، ولم يذكر معه لاستغنائهم بالمصدر عنه، فلا يجوز أن يذكر معه، فلا تقول: عجبت عجباً، وإنما يقال: عجباً لا غير](2).

(عجباً والله يميت القلب): لامتلاء(3) الصدر منه.

(ويجلب الهمَّ): لتعذر الانتصار منه.

(من اجتماع هؤلاء): من لابتداء الغاية وهي متعلقة بعجباً، ولاعبرة بالفاصل لأنه نازل منزلة الفعل وقائم مقامه، ويجوز تعلقها بفعل مضمر، أي أعجب من اتفاق كلمة هؤلاء واجتماع آرائهم.

(على باطلهم): علىالباطل الذي اقترحوه من غير بينة، ولا قيام برهان عليه، وإنما أضافه إليهم لما لهم به من مزيد الاختصاص.

(وتفرقكم عن حقكم!): وتشتت كلمتكم عن حقكم الذي تدعون إليه وقامت عليه البراهين.

(فقبحاً): بعداً عن الخير.

(وترحاً): أي حزناً، وهما من المصادر التي أضمرت أفعالها فلا ينطق بها معها.

(لكم): لأفعالكم هذه.

(حين صرتم غرضاً يرمى): الغرض هو: الذي يقصده الرماة بالإصابة قرطاساً كان أو غيره، أراد أن القبح والترح متعلق(4) بكم زمان كنتم على هذه الصفة.

(يغار عليكم): تقصدون إلى بلادكم وتعلوكم العساكر.

(ولا تُغِيُرون): [و](5)لا تفعلون مثل ما فعلوا بكم.

(وتُغْزَون): إلى عقر دوركم.

(ولا تَغْزُون): من غزاكم، أقل أحوالكم واحدة بواحدة فواحدة بواحدة قصاص(6).

---

(1) في (أ): العحب، وهو تحريف، وما أثبته من (ب).

(2) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، وهو في (ب)، والنسخة (أ) كما ترى كثيرة السقط والتحريف والتصحيف والأخطاء اللغوية والإملائية.

(3) في (أ): لاملاء، وفي (ب) كما أثبته.

(4) في (أ): متعلقاً، وهو خطأ.

(5) سقط من (ب).

(6) في (أ): قضاء.

(287/1)

(ويعصى الله): بمخالفة أمره، وارتكاب مناهيه، وظهور الجور في الأرض والفساد فيها.

(وترضون): بترك النكير بمجاهدة من أتى ذلك(1) وتظهر مخالفتكم لي ونكوصكم عن امتثال أمري بما أقوله الآن.

(فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر): فإذا أوجبت عليكم قتلهم وقتالهم وجهادهم في أيام الصيف اعتذرتم[إلي](2) و:

(قلتم: هذه حَمَارّة القيظ): الحمارَّة بتشديد الراء هي: شدة الحر وأعظمه.

(أمهلنا): اجعل لنا مهلة.

(حتى يسبَّخ عنَّا الحر): بسين منقوطة بثلاث من أسفل، وبباء بواحدة من أسفل، وبخاء بواحدة من أعلى، والباء مضاعفة، وسبَّخ الحر إذا فتر.

(وإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الشتاء): التي يكثر بردها.

(قلتم: هذه صبارَّة القُرِّ): معظم البرد، بصاد مهملة، والراء مشددة.

(أمهلنا): اجعل لنا مهلة غايتها.

(حتى ينسلخ عنَّا البرد): يزول ويقلع(3).

سؤال؛ لم قال في الحر: حتى يسبَّخ أي يفتر، وقال في البرد: حتى ينسلخ، وكل واحد منهما مانع على زعمهم في الاعتذار؟

وجوابه؛ هو أنه يحمل(4) أن يكون البرد في بلادهم شديداً، وإذا كان الأمر كما قلناه فالغزو لا يمكن في أيام الشتاء، حتى ينسلخ البرد ويزول بالكلية، بخلاف الحر فإن قليله لا يمنع من الغزو وإنما يمنع كثيره، فلهذا قالوا: حتى يسبَّخ أي يفتر عنا الحر، فلهذا قال في البرد: [حتى](5) ينسلخ أي يزول، وفي الحرِّ [حتى](6) يسبَّخ أي يفتر، وإن لم يزل بالكلية.

(كل هذا): الإشارة إلى هذا الجنس من الاعتذار الذي لا يعذر صاحبه، يفعلونه.

(فراراً): أي من أجل الفرار، وانتصابه على المفعول له.

(1) في (ب): بذلك.
(2) سقط من (أ).
(3) في (ب): وينقطع.
(4) في (ب): يحتمل.
(5) سقط من (أ).
(6) سقط من (أ).

(288/1)

(من الحرِّ والقُرِّ(1)): القُر بضم القاف هو: البرد، فإذا كان هذا حالكم في الفرار من الحر والبرد مع سهولة الحال فيهما(2).

(فأنتم والله من السيف أفر): لألمه وشدة مقاساته.

(يا أشباه الرجال): في الخلقة الإنسانية.

(ولا رجال): في الهمم العالية، والعزائم الطامحة.

(حلوم الأطفال): الحلم هو: الأناة والتؤدة في الأمور، وأراد(3) أن أناتكم في الأمور كأناة الطفل؛ لأنه لا يتمالك في الشيء وتناوله على أي وجه كان، مصلحاً كان أو مفسداً.

(وعقول ربات الحجال): أي النساء؛ لأن عقولهنَّ ضعيفة جداً، ولهذا يقال: قلَّ ما أرادت امرأة أن تحتج لنفسها إلا كانت حجتها عليها، والحِجال: جمع حَجلة بفتح الحاء بيت يجعل للعروس من النساء، يزين بالثياب، وإشارته إلى ضعف الأحلام والعقول في وصفهم(4).

(قاتلكم الله!): تعجب من حالهم في كل ما ساقه من أمرهم واستظراف(5) من سوء صنيعهم معه.

(لقد ملأتم قلبي قيحاً): لقد جرحتم صدري بشقاقكم وامتلأ قيحاً، والقيح: عبارة عما يخرج من الجرح عند فساده.

(وشحنتم صدري غيظاً): ملأتموه من الغيظ، وانتصاب الغيظ على التمييز بعد المفعول، كقوله تعالى: {وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا}[القمر:12].

(وجرعتموني): أسقيتموني.

(نُغَبَ التهمام أنفاساً): النُغبة بضم الفاء وغين معجمة هي: الجرعة، وقد يفتح أيضاً، وجمعها نُغَب، والتهمام مصدر همَّ يهمُّ تهماماً كقولهم: ذكر يذكر تذكاراً، وأنفاساً جمع نفس، وانتصابه على الحال من نُغَب أي متتابعات.

---

(1) بعده في النهج: فإذا كنتم من الحر والقر تفرون.

(2) في (ب): فيها.

(3) في (ب): أراد بدون الواو.

(4) في (أ): في حقهم، وفي (ب) كما أثبته.

(5) في (ب): واستطرق.

(289/1)

(لوددت): تمنيت، وهذه اللام لتوكيد الجملة وتحقيقها، كقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا}[الحديد:26]، وقولهم: ولنعم حشو الدرع أنت.

(أني لم أركم): بعيني.

(ولم أعرفكم): بقلبي، عرفتكم.

(معرفة والله): حقيقتها وشأنها وفائدتها أنها.

(جرَّت ندماً): إليَّ منكم، وكان منقطعاً قبل معرفتي لكم.

(وأعقبت سدماً): السدم: الحزن والهم، ومراده أنه كان عاقبة أمري بعد معرفتكم هو الندم والحزن.

(وأفسدتم عليَّ رأيي): وغيرتم ما رأيته صواباً ونتجته فكرتي من المصلحة في أمرالجهاد وإقامة عمود الدين.

(بالعصيان): فيما أمرت.

(والخذلان): بالتقاعد عن نصرتي إذا دعوت.

(حتى قالت قريش:): حتى كان عاقبة الأمر في ذلك أن تحدث أهل الرأي والتجربة من قريش، وأهل الحنكة في الحروب على جهة الانتقاص بحالي.

(إن ابن أبي طالب رجل شجاع): جريء عند المنازلة للأقران، ومبارزة الشجعان.

(ولكن لا علم له بالحرب): بمكائدها وأخذ الفرص فيها، وإحكام أمرها بالرأي الصائب، وربما قيل: الحرب خدعة(1).

وقال آخر:

الرأيُ قَبْلَ شجاعةِ الشجعان .... هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني(2)

---

(1) الحرب خدعة، يروى حديث ذكره ابن الأثير في النهاية 14/2، وقال ما لفظه: فيه: ((الحرب خَدْعَة)) يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال، وبضمها مع فتح الدال، فالأول معناه أن الحرب ينقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع: أي أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إقالة، وهي

أفصح الروايات وأصحها، ومعنى الثاني: هو الاسم من الخداع، ومعنى الثالث: أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولاتفي لهم، كما يقال: فلان لُعُبة وضُحَكة: أي كثير اللعب والضحك. انتهى.

(2) البيت لأبي الطيب المتنبي.

فقد أحرز الشجاعة، ولكنه لا يحسن تدبيرها بزعمهم.

(لله أبوهم!): تعجبٌ مما قالوه من ذلك، وإنكار(1) لما زعموه، مثل قولهم: لله دره.

(وهل أحد منهم): من قريش الذين زعموا(2) أني لا أحسن تدبيرها.

(أشد لها مراساً): المراس والممارسة واحد، وهي: المعالجة والاختبار بحالها مرة بعد مرة.

(وأقدم فيها مقاماً مني): وأسبق فيها قدماً من أحد غيري.

(لقد نهضت فيها): قمت بأعبائها، من قولهم: نهض بالأمر إذا كفي فيه.

(وما بلغت العشرين): من عمري وهو سن البلوغ، وما زلت أمارسها وأعالجها من ذلك اليوم إلى الآن.

(وها أنا(3) الآن قد ذرفت على الستين): ذرف أي زاد، ومن هذه حاله في معالجة الحروب وممارستها من زمن البلوغ إلى وقت الهرم والشيخوخة، كيف يقال: بأنه غير ممارس، فما قلتموه في ذلك غير صحيح.

(ولكن لا رأي لمن لا يطاع): ولكن السبب في ذلك هو أني أشرت فلم يقبل رأيي وخالفوه، فكان سبباً في تغيير الأمر واختلاله، لا ما زعمتموه من عدم ممارستي للحرب، وهذ الكلمة جارية مجرى المثل، ولم يسمع(4) من أحد قبله، وهي(5) من بديع الأمثال، وغرائب الحكم، والمعنى أن كل من لا يطاع في رأيه فكأنه في حكم المعدوم(6).

---

(1) في (أ): وإنكاراً.

(2) في (ب): يزعموا، وهو خطأ، والصواب: يزعمون.

(3) في شرح النهج: وها أنذا وقد ذرفت...إلخ.

(4) في (ب): ولم تسمع.

(5) في (ب): وهو.

(6) في (ب): العدم.

(28) ومن خطبة له عليه السلام

(أما بعد، فإن الدنيا قد أدبرت): تولت وانقضى آثارها، لأن ما مضى من الدنيا بالإضافة إلى ما بقي كلا شيء، ولهذا قال الرسول عليه السلام: ((بعثت أنا والساعة كهاتين(1))) يعني الوسطى والمسبحة، وأراد بذلك قرب الساعة وانقطاع الدنيا.

(وآذنت بوداع): الأذان: الإعلام، ومنه قوله تعالى: {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ}[البقرة:279]، وأذان الصلاة: الإعلام بها، والوداع: الاسم من التوديع بفتح الفاء، وإنما يكون عند الرحيل، والمراد أنها أعلمت بالارتحال.

(وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع): الإشراف والإقبال: عبارة عن الإسراع في الشيء، وقوله: باطلاع هو افتعال، من قولهم: اطلعت علىالشيء والباء فيه للحال أي مطلعة.

(ألا وإن اليوم المضمار): المضمار: عبارة عن الزمان والمكان الذي يضمر فيهما الخيل، واليوم منصوب بكل حال، فإن خرج عن الظرفية كان اسماً، لأن وما بعده الخبر، وإن بقي على الظرفية فما بعدها يكون اسماً لها منصوباً.

(وغداً السباق): أي المسابقة.

(والسَّبقة الجنة): السَبقة بفتح الفاء هي: الاسم من الاستباق، وقد تكون للمرة الواحدة من الفعل، والسُبقة بالضم هي: اسم لما يقع عليه السباق، وهو الخطر بين المتسابقين(2)، وكلاهما صالح ها هنا.

(والغاية النار): غاية الشيء: آخره ومنقطعه.

سؤال؛ لِمَ خصَّ السبقة بالجنة، وجعل الغاية للنار، وكل واحد منهما موصول إليه؟

---

(1) أورده في موسوعة أطراف الحديث 264/4، وعزاه إلى مصادر كثيرة منها: البخاري 132/8،131، ومسلم في الفتن 135، وسنن النسائي (المجتبى) 189/3، وسنن الترمذي 2214، وسنن ابن ماجة 45، 4040، وغيرها كثير، انظرها هناك.

(2) في (ب): المسابقين، والخطر هو: السبق الذي يتراهن عليه.

وجوابه؛ أن الاستباق إنما يكون في أمر محبوب، وغرض مطلوب فلهذا خصه بالجنة، وجعل الغاية للنار؛ لأن الغاية هي منقطع الشيء، وقد ينتهي إليها من يسره الانتهاء، ومن لايسره الانتهاء، فلهذا

خص الغاية بالنار كالمصير والمآل، فلا جرم خالف(1) بين اللفظين لما يرى من اختلاف المعنيين.

(أفلا تائب من خطيئته): أفلا يوجد مقلع من عمل(2) الخطايا.

(قبل منيته): قبل موته، والمنية: الموت، ومراده قبل حضور وقت موته فتنقطع توبته.

(ألا عامل لنفسه): بالاغتنام من الأعمال الصالحة.

(قبل يوم رمسه): قبل أن يكون مقبوراً، والرمس: القبر.

(ألا وإنكم في أيام أمل): وهو ما تستقبلونه(3) فيما يأتي من أعماركم.

(من ورائها أجل): غايتها ومنقطعها آجال مقدرة بعدها يُنْتَهى(4) إليه.

(فمن عمل في أيام أمله(5)): فمن عمل في هذه الأيام التي هي مضروبة للإمهال.

(قبل حضور أجله): وهو في سعة من عمره قبل حضورالموت، وإنما قال: قبل حضور أجله؛ لأن ما يكون من التوبة في حال الموت فهي غير مقبولة، لمكان الإلجاء بمشاهدة الملائكة وتحقق أحوال الآخرة، ولهذا سوَّى الله بين من يموت كافراً وبين من يتوب هذه التوبة، حيث قال: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ....}إلىآخرالآية(6) [النساء:18].

---

(1) في (أ): خلاف وهو تحريف، والصواب كما أثبته من (ب).

(2) في (ب): أعمال.

(3) في (ب): تستقبلوه، وهو خطأ.

(4) في (ب): تنتهي.

(5) في (أ): أجله، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج. .

(6) لفظ الآية الشريفة: {وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً} صدق الله العلي العظيم.

(293/1)

(نفعه عمله): لما يلاقي من ثوابه الذي يكون عليه.

(ولم يضره أجله): لكونه جاء وهو علىالأُهبة وأخذ العُدّة.

(ومن قصَّر في أيام أمله): ومن هوَّن في طلب الأعمال الصالحة وفعلها.

(قبل حضور أجله): وهو في سعة من أمره ولم يحضر موته.

(خسر عمله): أي انتقص حيث لم يعمل(1) خيراً لنفسه.

(وضره أجله): لموافاته له وهو على غير أهبة وعدِّة(2)، ولا ضرر أعظم من ضرر لا يمكن تلافيه.

(ألا فاعملوا في الرغبة): بجد واجتهاد وتأهب واستعداد.

(كما تعملون(3) في الرهبة): لمثل ذلك.

سؤال؛ لِمَ جعل العمل في الرغبة(4) مُشْبِهاً للعمل في الرهبة، وكلاهما في الوقوع على سواء؛ لأن الواحد منَّا كما يعمل الأعمال فراراً من العقوبة فقد(5) يعملها طلباً للمنافع، فما وجه التفرقة بينهما؟

وجوابه؛ هو أن المراد بالرهبة هو القسر والإلجاء، والمراد بالرغبة هو الاختيار والإرادة، فشبه ما يقع بالاختيار والداعية(6) في تنجيز حصوله وتوفيره(7) بما يقع بالقسر (8)والإلجاء في وجوب حصوله؛ لما كان ما يقع(9) بالإلجاء والقسر لا ينفك عن الحصول لامحالة.

(ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها): أراد المبالغة في طلبها، لأن من بالغ في طلب شيء امتنع منه النوم، فلهذا تعجب ممن يطلبها وهو يحدث نفسه بالنوم، وقوله: كالجنة في موضع المفعول لأرى؛ أي لم أر مثل الجنة لما فيها من قرة الأعين.

---

(1) في (ب): يفعل.

(2) في (ب): وعد.

(3) في (أ): تعملوا وهو خطأ، وما أثبته من (ب) ومن النهج. .

(4) في (أ): بالرغبة.

(5) في (ب): قد.

(6) في (أ): والراغبة، وما أثبته من (ب).

(7) في (أ): وتوحيره، وفي (ب) كما أثبته.

(8) في (ب): بما يقع في القسر.

(9) في (أ): لا يقع.

(294/1)

(ولا كالنار نام هاربها): لأن من يهرب من شيء مبالغاً في الهرب [منه](1) فإنه يمتنع نومه ويشذ لما أعدَّ [الله](2) فيها من أنواع النكال، أعاذنا الله منها برحمته.

(ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل): أراد من لاينفعه الحق لتركه له(3) والإعراض عنه، فإنه لا محالة يضره(4) الباطل بالانقياد له والدخول تحت أمره.

(ومن لم يستقم به الهدى يَجُرُّ الضلال(5)): يعني أن كل من لم ينفعه الهدى في استقامة حاله وصواب أمره فإن الضلال يجرُّبه أي يعدل به، من قولهم: جار يجور عن كذا إذا عدل عنه ومال(6)، قال الله تعالى: {وَمِنْهَا جَائِرٌ}[النحل:9] أي عادل مائل.

(ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن): الآمر هو: الله على ألسنة الرسل بالصدور عن الدنيا والإقبال إلى

الآخرة، والظعن: السير، يقال: ظعن يظعن ظعْناً [وظعَناً](7) بتحريك العين وسكونها.
(ودللتم على الزاد): الدال هو الله تعالى، حيث قال: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}[البقرة:197].

---

(1) سقط من (ب).
(2) زيادة في (ب).
(3) في (ب): لتركه الحق.
(4) من هنا في (ب): بضرر الباطل لما لم يقتاد له وللدخول تحت أمره.
(5) في النهج: يجر به الضلال إلى الردى.
(6) في (أ): وما بدون اللام، وما أثبته من (ب).
(7) سقط من (ب).

(295/1)

(وإن أخوف ما أخاف عليكم: [اتباع](1) الهوى، وطول الأمل): وهذا كلام أخذه من رسول الله صلى الله عليه وآله [وسلم](2) فوضعه في أحسن مواضعه، وأوجز فيه غاية الإيجاز، فإنه قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن شر ما أخاف(3) عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فاتباع الهوى يصدف بقلوبكم عن الحق، وطول الأمل يصرف هممكم إلى الدنيا، وما بعدهما لأحد خير في دنيا ولا آخرة))(4) فأخذ مقدار حاجته، وأهمل باقيه، وجعله طرازاً لكلامه وعلامة لكماله وتمامه.
(تزودوا(5) في الدنيا من الدنيا): أراد [أن] (6)موضع الزاد ومكانه هو الدنيا، وأخذ الزاد إنما يكون منها بفعل الأعمال الصالحة وادخارها.

---

(1) سقط من (أ).
(2) زيادة في (ب).
(3) في (ب): ما أتخوف.
(4) أخرجه الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية عن أبي هريرة ص48، الحديث رقم (39) مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، وقريباً منه أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 161/2مع اختلاف في بعض ألفاظه بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن أشد ما أتخوف عليكم خصلتان: أما أحدهما فاتباع الهوى، وأما الأخرى فطول الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق، ومن عدل عن الحق فهو صاحب هوى، وأما طول الأمل فإنه حب الدنيا))، وكما في المرشد بالله رواه في شمس الأخبار 291/2 في

الباب السبعين والمائة، وعزاه إلى المجالس برواية السمان، عن علي عليه السلام.

(5) في شرح النهج: فتزودوا.

(6) سقط من (أ).

(296/1)

(تحرزون(1) به أنفسكم غداً): عن عذاب الله تعالى وأليم عقابه، وكفى بكلامه هذا في قطع علائق(2) الاغترار والقدح لزيادة الاتعاظ والانزجار، وتحذيراً عن الغفلة، وترغيباً في عمل الآخرة.

(29) ومن خطبة له عليه السلام

(أيها الناس، المجتمعة أبدانهم(3)): لما يظهر في مرأى العين لاجتماعهم (4)على بعض الحوادث إما لهواً وطرباً، وإما فرقاً وحزناً.

(المختلفة أهواؤهم): لكل واحد منهم غرض، لا يجمعهم جامع الدين في نصرته، ولا تتفق خواطرهم وقلوبهم على رفع مناره، وتشييد معالمه.

(كلامكم): قولكم بألسنتكم.

(يوهي الصم الصلاب): الوهي: الضعف، ومراده أنه يضعف الأحجار الصلبة لما تضمنه من الإبراق والإرعاد والوعيد الشديد لمن خالفكم.

(وفعلكم يُطِمعُ فيكم(5) الأعداء): لما فيه من التخاذل وقلة التناصر بحيث لو رآكم الرائي لطمع في أخذكم وتغنمّكم، وعلامة ذلك وأمارته أنكم.

(تقولون في المجالس: كيت وكيت): وهما عبارتان عن الأحاديث المبهمة، ومراده أنكم في المجالس تذكرون أنكم تفعلون الأفاعيل من الجهاد، ومواقعة الأعداء، والقيام بثأر الدين، وتدمير من يريد مخالفته طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف، ورشقاً بالنبال، إلى غير ذلك من الكلامات.

(فإذا جاء القتال): حضر وقته، وصدق حصوله.

---

(1) في شرح النهج: ما تحرزون.

(2) في (أ): غرائر.

(3) في (أ): أيديهم، وما أثبته من (ب) ومن النهج.

(4) في (أ): لإجماعهم.

(5) قوله: فيكم سقط من (ب).

(قلتم: حِيدي حَياد): حاد عن الشيء إذا مال عنه، والحيد: الميل، وهذه كلمة تقولها العرب عند اشتداد الأمر وعظم حاله، كقولهم للداهية صمي صمام، وفيحي فياح، وهو اسم للغارة(1).

(ما عَّزت دعوة من دعاكم): عز الرجل إذا صار عزيزاً، وعز إذا عظم، وعز إذا حق واشتد، والمعنى في هذا ما عظم ولا انتصر ولا صار عزيزاً نداؤه إذا ناداكم لنصرته لتخاذلكم وتفرق آرائكم.

(ولا استراح قلب من قاساكم): قاسيت الأمر إذا كابدت شدائده، ومراده أنه لا يطمئن قلب من كايد بكم(2) الشدائد والحروب، وخاض بكم غمرات الموت لقلة ثقته بكم، وإشفاقه(3) منكم، وحذره على نفسه معكم.

(أعاليل بأضاليل): جمع أُعْلُولة وأُضْلُولة كأُضْحُوكة وأُخْبُولة(4)، واشتقاقهما من التعلل والضلال، وغرضه أنكم تتعللون بمعاذير فاسدة وأقاويل كاذبة لا يصدق قائلها، ولا يعذر صاحبها.

(دفاع ذي الدَّيْن المطول): دفعته عن حقه إذا منعته وفاءه، ومطلت الحديدة إذا طولتها ومددتها، ومطلته دينه إذا مددت وفاءه إلى مدة، والدفاع: جمع دافع كتاجر وتجار، والمعنى أنكم تمنعون وفاء ذي الدين الذي قد مطل به، وطالت مدته على صاحبه، وإنما قال: ذي الدين المطول؛ مبالغة في ركة أحوالهم حيث منعوا وفاء دين قد تقادمت أزمانه، وطال عهده بالقضاء، فكان من حق(5) ما هذا حاله المعاجلة بقضائه.

(لا يمنع الضيم الذليل): الضيم: الظلم، قال الشاعر:

---

(1) انظر النهاية لابن الأثير 466/1، وشرح النهج لابن أبي الحديد 111/2-112.

(2) في (أ): كايدكم، وما أثبته من (ب).

(3) في (أ): وإشتفاقه، وفي (ب) كما أثبته..

(4) في (ب): وأحبولة.

(5) العبارة في (ب): فكان مرجو ما هذا حاله، وقيل: المعاجلة بقضائه.

وإنّي على الْمَوْلى وإن قلَّ نفعُهُ .... دفوعٌ إذا ما ضِيْمَ غير صَبُورِ(1)

لأن ذلك يمنعه عن الأنفة، واستحضارالشهامة في الانتصار عن الظلم.

(ولا يدرك الحق إلا بالجد): الجد: نقيض الهزل، ومراده أن الحق في الأمور كلها إنما ينال بالاجتهاد

وإتعاب الخاطر لا بالتواني وراحة النفس.

(أي دار بعد داركم تمنعون): أراد أي خطة بعد خطتكم تمنعونها عن الظلم، وأن يغار عليها؛ فإذا كنتم لا تمنعونها فأنتم عن غيرها أعجز وأقصر.

(ومع أي إمام بعدي تقاتلون): لعلمي وبصيرتي ومكاني من رسول الله، وانعقاد الإجماع على صحة إمامتي ووجوب متابعتي.

(المغرور والله من غررتموه): المغرور على الحقيقة من كان سِيْقة(2) لكم وتابعاً لأقوالكم.

(ومن فاز بكم): ومن ظفر بكم.

(فقد ظفر(3) بالسهم الأخيب): خاب سعيه إذا لم ينل مقصوده، واستعار ما ذكره في السهام من سهام الميسر وقداحه لأن بعضها له نصيب وبعضها لا نصيب له(4)، فأراد ها هنا أن من ظفر بكم فقد ظفر بغير شيء وفاز بغير مطلوب(5).

(ومن رمى بكم فقد رمى بالأفوق الناصل(6)): الأفوق من السهام: الذي كسر فوقه، وهو ما يلي وتر القوس، والناصل: الذي خرج نصله، وما هذا حاله فلا نفع فيه لرامي(7) بحال، وأراد المبالغة في بطلان النفع بهم فيما يريده منهم.

______

(1) البيت أورده في لسان العرب 563/2، بدون نسبة إلى قائله، وقوله: (إذا ما ضيم) في اللسان: (إذا ما ضمت).

(2) في (ب): بسيفه.

(3) في شرح النهج: فقد فاز والله بالسهم الأخيب.

(4) نص العبارة من أولها في (أ): لأن بعضها له ونصيب لا نصيب له، وفيها تحريف وسقط كما ترى، وما أثبته من (ب).

(5) في (ب): المطلوب.

(6) في شرح النهج: بأفوق ناصل.

(7) في (ب): لرامٍ.

(أصبحت والله لا أصدق قولكم): لما عاينته من كذبكم ومحالكم.

(ولا أطمع في نصرتكم(1)): لما أتحققه من تخاذلكم وتقاعدكم عني.

(ولا أُوعدُ العدو بكم): لما يظهرلي من ضعفكم وهوانكم وركة أحوالكم في جميع أموركم.

(ما بالكم): البال: الحال، ومراده ما الذي عرض لأحوالكم حتى كانت على هذه الصفة.

(ما طِبُّكم): الطِبُّ بكسر الفاء: العادة.

قال الكميت:

فما إن طِبَّنا جبنٌ ولكن .... منايانا ودَوْلَةَ آخرينا(2)

وهذا مراده ها هنا، أي ما جزاؤكم على هذه العادة التي تعودتموها، ورجل طَبّ بفتح الفاء إذا(3) كان عالماً ماهراً، والحركات الثلاث في علم الطب.

(ما دواؤكم): أي شيء يكون فيه الشفاء لما أصابكم من هذا الداء.

(القوم رجال أمثالكم): أراد أن الإنسان لا يستوحش من شكله ولا يجبن عمن كان مساوياً له(4)، فما سبب ذلكم ونكوصكم عنهم؟!

(أقولاً(5) بغير علم(6)): أراد أنكم تقولون قولاً لا تعرفون حقيقته، فأنتم تصرخون باللقاء لعدوكم، ولا تصدقون في هذه المقالة، ولا تعملون(7) بها أصلاً.

---

(1) في النهج: نصركم.

(2) البيت أورده صاحب لسان العرب 565/2 من أبيات ثلاثة نسبها إلى فروة بن مسيك المرادي وهي:

فإن نَغْلِبْ فغلابون قُدماً .... وإن نُغْلَبْ فغير مغلبينا

فما إن طبّنا جبنٌ ولكن .... منايانا ودولة آخرينا

كذاك الدهر دولته سجال .... تكرُّ صروفه حيناً فحينا

(3) في (ب): أي.

(4) في (ب): عمن كان له مساوياً.

(5) في (أ): أقوالاً، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(6) في نسخة: بغير عمل، ذكره في هامش (أ)، وفي (ب): أقولاً بغير علم عمل.

(7) في (ب): ولا تعلمونها.

(300/1)

(وغفلة من غير ورع): وتتركون قتالهم وتغفلون عنه ذلاً وجبناً لا ورعاً وتعففاً.

(وطمعاً(1) في غير حق): وتطمعون في القعود، وتركنون إلى الدعة وراحة النفوس، وهو خلاف الحق لما فيه من إسقاط أمر الجهاد وتركه.

قوله عليه السلام: (أي دار بعد داركم....) إلى آخرالخطبة، من أنواع البديع يسمى التجاهل، وهو أن يستفهم عن شيء يجهّله موهماً أنك(2) لا تعرفه، وأنت مطلع على حقيقة الأمر فيه، كقول

زهير(3):

وما أدري وَسَوْفَ إخالُ أدري .... أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساء(4)

ومنه قول آخر:

أيا ظبيةَ الْوَعْسَاء بين جُلاَجِلِ(5) .... وبين النَّقَاء أنت أم أم سالم

[يجهّل نفسه حيث لم يفرق بين الظبية والوحشة وبين أم سالم] (6)

ومنه قول آخر:

إذا ما تميميٌّ أتاك مفاخراً .... [فقل](7)عزّ عن ذا كيفَ أكلُكَ للضبِّ

ويسمى الهزل أيضاً وهو كثير.

---

(1) في (أ): وطمع، وفي (ب) وفي شرح النهج كما أثبته.

(2) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: أنه.

(3) هو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، المتوفى سنة 13ق .هـ، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية من أصحاب المعلقات السبع، ومن أئمة الأدب من يفضلّه على شعراء العرب كافة، أشهر شعره معلقته التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم .... بحومانة الدراج فالمتثلم_ ... _له ديوان شعر مطبوع (الأعلام 52/3).

(4) أورد البيت في لسان العرب 655/1، ونسبه إلى زهير أيضاً، وآل حصن يريد حصن بن حذيفة الفزاري.

(5) في (ب): جلاحل، والبيت هو لذي الرمة (انظر لسان العرب 489/1).

(6) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).

(7) سقط من (أ).

ويكسب المعنى بلاغة، ويكسوه ديباجة، ولقد أبلغ في الوعظ لو كان ثمَّ أحلام، وأوقع في الزجر لو كان لهم أفهام، وأسمع في النداء ولكن القوم نيام!

(30) ومن كلام له عليه السلام في قتل عثمان

(لو أمرت [به] (1) لكنت قاتلاً): أراد لو صدر من جهتي أمر بقتله لكنت مشاركاً لمن قتله في حكم القتل، وهو الإثم؛ لأن الدال على الخير كفاعله، والدال على الشر كفاعله.

(أو نهيت [عنه](2) لكنت ناصراً): أو نهيت بالقتال والمجاهدة لقاتليه لكان في ذلك أبلغ النصرة له، لكني أرمز لكم إلى من نصره وخذله حقيقة، وأكني عنه بقول لطيف.

(غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني): وأراد بهذا أن مروان نصره، وطلحة والزبير خذلاه، فليس لمروان أن يقول: أنا خير من طلحة والزبير، وليس لطلحة والزبير، أن يقولا: مروان خير منا.

سؤال؛ أي غرض لأمير المؤمنين في هذه الكناية؟ ولِمَ لم يصرح بالمقصود، ويقول: طلحة والزبير خير من مروان من غير حاجة إلى هذه الرموز؟

وجوابه؛ أن ذلك محتمل لأمرين:

أما أولاً: فيحتمل أن يشير بذلك إلى ضعف في أمر عثمان لما جرى في خلافته من الأحداث المنكرة بخذلان أهل البصائر له كطلحة والزبير، ونصرة من لا بصيرة له مثل مروان.

وأما ثانياً: فيحتمل أن يكون تعريضاً بمروان(3) لركة حاله، ورفعاً لحال طلحة والزبير لما لهما من السابقة، فكنى بهذه الكناية اللطيفة عما ذكرناه، وهو أبلغ من التصريح.

(وأنا جامع لكم أمره): أختصر لكم حاله وحال من أنكر عليه وأضبطه وأقول لكم فيه:

---

(1) سقط من (أ).

(2) سقط من (أ).

(3) في (ب): لمروان.

(302/1)

(استأثر فأساء الأثرة): الأثرة بالتحريك هي: الاسم من الاستئثار وهو الاستبداد، ومراده بذلك الإشارة إلى ما كان منه من إيثارأقاربه من بني معيط بالأعمال على الأقاليم، وإعطائهم الأموال النفيسة التي فيها حقوق غيرهم مع عدم استحقاقهم لها، وكان شديد الحمية عليهم والأنفة لهم.

(وجزعتم فأسأتم الجزع): الجزع: نقيض الصبر، وإساءة الجزع، هي الزيادة على مقدار الاستحقاق في التجاوز إلى القتل، والعقوبة تكون على مقدار الجناية من غير زيادة وتجاوز حد.

(ولله حكم واقع): قول فصل وأمر عدل يوم القيامة.

(في(1) المستأثر والجازع): عثمان وقاتليه، وكلامه عليه السلام ها هنا دال على خطأ قاتليه والإنكار عليهم فيما فعلوه من ذلك.

وحكى قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد(2)، عنه عليه السلام أنه قال:

---

(1) في (أ): بين، وفي (ب) وشرح النهج ما أثبته.
(2) هو: أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل الهمذاني الاستراباذي قاضي القضاة [325-415هـ]، أحد أعلام الفكر الإسلامي، عالم، فقيه مفسر، متكلم، مصنف في شتى الفنون، مولده في ضواحي همذان بإقليم خراسان، ورحل في طلب العلم إلى أقطار عديدة، وهو شيخ الإمامين الأخوين: المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، وأخيه الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، وبايع الإمام المؤيد بالله الهاروني الزيدي، وله مصنفات منها: الأمالي في الحديث المسمى (نظم الفوائد وتقريب المراد للرائد) ومنها: (تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنها: (تنزيه القرآن من المطاعن) ومنها: (شرح الأصول الخمسة)، ومنها: (فضل الاعتزال) و(طبقات المعتزلة)، وغيرها (عنه وعن مؤلفاته ومصادر ترجمته انظر أعلام المؤلفين الزيدية صـ532-535).

(303/1)

(اللَّهُمَّ، العن قتلة عثمان في البروالبحر والسهل والجبل)(1). وهذا هواللائق بمثله لعلوه في الدين وشهامة نفسه في الورع؛ لأن إراقة دم امرئ مسلم حرام فضلاً عن من له مزية الصحبة وحرمة الإسلام.
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أعان على قتل مسلم ولو بنصف كلمة، كان حقاً على الله أن يعذبه))(2).
وفي حديث آخر: ((لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا))(3).

(31) ومن كلام له عليه السلام قاله لابن عباس لما أنفذه إلى الزبير ليستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل

(لا تلقينَّ طلحة): لاتراوده بكلام، ولا تفاتحه في مخاطبته(4).
(فإنك إن تلقه): تخاطبه وتشافهه.
(تجده كالثور عاقصاً قرنه): العقص هو: اللي، ومنه قولهم: تيس أعقص، إذا التوى قرناه على أذنيه من خلفه، وعقص الشعر: ضفره، وجعله معقوصاً في قفاه.

---

(1) المغني الجزء المتمم العشرين 43/2.
(2) ورد الحديث بلفظ: ((من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة))، في موسوعة أطراف الحديث 104/8، وعزاه إلى تلخيص الحبير لابن حجر 14/4، وله فيها شواهد عدة، وقريباً منه بلفظ: ((من

أعان بشطر كلمة على قتل امرئ مؤمن بغير حق لقي الله عزّ وجلّ مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله))، رواه العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام 157/5-158 وعزاه إلى الجامع الكافي لأبي عبد الله العلوي، وانظر الكشاف583/1-584.

(3) أورده في موسوعة أطراف الحديث 608/6، وعزاه إلى الكامل لابن عدي 454/2، وسنن النسائي (باب المحاربة) (ب2)، ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام 159/5 وعزاه إلى النسائي عن بريدة.

(4) في (ب): مخاطبة.

(304/1)

وفي الحديث: ((نهى رسول الله صلى الله عليه عن عقص الشعر في الصلاة)).

(يركب الصعب ويقول: هو الذلول): يأتي الأمور الصعبة على حد إتيانه للأمور السهلة، وجعل ما ذكره مثالاً بحاله في لجاجه وتكبره وشكاسة طبعه وشرس خليقته.

(ولكن الق الزبير): فاتحه في الكلام وعاتبه.

(فإنه ألين عريكة): يقال: فلان لين العريكة، إذا كان سلساً منقاداً والعريكة هي: الطبيعة.

(فقل له:): أبلغه عني رسالة.

(يقول لك ابن خالك:): لأن الزبير أمه صفية بنت عبد المطلب عمة أمير المؤمنين.

سؤال؛ لِمَ قال ها هنا: يقول لك ابن خالك، ولم يقل: [يقول(1)]لك أمير المؤمنين فيخاطبه بإمرة المؤمنين، التي هي علامة الإمامة وأمارتها، والشأن في تقريرالإمامة وثبوتها؟

وجوابه؛ هو: أنه وإن كان الأمر كما قلته من إثبات الإمامة، لكن الغرض ها هنا هو تقريبه واستعطاف حاله وفيئه إلى الحق وتعريفه البصيرة، فلهذا كان ذكر الرحم التي بينه وبينه أقرب إلى الإصغاء وأدعى إلى الإقبال والانصراف عمّا هو فيه من البغي والشقاق.

(عرفتني بالحجاز): في المدينة حيث دفعت البيعة، والحال يومئذ حال مسالمة.

(وأنكرتني بالعراق): البصرة وما يليها وهو عراق العرب، وخوارزم ونواحيه وهو عراق العجم، وإنما قال بالعراق يذكره مكان(2) البغي ومواضع المشاقة، لأنها كانت هناك.

---

(1) سقط من (أ).

(2) في (ب): بمكان.

(305/1)

(فما عدا مّمَا بدا!): أي ما أبعدك من قولهم: بعاداً عن كذا إذا بعد عنه، أو ما جاوزك من عدا يعدو إذا جاوز مما ظهر منه من أمر البيعة، وما الأولى استفهامية، والثانية موصولة، ومن لابتداء الغاية، وهذه الكلمة لم تسمع(1) من أحد قبل أمير المؤمنين، فهو أبو عذرتها وابن نجدتها، وقد جرت مجرى الأمثال، ولقد بلغت هذه الكلمة في العتاب وحسن الاستعطاف وقطع المعذرة(2) له مبلغاً لا أمد له ولا غاية وراءه.

(32) ومن خطبة له عليه السلام

(أيها الناس، إنا أصبحنا في دهر عنود): أي مائل عن الحق، من قولهم: عَند عن الطريق، إذا مال عنها، والمراد بذلك أهله، وإنما أضافه إليه لأن خلائق الناس وطبائعهم تابعة لأزمانهم التي هم فيها.

(وزمن شديد): لما فيه من مكابدة الشدائد، ومعاناة الفتن.

(يعدُّ فيه المحسن مسيئاً): المسيء كما يكون مسيئاً بفعل الإساءة فقد يكون مسيئاً بترك الإحسان، ومراده هاهنا هو أن يكون المحسن بمنزلة من ترك الإحسان لما يظهر من كفران نعمته.

(ويزداد الظالم فيه عتواً): تمادياً فيما هو فيه من الظلم لعدم من ينكره عليه، يقال: عتا يعتو عتواً وعتياً.

قال محمد بن السري(3): مصدر عتا يكون بالواو، فنقول فيه: عتواً، وأما عتياً جمع عاتي فقياسه الياء؛ لأن الجمع أثقل من المفرد فلهذا قلبوه إذا كان جمعاً، قال الله تعالى: {وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًاً}[الفرقان:21].

---

(1) في (أ): يسمع، وفي (ب) ما أثبته.

(2) في (ب): المصدر.

(3) هو: محمد بن السري بن سهل، أبو بكر، المعروف بابن السرَّاج، المتوفى سنة 316هـ، أحد أئمة الأدب والعربية، من أهل بغداد، له مصنفات، منها: الأصول في النحو، وشرح كتاب سيبويه وغيرهما (انظر الأعلام6/136).

(306/1)

(لا ننتفع بما علمنا): أي لا نعمل بما علمنا، وذلك هو النفع.

(ولا نسأل عمّا جهلنا): بل نعمل بالجهل ولا نبالي.

(ولا نتخوف قارعة): ولا نتوقى حصول قارعة ولا نحذرها.

(حتى تحل بنا): تكون واقعة بنا، ولا ينفع الحذر بعد ذلك؛ لأن الحذر من الشيء بعد وقوعه وحصوله لا فائدة فيه ولا جدوى له، وعنى بما ذكره أهل زمانه.

(فالناس): بالإضافة إلى إقبالهم إلى الدنيا، وإعراضهم عن الآخرة.

(على أربعة أصناف: فمنهم(1) من لا يمنعه الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه): أي لا يمنعه خوف الله وتقواه، وإنما منعه ذل نفسه وحقارتها وهونها.

(وكلالة حده): أي لا شوكة له لقلة الأتباع والعشيرة.

(ونضيض وفره): مال نضيض إذا كان قليلاً، وهو بالنون والضاد المعجمة، والوفر: المال؛ لأنه يفر(2) ويجتمع.

(ومنهم المصلت لسيفه): صلت سيفه إذا جرده عن غمده.

(والمعلن بشره): علن الشيء علانية إذا ظهر، وأراد المظهربشره.

(والمجلب بخيله ورَجْله): والمجلب هو: الجالب، والخيل هم: الخيالة، والرجل هم: الرجالة.

(قد أشرط نفسه): أشرط نفسه بكذا إذا علمها بعلامة، ومنه أشراط الساعة أي علاماتها، وأصله الشرط، وهو: العلامة للشيء.

(وأوبق دينه): أي أهلكه، والإيباق: الإهلاك.

(بحطام(3)): أشرط نفسه وأوبقها من أجل حطام، وهو عرض الدنيا.

---

(1) في شرح النهج: منهم.

(2) أي يكثر ويتسع.

(3) في شرح النهج: لحطام.

(307/1)

(ينتهزه): أي يستعجله ويغتنمه، ومنه الحديث: ((من فتح الله له باب خير فلينتهزه؛ فإنه لا يدري متى(1) يغلق عنه)).

(أو مِقْنِب يقوده): المقنب: ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل.

(أو منبر يفرعه(2)): من قولهم: قرعته بالعصا؛ لأن العادة ممن يعلو المنبر أن يتوكأ على سيف أو قوس يقرعه بها، ومن هذه حاله فهو خاسر الصفقة.

(ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً): اللام هذه في لبئس هي المحققة للجملة بعدها، والمعنى ولبئس التجارة أن تكون الدنيا مع انقطاعها وحقارة عيشها ثمناً لأنفس الأشياء عندك وهي نفسك.

(وممَّا لك عند الله عوضاً!): وأن ترى الدنيا عوضاً عمَّا أعد الله لك من الثواب الجزيل.

(ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة): فتظهر من نفسك النسك وتستعمل أنواع الزهاده توصلاً إلى زينة الدنيا وحطامها.

(ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا): وليس كدحه في طلب الدنيا من أجل صلة الأرحام واصطناع المعروف، وإنما يريد بذلك الفخر والرياء وطلب المحمدة من اللئام، فصار جامعاً بين محذورين: طلب الدنيا بعمل الآخرة فيصير مرائياً، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا فيصير مخادعاً لنفسه.

---

(1) في (أ): ما، والحديث بلفظ: ((من فتح له باب من الخير فلينتهزه)) في موسوعة أطراف الحديث، 416/8 وعزاه إلى كنز العمال (43134) وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل 394، وموارد الظمآن 38، والمغني للعراقي 3/ 329، والحديث بلفظ المؤلف هنا رواه العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار 466/1 في الباب السادس والثمانين وعزاه إلى مسند الشهاب. (وانظر تخريجه فيه).

(2) في شرح النهج: يفرعه، أي يعلوه.

(308/1)

(قد طامن [من](1) شخصه): أي سكَّن نفسه عمل الأبرار وأهل الصلاح.

(وقارب من خطوه): عمل أهل السكينة والوقار.

(وشمَّر من ثوبه): تقشفاً وزهادة.

(وزخرف من نفسه): زين قوله بالوعظ والمواظبة علىالذكر.

(للأمانة): من أجل أن يؤتمن على الأمانات فيخون فيها.

(واتخذ ستر الله): جعل ما كان من إسلامه وزهده الساترين لما في ضميره(2).

(ذريعة): وسيلة يتوصل [بها] (3).

(إلى(4) المعصية): كا لخيانة في الودائع والشهادة الكاذبة.

اللَّهُمَّ، إنَّا نعوذ بك من الاغترار بسترك، والإقدام على معصيتك لمكان حلمك.

(ومنهم من أقعده(5) عن طلب الملك): الأمر والنهي والحل والعقد والتسلط على رقاب الناس وغير ذلك لايمنعه إلا.

(ضئولة نفسه): حقارتها وصغرها، من قولهم: ضأل جسمه إذا ضعف.

(وانقطاع سببه): من الأموال والتكثر بالعشائر وأنواع القوة.

(فقصر به(6) الحال): الحال يذكر ويؤنث، وأراد قصره التقدير والقضاء وما سبق في علم الله له.

(على حاله): التي هو عليها من غير زيادة ولا نقصان فلما عجز عن ذلك أظهر حالة أخرى.

(فتحلى): أي اتصف، من قولهم: حليت الرجل إذا وصفته.

(باسم القناعة): أي صار متصفاً بها، وإنما قال باسمها تنبيهاً على أنه ليس له من القناعة إلا الاسم والعبارة دون الحقيقة والمعنى، والقناعة: هي الرضى بالدون من الأشياء.

(وتزيَّن): تفعل من الزينة.

(بلباس أهل الزهادة): ليقال: هو منهم ومندرج(7) في غمارهم.

---

(1) سقط من (أ).

(2) في (أ): ضمير بدون الهاء، وما أثبته من (ب).

(3) سقط من (أ).

(4) في (أ): أتى وهو تحريف، وفي النهج وفي (ب)ما أثبته.

(5) في شرح النهج: أبعده.

(6) في شرح النهج: فقصرته.

(7) في (أ): ومندرجاً.

(309/1)

(وليس من ذلك): الإشارة إلى ما تقدم ذكره من الزهد والقناعة.

(في مراح ولا مغدى): المراح والمغدى كما يحتمل أن يكونا مصدرين، كما يقال(1): ليس من الأمر في ورد(2) ولا صدر، فهما أيضاً يحتملان الموضع، والغرض من ذلك هو أنه لا نصيب له في شيء من ذلك.

(وبقي رجال): غير من تقدم ذكره.

(غض أبصارهم): خفضها، من قولهم: غض طرفه إذا خفضه.

(ذكر المرجع): ما يتذكرونه من الرجوع إلى الله، وكان قياس المرجع الفتح، ولكنه خرج عن قياس بابه كا لمصير.

(وأراق دموعهم): صبها من أرقت الماء إذا صببته.

(خوف المحشر): الورود(3) إلى الله تعالى والوقوف بين يديه.

(فهم بين شريد): مطرود.

(ناد): الناد هو: النافر.

(وخائف): مشفق.

(مقموع): ذليل.

(وساكت): صامت.

(مكعوم): مشدود(4) على فِيْه عن أن ينطق.

(وداع): إلى الله متضرع إليه.

(مخلص): لا يرجو غيره، ولا يخاف سواه.

(وثكلان): فاقد لولده، من الثكل وهو: فقد الولد.

(موجع): لما أصابه من ألم الثكل.

(قد أخملتهم): أسقطت ذكرهم، ومنه فلان خامل الذكر إذا كان ساقطاً.

(التّقيّة): وهي التقوى وخوف الله تعالى في كل الأحوال.

(وشملهم(5)): عمهم.

(الذلة): الهوان لأنفسهم.

(فهم في بحر أجاج): الأجاج هو: المالح الزعاق، الذي لا يستطاع شربه، وأراد أنهم في أمر هائل وخطب عظيم، كمن يكون في البحر المالح لا يستطيع أن يشرب منه فهو في قلق وإشفاق.

(أفواههم): من شدة الخوف والقلق.

(ضامرة(6)): جافَّة، لأن الإنسان إذا اشتدَّ خوفه وإشفاقه، جفَّت الرطوبة من فِيْهِ وتقلصت عنه.

---

(1) في (ب): قال.

(2) في (أ): ورود.

(3) في (ب): الوارد.

(4) في (أ): مسدود.

(5) في شرح النهج: وشملتهم.

(6) في شرح النهج: ضامزة بالزاي، أي ساكنة.

(وقلوبهم): من ذكر الجنة والنار.

(قرحة): مجروحة، والقرح: هو الجرح.

(قد وعظوا): كررت على آذانهم الموعظة فوقعت في قلوبهم.

(حتى ملّوا): من ذكرها في قلوبهم، وجعلها نصب أعينهم.

(وقهروا): فما لأحد منهم أمر ولا سطوة في شيء.

(حتى ذلوا): اعتراهم الذل وسلط(1) عليهم.

(وقتلوا): على إقامة حدود الله، وإعزاز كلمته وإظهار دينه.

(حتى قلّوا): فلا يوجد منهم إلا النادر القليل.

(فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم): أذل وأحقر وأهون(2) في مرائي بصائركم:

(من حثالة القرظ(3))): الحثالة من كل شيء هو: أردؤه وأهونه، والقرظ: شجر يدبغ به، وحثالته: ما بقي(4) منه بعد الدبغ به.

(وقراضة الجلم): وهو ما ينحت عند القطع بالجلم وله شفرتان.

(واتعظوا(5) بمن كان قبلكم): انظروا في أحوالهم وسيرهم، فالسعيد من وعظ بغيره.

(قبل أن يتعظ بكم من بعدكم): أراد قبل أن تموتوا فتصيروا موعظة لمن يأتي خلفكم.

(وارفضوها): اتركوها من قولهم: رفضه إذا تركه.

(ذميمة): مذمومة لنفادها، وانقطاع لذتها، وكثرة ما يكون من تبعتها(6).

(فقد(7) رفضت): تركت.

(من كان أشغف منكم بها): ناس بلغ حبها شغاف قلوبهم، والشغاف: حجاب القلب.

---

(1) في (ب): وشلط.

(2) في (أ): وهون، وما أثبته من (ب).

(3) في شرح النهج: القرظ كما أثبته، وفي النسختين: القرض، بالضاد المعجمة وهو تحريف.

(4) في (ب): وحثالة ما يبقى منه..إلخ.

(5) في (أ): وتعظون ، والصواب كما أثبته من (ب).

(6) في (ب): تبعها.

(7) في شرح النهج: فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم.

(311/1)

وهذه الخطبة لم تترك لزاهد علة إلا شفتها، ولا حاجة لعابد إلا كفتها، وقد نسبها من لا علم له بالبلاغة، ولا عهد له بأساليب الفصاحة إلى معاوية، ولقد نقصَّها فيما قال وظلمها، وأزال عنها برهانها وعَلَمَها، وهيهات ثم هيهات! أين الإبريز عن الأرزيز!(1) وشتان ما بين الدر المنضد والخشب المعقد! وقد دل على ذلك أستاذ البلاغة وسفيرها وحاكمها وأميرها عمرو بن بحر الجاحظ(2)، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب (البيان)، وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم قال: إنها بكلام أمير المؤمنين أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس وتقسيمهم إلى ما هم عليه أحق وأليق،

ثم أقول: ليت شعري متى وجدنا معاوية يرد هذه الموارد الصافية، ويقرع القلوب بهذه المواعظ الشافية، وأين عهدناه يحث على وظائف العبادة، ويحض على مسالك الزهادة.

---

(1) الإبريز: الذهب الخالص، والإرزيز: بَرَدٌ صغار كالثلج. (انظر القاموس المحيط).

(2) هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي، أبو عثمان، المشهور بالجاحظ [255.163هـ]، من أئمة الأدب العربي، ورئيس الفرقة الجاحظية المعتزلية، من أهل البصرة مولداً ووفاة، وتعلم بها وببغداد، فنبه في علوم الأدب واللغة، وتقرب من الخلفاء والوزراء في عصره، وله مؤلفات كثيرة، منها: البيان والتبيين، والحيوان، والبخل والبخلاء وغيرها (انظر معجم رجال الاعتبار ص314).

(312/1)

---

(33) ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: دخلت على أمير المؤمنينعليه السلام بـ (ذي قار)(1) وهو يخصف نعله، فقال لي:

(ما قيمة هذه النعل)، فقلت: لا قيمة لها.

فقالعليه السلام: (والله لهي أحب إلي من إمرتكم هذه(2)، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً).

ثم خرج عليه السلام فخطب الناس، فقال:

(إن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله): اصطفاه واختاره.

(وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة): أراد ذكر عظم موقع(3) النعمة على الخلق ببعثة الرسول، حيث كانوا قبل مبعثه في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، لا كتاب بين أظهرهم يرشدهم إلى الخير، ولا رسول فيهم يدعوهم إلى الدين.

(فساق الناس): أراد أنه كان لهم بمنزلة السائق من ورائهم.

(حتى بوّأهم محلتهم): مكنهم في أماكنهم، وأنزلهم منازلهم، والمِحلة بالكسر في فائها: موضع الحلول، كما أن المنزلة موضع النزول.

(وبلّغهم منجاتهم): أوصلهم، من قولهم: أبلغته مأمنه أي أوصلته، قال الله تعالى: {ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}[التوبة:6] والمنجاة(4): مصدر من نجا ينجو منجاة كالمسعاة والمرضاة.

(فاستقامت قناتهم): بحميد سعيه، واستعاره من استقامة الرمح، وهو أن لا يكون فيه اعوجاج.

---

(1) ذو قار، موضع قريب من البصرة، وهو المكان الذي كانت فيه الحرب بين العرب والفرس،

ونُصرت العرب على الفرس قبل الإسلام (شرح ابن أبي الحديد 186/2).
(2) قوله: هذه، سقط من شرح النهج.
(3) العبارة في (أ): أراد عظم ذكر النعمة، وفيها سقط وغموض، وما أثبته من (ب).
(4) في (أ): والنجاة.

(313/1)

(واطمأنت صَفَاتُهم): أي استقرت ورسخت، والصفاة: صخرة ملساء واستعاره منها، [وفي المثل: فلان لا تبدى صفاته إذا كان بخيلاً، وإنما استعاره منها] (1) لما فيها من الرسوخ والاستقرار في مقرِّها.
(أما والله إن كنت لفي ساقتها): الضمير في ساقتها للصفاة والقناة، والساقة: مؤخر الجيش، وإن هاهنا هي المخففة من الشديدة، واللام جيء بها للفرق بينها وبين النافية، واسمها محذوف وتقديره: إني لفي ساقتها.
(حتى تولت بحذافيرها): أراد حتى استقر الإسلام وتأيد الدين ورسخت أصوله، والحذافير: أطراف الشيء وأعاليه، والمراد بأسرها.
(ما عجزت): العجز: نقيض القدرة.
(ولا جبنت): ذللت عن ملاقاة الأعداء ومنازلة الشجعان من أهل الشرك وعبدة الأوثان.
(وإن مسيري هذا): أراد أن مغاري هذا وحربي لأهل الشام.
(لمثلها): الضمير للساقة التي تقدم ذكرها، وأراد أن قتال هؤلاء معي كقتالي لأولئك(2) مع رسول الله.
سؤال؛ كيف قال: إن قتال هؤلاء معي(3) مثل قتال من كان في زمن الرسول، والمعلوم أن هؤلاء من أهل القبلة، وأقصى ما في ذلك أنهم فسَّاق تأويل فكيف قال: إن قتالهم مثل أولئك؟
وجوابه؛ أنه لما أراد المماثلة في كونه حقاً مقطوعاً بقتالهم وواجب عليه، لا في كونهم كفاراً، فالمعلوم من حاله أنه ما عاملهم معاملة الكفار في السبي وسائر الأحكام الكفرية، وإنما عاملهم معاملة البغاة.
(فلأنقبن الباطل): نقب الشيء إذا خرقه.
(حتى يخرج الحق من جنبه): وهذا منه تمثيل؛ لأن يكون [الحق] (4) مغطى عليه فلا يخرج إلا بالنقب والخرق، والجنب هو الجانب للشيء.

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (أ).
(2) في (أ): كقتال أولئك، وما أثبته من (ب).

(3) قوله: معي سقط من (ب).
(4) سقط من (أ).

(314/1)

(ما لي ولقريش)!: تعجبٌ منه [من](1) اعتراضهم له، وتألبهم عليه في نصرة الباطل وإشادته.
(والله لقد قتلتهم(2) كافرين): عابدين للأصنام والأوثان، منكرين للنبوة، وأراد ما كان في أيام الرسول عليه السلام من معارضة قريش له.
(ولأقاتلنَّهم(3) مفتونين): يعني وأنا الآن أقاتلهم على بغيهم وفسقهم، وافتتانهم بالتأويل الذي لا ينفعهم عن حربي وقتالي.
(وإني لصاحبهم): الذي يعرفونه من قبل.
(بالأمس): أيام قتالي مع الرسول للكفار منهم.
(كما أنا اليوم صاحبهم(4)): كما أنا(5) اليوم أقاتلهم فأقتل الناكثين والمارقين والقاسطين كما قتلت الكافرين.

---

(1) سقط من (أ).
(2) في شرح النهج: قاتلتهم.
(3) في (ب) وشرح النهج: ولأقاتلنهم، كما أثبته، وفي (أ): ولأقتلنهم.
(4) بعده في شرح النهج(185/2): والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا، فكانوا كما قال الأول:
أدمت لعمري شربك المحض صابحاً .... وأكلك بالزَّبد الْمُقشَّرة البُجْرَا
ونحن وهبناك العَلاَء ولم تكن .... عليًّا، وحُطْنَا حولك الجُرْدَ والسُّمرَا
انتهى.
(5) في (ب): أني.
(6) في (ب): بالجهاد

(315/1)

---

(34) ومن خطبة له عليه السلام في الاستنفار إلى أهل الشام للجهاد(6)

(أفٍّ لكم): أراد أتضجر من أفعالكم، وأتسخر من شيمتكم، وأستقذر صنيعكم(1) في ترك الجهاد وإهماله، وهو منون دلالة على تنكيره، وفيه لغات ست، حكاها الأخفش: ثلاث مع الحركة، وثلاث مع التنوين(2).

(لقد سئمت عتابكم): العتاب هو: الاسم من المعاتبة، وهي مصدر عاتبته معاتبة.

قال الخليل بن أحمد(3): العتاب: مخاطبة الإدلال وذكر الموجدة، وأنشد:

أُعَاتِبُ ذَا الْمَوَدَّةِ مِن صَدِيْقٍ .... إذا ما رَابَنِي منه اجتنابُ

إذا ذهب العتابُ فليس وِدٌّ .... ويبقى الودُّ ما بَقِيَ العتابُ

ويقال: أصلح بينهم العتاب، والسآمة هي: الملالة، من سئم الشيء إذا ملّه، ومراده لقد كررت العتاب عليكم حتى مللته لكثرته.

(أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً): أراد ترضون بعيشة منقطعة عوضاً عن ثواب دائم في الآخرة.

(وبالذل): بترككم(4) الجهاد وإعراضكم عنه.

(من العز): بجهاد عدوكم.

(خلفاً): يخلفه ويقوم مقامه.

---

(1) العبارة في(أ) من أولها هكذا: تضجر من أفعالكم، وتسخر من سمتكم، واستقرر صنيعكم، وفيها كما ترى سقط وتحريف، وما أثبته من (ب).

(2) الثلاث التي مع الحركة هي: أُفَّ، أُفِّ، أُفُّ، والتي مع التنوين هي: أُفٍّ، أُفًّا، أفٌّ.

(3) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن [170.100هـ] من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، ولد ومات في البصرة، وهو مؤلف كتاب (العين)، أول معجم لغوي رتب فيه كلام العرب على أبوابه، (انظر الأعلام 314/2)._ ... _والبيتان اللذان أوردهما المؤلف هنا، هما أيضاً في لسان العرب 674/2-675، بدون نسبة إلى قائلهما.

(4) في (أ): ترككم.

(إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم): إذا ناديتكم وحببتكم إلى قتال هؤلاء البغاة أعدائي وأعدائكم في الدين.

(دارت أعينكم): فشلاً وجزعاً وتحيراً.

(كأنكم من الموت في غمرة): الغمرة هي: شدة الموت وكربه، مثّل حالهم عند الدعاء إلى الجهاد بمنزلة من يغشاه الموت وتغمره شدائده، فلا(1) يكون من جهته إلا دوران العين في وجهك، ولا ينطق بحلوة ولا مرة.

(ومن الذهول في سكرة): ذهل عن الشيء إذاغفل عنه فلم يذكره؛ بمنزلة السكران الذي غلبه السكر وغطى على قلبه.

(يُرتج عليكم حواري): ارتج عليه الكلام إذا ختم على فِيْهِ فلا ينطق، مبنياً لما لم يسم فاعله، وباب مرتج إذا كان مغلقاً، والحوار والمحاورة هي: المجاوبة.

(فتعمهون): العمه: التحير والتردد، يقال: عمه الرجل يعمه فهو عامه أي متحير، ومراده أخاطبكم فتستغلق عليكم مجاوبتي تحيراَ وذهاباً في التردد كل مذهب.

(وكأن(2) قلوبكم مألوسة): الألس: ذهاب العقل واختلاطه، والمألوس: المجنون.

(فأنتم لا تعقلون): ما يراد منكم، مثَّل حالهم في قلة تمييزهم وتحيرهم في مسالكهم بمنزلة من اختلط في عقله فلا عهد له بالتمييز.

(ما أنتم لي بثقة): فأتكل عليكم في جميع أموري بالنصح والمودة.

(سجيس الليالي): أبد الدهر وعمره.

(ما أنتم(3) بركن): ركن الشيء: جانبه الأقوى.

(يمال(4) به): يعتضد به ويستند إليه، وفلان يأوي إلى ركن شديد أي عز ومنعة، وأراد أنكم لستم أهلاً لمن يعتز بكم ويلوذ إلى جانبكم.

(ولا زوافر عِزّ): زفرالبحر [يزفر] (5)إذا اشتد موجه وعلا، والزافرة هي: النار، والزافرة هي: عشيرة الرجل.

---

(1) في (ب): ولا.

(2) في شرح النهج: فكأن.

(3) في شرح النهج: وما أنتم.

(4) في شرح النهج: يمال بكم.

(5) سقط من (أ).

(يفتقر إليكم): يحتاج إليكم عند النوائب، وتكونون ملجأ عند وقوعها.

(ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها؛ فكلما جمعت من جانب انتشرت من جانب(1))): ما مثلكم فيما أدعوكم إليه من أمرالجهاد ومنابذة من خالف الحق في تفرقكم عمَّا أقول، وتشتت آرائكم فيما أريد، إلا كإبل تجتمع مرة وتفترق أخرى، تجتمعون عند سماع كلامي، ثم تتفرقون(2) بعد ذلك عن مخالفة وتخاذل.

(بئس(3) لعمر الله): بئس كلمة ذم، ولعمرالله قسم، وقد قررنا(4) تفسيره من قبل.

(سعر[نار](5) الحرب أنتم): سعرالنار: لهبها وهيجانها، وسعر الحرب: شدته وحميه، وهو مأخوذ من استعار(6) النار وهو تلهبها: قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ}[القمر:47] والسعير(7) هو: اسم من أسماء جهنم، ومراده أنكم بئس قوماً يستنصربهم في الحرب، ويستعان بهم عند شدتها والتهابها.

(تُكَادُوْن): يمكر بكم، وتخدعون في الحرب.

---

(1) في نسخة وفي شرح النهج: انتشرت من جانب آخر.

(2) في (أ): ثم تفترقون بعد ذلك مخالفة وتخاذل.

(3) في شرح النهج: لبئس.

(4) في (ب): حررنا.

(5) سقط من (أ).

(6) في (ب): إسعار، وهو لهبها.

(7) في (ب): والسعر.

(318/1)

(ولا تكيدون): ولا تفعلون كما يفعل بكم(1) عجزاً منكم ونزولاً في هممكم(2)، ويحتمل أن يكون مراده تحاربون ولا يكون(3) منكم حرب لغيركم، والمكيدة هي: الحرب. وفي الحديث: ((خرج رسول الله فلم يلق كيداً)) (4) أي لم يصادف حرباً.

(وتنتقص أطرافكم): أراد بنقص الأطراف إما أخذ بعض البلدان، وإما قتل بعضهم، وفي قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا}[الرعد:41] إما بموت العلماء، وإما بخراب أطرافها.

(فلا تمتعضون): بالعين المهملة والضاد بنقطة من أعلاها(5)، والمعض: الغضب، يقال: معضت من الأمر أمعض معضاً إذا غضبت منه، فأما المغص بالصاد المهملة والغين بنقطة من أعلاها فهو تقطيع في المعاء وهو محتمل ها هنا أيضاً، وسماعنا في الكتاب هو الأول.

(لا يُنَامُ عنكم): أراد [أن] (6)أعدائكم قد أبطأهم السهر في إرصاد الحرب وطلب المكائد لكم.
(وأنتم في غفلة ساهون): غافلون عن مكايدة(7) الحرب ومراصدها.
(غُلب والله المتخاذلون!): لأن مع التخاذل ذهاب الاجتماع والألفة وحصول الفشل، وهذه الأمور كلها مظنة الغلب، ولهذا قال تعالى: {وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال:46].

---

(1) في (أ): لكم، وما أثبته من (ب).
(2) في (أ): همتكم.
(3) في (ب): ولا يكن.
(4) هو: في نهاية ابن الآثير 216/4 من حديث ابن عمر بلفظ: ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزا غزوة كذا فرجع ولم يلق كيداً))، وهو من حديث ابن عمر أيضاً وبلفظ النهاية في لسان العرب 320/3.
(5) في (أ): أعلا.
(6) سقط من (أ).
(7) في (ب): مكايد.

(319/1)

(وايم الله؛): هي كلمة تستعمل في القسم، وفيها لغات كثيرة(1)، وهي مرفوعة على الابتداء، وخبرها محذوف تقديره: ايم الله قسمي.
(إني لأظن بكم): ليغلب على ظني، وتصدق فيه فراستي لما أرى من تخاذلكم.
(أن لو خمش(2) الوغى(3)): الوغى: الحرب، وقوله: خمش بالخاء بنقطة من أعلاها، وشين بثلاث من أعلاها أي توقدت الحرب وتلهبت، من قولهم: أخمشت القدر إذا اتسعت وقودها، فأما حمس بالحاء المهملة وبسين(4) بثلاث من أسفلها، فهو: عبارة عن الشدة في الأمر، لكن الأول هو الأولى، وهو من(5) سماعنا في الكتاب، وأن ها هنا هي المخففة من الشديدة، وهي سادة مسد مفعولي ظننت، ولا بد من اللام في خبرها جواب للو، لكن لفظه قد(6) قامت مقامها في جوابها، وحالها ها هنا مثلها في قوله تعالى: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ}[الجن:16].
(قد انفرجتم عن ابن أبي طالب): فرجت الأمر أفرجه فرجاً إذا كشفته، وانفرج إذا انكشف، والفرج بالتحريك هو: الاسم، والمصدر منه فرْجاً بسكون عينه.

---

(1) يقول النحويون: ايم الله، بفتح الهمزة وكسرها، وربما أبقوا الميم وحدها فقالوا: مُ الله، مِ الله، بضم

الميم وكسرها وربما قالوا: مُنُ الله بضم الميم والنون، ومَنَ الله بفتحهما، ومِن الله بكسرهما، (انظر مختار الصحاح ص745).

(2) في شرح النهج: حمس بالسين المهملة، أي اشتد.

(3) بعده في شرح النهج: واستحر الموت.

(4) في (ب): والسين.

(5) سقط من (ب) قوله: من.

(6) في نسخة: لو، (هامش في ب)

(320/1)

(انفراج الرأس): انفراجاً يشبه انفراج الرأس، وأراد انفصالاً لا اتصال بعده أصلاً، إما بانفراج الرأس عن قبل المرأة فإنه لايرجع إلى مكانه أبداً عند الولادة، وإما انفراج الرأس عن العنق بالقطع فإنه لايرجع أيضاً؛ فكله محتمل كما ترى، وأراد أنهم عند افتراقهم عنه لايرجعون إليه كما يفعل الأبطال عند اللقاء.

(والله إن امرأ يمكِّن عدوه من نفسه): بالسكون عنه، والتغافل عن مكافأته.

(يعرق لحمه(1)): يأخذ اللحم الذي فوقه.

(ويهشم عظمه): يكسره، من قولهم: هشم العظم إذا كسره.

(ويفري جلده): يقدُّه.

(لعظيم(2) عجزه): لقد بلغ في العجز وخساسة النفس وركة الطبيعة مبلغاً لا حد له ولا نهاية وراءه.

(ضعيف ما تضمنت(3) عليه جوانح صدره): من الغيرة على ما فعل به والأنفة، وكل ذلك تأباه الطباع الشريفة، وتكرهه النفوس الأبية، وكل ما ذكره(4) مبالغة في سقوط همة من هذه حاله وسخف طبعه.

(وأنت(5) فكن ذاك): الضمير بقوله: أنت خطاب لبعض من يخاطبه من أصحابه، والإشارة بقوله: ذاك إلى من تقدم ذكره، وهو الموصوف بالعجز، وتمكين نفسه من عدوه.

(إن شئت): المشيئة هي: الإرادة، وأراد إذا شئت أن تكون مثل من وصفت حاله [في](6) العجز والتمكين فكن، فعاره عليك ونقصه على نفسك.

(فأما أنا فوالله): فهمتي أعلا وأشرف، وتأبى طباعي وتكره خلائقي أن أكون كذلك.

---

(1) في (أ): يعرق عظمه، وما أثبته من (ب).

(2) في (أ): لعظم، وما أثبته من (ب).

(3) في شرح النهج: ما ضمت.
(4) في (ب): ما ذكر.
(5) في شرح النهج: أنت بغير واو.
(6) سقط من (أ).

(321/1)

(دون أن أعطي ذلك): دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية، والمعنى أنه يحول بين إعطائي لذلك، يريد التواضع للعدو والتصاغر ليقضي فيَّ أغراضه وينفذ فيَّ أحكامه.

(ضربٌ): نكَّره لما فيه من المبالغة، كأنه قال: ضرب وأي ضرب.

(بالمَشْرَفيَّة): وهي السيوف، قال أبو عبيدة:

نسبت إلى مشارف وهي قرى تدنو من الريف للعرب(1).

(تطير): أي(2) تذهب.

(منه): من أجله وبسببه.

(فراش الهام): عظام رقاق تلي قحف الرأس.

(وتطيح): أي تسقط.

(منه السواعد والأقدام): لشدته وعظم وقعه، فهذا هو الذي تدعو إليه نفسي وتقضي به عزيمتي.

(ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء): من الأقضية والمقادير في الخلق من العز والذل والنصر والخذلان وغير ذلك مما يريد.

(أيها الناس، إن لي عليكم حقاً): لكوني إماماً لكم وخليفة عليكم.

(ولكم عليَّ حق): لكونكم رعية لي، ((وكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته)) (3).

(فأما(4) حقكم عليّ): وإنما قدم ما لهم على حقه لما في ذلك من الاهتمام بأحوالهم، والمواظبة(5) على ما يكون متعلقاً بهم.

---

(1) في (أ): المعرت، وما أثبته من (ب).
(2) قوله: أي سقط من (ب).
(3) الحديث شهير، ومصادره كثيرة انظره وانظر مصادره في مطمح الآمال ص63، وفي موسوعة أطراف الحديث النبوي 453/6.
(4) في (أ): فما، وهو تحريف.
(5) في (أ) و(ب): المواضبة.

(فالنصيحة لكم): [في](1) الأمور الدينية والدنيوية فإن رأس الدين هو النصيحة، كما قال صلى الله عليه وآله: ((ألا إن الدين النصيحة))(2) قالها ثلاثاً.

(وتوفير فيئكم عليكم): الفيء: ما يغنم، ومراده أقسِّمه عليكم من غير خيانة مني فيه، ولا نقص لأحد منكم من نصيبه.

(وتعليمكم كيلا تجهلوا): معالم الإسلام(3) والدين كلها كيلا تجهلوا شيئاً منها.

(وتأديبكم): بتعريف الآداب الحسنة.

(كيما تعملوا(4)): بها فهذا ما يتوجه من حقكم عليَّ.

(وأما حقي عليكم): ما أوجب الله عليكم، وفرضه من أمري.

(فالبيعة(5)): فبأن(6) أكون منكم على ثقة فيما أورد وأصدر من أعباء الإمامة وإيالة السياسة.

(والنصيحة في المشهد والمغيب): عند حضوري وغيبتي لا يفترق الحال في ذلك، كما قال عليه السلام حين ذكر ((أن الدين النصيحة)) ثلاثاً، فقالوا: لمن؟ فقال: ((لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين)).

(والإجابة حين أدعوكم): للجهاد وقتال من ينبغي قتاله من مخالفي الحق.

(والطاعة حين آمركم): بشيء من الأوامر الدينية المصلحة لكم في دينكم ودنياكم.

---

(1) سقط من (أ).

(2) حديث الدين النصيحة، حديث شهير أيضاً ومصادره كثيرة، رواه في مسند شمس الأخبار 135/1 في الباب السادس عشر وعزاه إلى أمالي السمان، وهو في مطمح الآمال ص396، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 44/5، وعزاه إلى مصادره كثيرة منها: البخاري 22/1، ومسلم (الإيمان) ب 23 رقم (95)، والترمذي 1926، وسنن النسائي (المجتبى) 157/7، ومجمع الزوائد 87/1، وغيرها.

(3) في (ب): في الدين.

(4) في شرح النهج: كيما تعلموا.

(5) في شرح النهج: فالوفاء بالبيعة.

(6) في (ب): في أن.

(35) ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم

اعلم أن ما كان من أمر التحكيم، وما جرى فيه(1) من الفتنة، فأمير المؤمنين معذور فيه لأمرين:
أما أولاً: فلأنه لم يصدر عن رأيه ولا كان منه رضى به بل قد نهى عنه، كما سيأتي في [بعض](2) كلامه.

وأما ثانياً: فلأنه لو قدَّرنا أمره به فإنما أمر لما فيه من المصلحة من الاحتكام لأمر الله وأمر كتابه، وحصول الخديعة من بعد لا يمنع من حسن أمره(3) به، والسبب في ذلك هو أنه لما استحر(4) القتل في أيام صفين من أصحاب معاوية، وكان النصر لأمير المؤمنين وأصحابه، وهموا باستئصال شأفتهم وقطع الدابر فيهم؛ أعملوا الحيلة مكراً وخديعة في رفع المصاحف والتحكيم، فكان من أمرالحكمين أبي موسى وعمرو بن العاص ما كان من المكر [والخديعة](5) والخيانة والخلع لأمير المؤمنين، وتقرير أمر معاوية، فقالت الخوارج: أبعد أن قتلنا معك بشراً كثيراً، وقتل منَّا معك بشر كثير [حكمت](6) في دين الله، فهل كنت شاكاً في أمرك،؟ قال: (لا)، قالوا: فهلا قاتلت علىالحق، ولم تحكم، قد أخطأت وكفرت فتب(7) إلى الله تعالى؛ فقال لهم:

---

(1) في (ب): عليه.
(2) سقط من (ب).
(3) في (أ): إمرته، وما أثبته من (ب).
(4) في (أ): استمحر، وهو تحريف.
(5) سقط من (أ).
(6) سقط من (ب).
(7) في (ب): تب بدون الفاء.

(أبعد(1) إيماني بالله، وجهادي مع رسوله، أشهد على نفسي بالكفر قد ضللت إذاً، وما أنا من المهتدين)، ثم اختلف في التحكيم، فقالت الخوارج: كان كفراً، وقيل: كان خطأً، ولكن أمير المؤمنين أكره عليه، وقيل: كان صواباً لاختلاف أصحاب أمير المؤمنين فيه، والحق ما قلناه أولاً من أنه كان كارهاً له في أول الأمر ناهياً عنه، ثم لو أمربه فإنما أمر به لما فيه من ظن المصلحة الدينية والانقياد لأمر الله وأمر كتابه(2)، فلما انقضى أمر التحكيم على ما اشتمل من المكر والخديعة،

قالعليه السلام بعد ذلك

(الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب): أعظم الأمور وأشدها.

(الفادح): فدحه [الأمر](3) إذا بهظه(4) وأثقله، لا تنقل الهمزة فيقال: أفدحه.

(والحدث الجليل): الحدث: الأمر الحادث، الجليل: العظيم حاله، يشير بذلك إلى ما كان من عواقب أمر التحكيم من الخطوب العظيمة والأحداث الجليلة.

(وأشهد أن لا إله إلا الله، ليس معه إله غيره): {إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ}[المؤمنون:91].

وقوله: ليس معه إله غيره بعد قوله: (أشهد أن لا إله إلا الله) استحضاراً للجملة الأولى وتأكيداً لها، ونظيره قوله تعالى: {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[البقرة:33]، فإنها استحضار لما تقدمها من قوله تعالى:{إِنّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[البقرة:30] وهذا من أسرار علوم البيان، ورموزه الدقيقة.

---

(1) في (أ): بعد، بدون همزة الاستفهام، وما أثبته من (ب).

(2) انظر المغني للقاضي عبد الجبار الجزء المتمم العشرين 2/95-111.

(3) سقط من (ب).

(4) في النسخ: بهضه، بالضاد المعجمة وهو تحريف، والصواب كما أثبته.

(325/1)

(وأن محمداً عبده ورسوله): شهادتان أثقل ما وزن، وأفضل ما خزن.

(أما بعد، فإن معصية الناصح): مخالفة الباذل للنصيحة لله تعالى وللرعية.

(الشفيق): المحب، من الشفقة، وهي: المحبة.

(العالم): بما يكون صلاحاً لهم في الدين والدنيا.

(المجرب): للأمور، المحنك بالتجارب.

(تورث الحسرة): الحسرة: أشد التلهف.

(وتعقب الندامة): ويكون عقباها لما فيها من المخالفة له الندم على ما فات(1) من موافقة رأيه.

(وقد كنت أمر تكم في هذه الحكومة): التي كانت سبباً للخدع والمكر.

(أمري): الأمر الذي أرجو أن يكون صلاحاً [لكم] (2) في دينكم.

(ونحلت(3) لكم): أعطيتكم من النحلة وهي: العطية، يقال: نحلته ونحلت له يتعدى ولا يتعدى.

(مخزون رأيي): رأياً كنت خزنته لكم وحررته من أجلكم.

(لو كان يطاع لقصير أمر): هذا مثل مشهور، وكان ها هنا هي الناقصة، وفيها ضميرالشأن والقصة، وسبب ذلك هو أن جذيمة الأبرش قد كان قتل أبا الزباء عمرو بن الظرب، فأرسلت إليه الزباء تستدعيه إلى نكاحها وزينت له ذلك بانضمام ملكها إلى ملكه فاغتر جذيمة بذلك، وعزم على المسير إليها، واستصوب ذلك نصحاؤه إلا قصيراً مولاه فإنه نهاه عن ذلك فخالفه جذيمة، وسار نحو الزباء، فلما قرب من بلد الزباء استقبله جنودها مع الأسلحة وأحاطوا بجذيمة، فقال له قصير: انصرف فلم يقبل جذيمة قوله، وقتلوه، فقال قصير: لايطاع لقصير أمر، فصار مثلاً.

(فأبيتم عليَّ): فكرهتم ما قلته، ورددتم رأيي علي.

(إباء المخالفين الجفاة): الذين دأبهم المخالفة لأمرائهم فيما يقولونه من مصلحتهم، والجفاء: خلاف البر، يقال: جفاه إذا لم يبره.

---

(1) في (أ): على مات، وفيها سقط، وما أثبته من (ب).

(2) سقط من (ب).

(3) في شرح النهج: ونخلت لكم.

(326/1)

(والمنابذين العصاة): المنازعين له في الرأي عصياناً وتمرداً منهم، واستمرت بهم هذه المنازعة والمخالفة.

(حتى ارتاب الناصح بنصحه): خالطت الريبة وهي الشك من كان ناصحاً، وأدخلت عليه الشك في قتاله معي والنصح لي.

(وضن الزند بقدحه): الضن من الضنة، وهي البخل، والزند: عودان أعلى وأسفل، فالأعلى منهما(1) زند، والأسفل زندة يوريان(2) النار، والقدح: ما يخرج منهما من النار، واستعاره ها هنا لما هو فيه من عدم قبول رأيه وبذله للنصح.

(فكنت أنا): فيما بذلته للنصيحة.

(وأنتم(3)): فيما خالفتم.

(كما قال أخو هوازن): دريد بن الصمة(4):

(أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى .... فَلَمْ تَسْتَبِيْنُوا النُّصْحَ إلا ضُحَى الْغَدِ(5))

---

(1) في (أ): هبهما، وهو تحريف.

(2) في (أ): يورثان، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته من (ب).

(3) في شرح النهج: وإياكم.

(4) هو: دريد بن الصمة الجشمي البكري، المتوفى سنة 8هـ، من هوازن، شجاع من الأبطال الشعراء المعمرين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وأدرك الإسلام ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين (الأعلام 339/2).

(5) البيت الذي تمثل به أمير المؤمنين علي عليه السلام لدريد بن الصمة، هو من جملة أبيات أوردها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة 205/2 وهي:

نصحت لعارض وأصحاب عارض .... ورهط بني السوداء والقوم شُهدَّي

فقلت لهم: ظنوا بألفي مدجج .... سراتهم في الفارسيِّ المسرّدِ

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى .... فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغدِ

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى .... غوايتهم وأنني غير مهتدي

وما أنا إلا من غزيّة إن غوت .... غويت وإن ترشد غزيّة أرشدِ

(327/1)

وكان من قصته أن أخاه عبد الله بن الصمة غزا قوماً، وغنم منهم، وساق إبلهم وأقام بمنعرج اللوى فنهاه دريد عن المقام بذلك الموضع، وقال له: إن القوم سيطلبونك ويتبعونك فلجّ أخوه وأقام، ثم ظعن دريد، ولحق القوم أخاه فقتلوه وأفلت دريد، فقال هذا البيت، فتمثل به أمير المؤمنين، فحصل من مجموع ما ذكرناه أن إعرابه وموضع التمثيل منه ظاهران، فلا حاجة بنا إلى شرحه.

(36) ومن خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهر(1)

هؤلاء قوم كانوا في معسكر أمير المؤمنين فتأخروا عن متابعته بغياً وعناداً، وهم القرَّاء، وكان عددهم إلى زهاء أربعة الآف فأبلغ إليهم في الإعذار والتخويف، فأبوا فقال لأصحابه:

(اقتلوهم، فوالله ما يقتل منكم عشرة، ولا يبقى منهم عشرة) وكان فيهم ذو الثُّديَّة، وكان من جملة ما خاطبهم به من التخويف والإبلاغ في المعذرة.

(فإني(2) نذير لكم): النذير هو: المعلم، والإنذار هو: الإعلام، وهو لا يكون إلا في الأمور المخوفة، قال تعالى: {نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}[سبأ:46].

(أن تصبحوا صرعى): مقتولين في مصارعكم، وهي: أماكن القتل.

(بأثناء هذا النهر): جوانبه ونواحيه.

(وأهضام(3) هذا الغائط): الأهضام: جمع هِضْمٍ بكسر الفاء، وهو: ما اطمأن من الأرض واستدق، والأهضم من الخيل: ما استدق أعلاه(4) جنبيه.

قال ابن السكيت: ما استدق(5) أهضم، وهو عيب فيها، والغائط: ما اطمأن من الأرض وكان واسعاً.

(على غير بينة من ربكم): من غير حجة واضحة أخذتموها من كتاب الله أو سنة رسوله.

---

(1) في شرح النهج: النهروان.

(2) في شرح النهج: فأنا.

(3) في شرح النهج: وبأهضام.

(4) كذا في النسختين، ولعل الصواب: أعلا.

(5) في (أ): ما سبق.

(328/1)

(ولا سلطان مبين معكم): ولا برهان صاحبكم وأدليتم به في مخالفتكم هذه وبغيكم في تأخركم عن معسكري بغياً وعناداً.

(قد طوَّحت بكم الدار): أذهبتكم حالتكم هذه في داركم إلى مذهب من الحيرة، والتطويح: التحير.

(واحتبلكم المقدار): الاحتبال افتعال، واشتقاقه من الأحبولة، وهي: شرك الصائد، والمقدار هو: التقدير، قال الله تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}[الرعد:8] والمعنى: واصطادكم التقدير بسوء آرائكم(1).

(وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة): بلغت جهدي في المنع عنها لما فيها من الفتنة، ووقوع الشك والريبة، والفت في أعضاد المسلمين عن قتال عدوهم، وقطع دابره، واستئصال شأفته.

(فأبيتم عليَّ): فغلبتموني وعلا رأيكم على رأيي حيث كان سبباً لفتنتكم بتأخركم عني.

(إباء المخالفين المنابذين): فعل من يريد انشقاق العصا لمخالفته، ومنازعتي لما أنا فيه؛ فكان لكم الغلبة في أمر هذه الحكومة.

(حتى(2) صرفت رأيي إلى هواكم): انقدت(3) لما قلتموه، وساعدت إلى ما أردتموه من ذلك، وإنما ساعد إلى التحكيم لأمرين:

أما أولاً: فلما يرجوه من الصلاح، والتئام الشعب(4)، وقصده(5) المتابعة لأمر الله وحكمه لما بذلوه.

وأما ثانياً: فإنما أجاب إليه ضرورة لما رأى من اتفاق الأكثر من عسكره عليه.

---

(1) في (ب): لسوء رأيكم.

(2) قوله: حتى سقط من (أ).

(3) في (ب): ابعدت.

(4) هكذا في النسختين، ولعل الصواب: الشعث.

(5) في (أ): وقصد.

(329/1)

قال أبو جعفرالإسكافي(1): ويدل على أن أمير المؤمنين كان غير راض بهذه الحكومة أنه قال: (لقد أمسيت أميراً وأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً واليوم(2) منهياً) كل هذا دلالة على عدم رضاه، وإنما كان لما(3) ذكرناه.

(وأنتم معاشر [العرب] (4)): جمع معشر، أي أقوام من جهات كثيرة قد اجتمعتم.

(أخفَّاء الهام): يشير بذلك إلى ما يعتريهم من كثرة الطيش والفشل وعدم الاتئاد في الأمور كلها، والهام هو: موضع الدماغ(5) وجعله(6) كناية عن ذهاب الوقار عنهم.

(سفهاء الأحلام): والسفه: نقيض الحلم، وأصله من سفهت(7) الريح الشجر إذا مالت به، والمعنىأن الجهل مال بهم عن الحق والاستقامة.

(ولم آت لا أبالكم بُجْراً): البُجرُ بضم الفاء هو: الشر(8) والأمر الأعظم، قال:

أُرمي عليها وهي شيء بُجُر(9)

---

(1) هو: محمد بن عبدالله، أبو جعفر الإسكافي المتوفى سنة 240هـ، من متكلمي المعتزلة، وأحد أئمتهم، تنسب إليه الطائفة (الإسكافية) منهم، وهو بغدادي أصله من سمرقند، له كتاب (نقض العثمانية) للجاحظ. (الأعلام 221/6).

(2) في (ب): فأصبحت منهياً، وانظر كلام أمير المؤمنين الذي أورده المؤلف هنا لأبي جعفر الإسكافي في المغني 107/2/20، وفي شرح ابن أبي الحديد 219/2-220، وانظر أمر التحكيم كاملاً فيه 206/2-264 وفي المغني.

(3) في (ب): كما.

(4) سقط من (ب)، ومن شرح النهج.

(5) قوله: الدماغ، في (أ) ممسوح وغير واضح.

(6) في (ب): وجعلها.

(7) في (أ): تسفهت.

(8) في (أ): السد، وهو خطأ، وما أثبته من (ب).

(9) أورده في اللسان 161/1 بدون نسبة إلى قائله، وعجزه فيه:
والقوس فيها وتر حبجر

(330/1)

أي عظيم، وقوله: لا أبا لك(1) كلمة تستعمل تارة في المدح، والغرض به أنك منفرد(2) لا يلد أب مثلك، وتارة في الذم ومعناه لا أبا لك تقر عينه بك، وغرضه هاهنا ذمهم مما(3) فعلوه.

(ولا أردت بكم ضراً): ولا قصدت فيما أشرت به من ترك التحكيم مضارة بكم ولا إضراراً، وفي بعض النسخ: (ولا أردت بكم عُراً) والعُر بالضم: قروح تصيب مشافر الإبل، تكوى غيرها فتبرأ، وفي المثل:

كذي العُر يُكْوَى غيره وهو راتع(4)

واستعاره هاهنا للشر، فحصل من كلامه هاهنا أنه عليه السلام لم يرض بالتحكيم لما ذكرناه، ثم إن رضي به فإنما رضي به لما يرجو فيه من الصلاح وانسداد الأمر، ثم إذا رضي به فإنما رضي بأن يكون الحكم هو ابن عباس، ولهذا قال: (قد رموكم بحجر الأرض)(5): يعني عمرو بن العاص: (فدعوني أرميهم بفتى من قريش ابن عباس)، قالوا: لا نرضى إلا برجل من أهل اليمن، فقال:

---

(1) في (ب): لا أبا لكم.

(2) في (ب): مفرد.

(3) في (ب): بما.

(4) هو من بيت شعر وصدره:

وحملتني ذنب امرئ وتركته .... _ ... _تمت. حاشية في (أ)._ ... _قلت: والبيت هو للنابغة، أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج 386/19.

(5) قال في لسان العرب 571/1: ويقال: رمي فلان بحجر الأرض إذا رمي بداهية من الرجال.

(331/1)

(هذا الأشتر(1) من أهل اليمن).

فقالوا: لا، فقال: (من ترضون؟)، قالوا: نرضى بأبي موسى، وإنما رضوا به؛ لأنه كان واقفاً عنه متخلفاً عن مبايعته(2) مع سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر(3)، ثم إنما رضي بأبي موسى إذا كان حاكماً بكتاب الله، فأما إذا حكم برأيه فلا، فلما ساعدهم

إلى ما قالوه من أمر التحكيم، وخُدِعَ أبو(4) موسى بما كان من عمرو، وردوا اللآئمة علىأمير المؤمنين، وقالوا له: أخطأت وكفرت، وتحزب(5) هؤلاء، وجعلوا لهم أميراً واعتزلوه واعترضواالناس بالسيف، واجتمع إليهم أحزاب حتى بلغوا اثني عشر ألفاً، وكانوا يقتلون الأطفال فضلاً عن البالغين فقاتلهم بعد إبلاغ العذر(6) إليهم وقتلهم عن آخرهم(7)، ولهذا قال عليه السلام:
(ما رأيت إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل علىمحمد) فهذا منه دلالة على توجه الأمر عليهم في قتالهم لما كان منهم من البغي والفسوق والتمرد بمخالفته وحربه(8).

---

(1) هو: مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، المعروف بالأشتر، المتوفى سنة 37هـ، أمير من كبار الشجعان، وكان رئيس قومه، شهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع الإمام علي عليه السلام، وولاه الإمام علي مصر فمات في الطريق بحيلة من معاوية، فقال الإمام: (رحم الله مالكاً، فلقد كان لي ما كنت لرسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم): ويعدُّ الأشتر من الشجعان الأجواد العلماء الفصحاء (انظر الأعلام 259/5).
(2) في (أ): متابعته.
(3) انظر المغني 106/2/20.
(4) في نسخة: وخدع أبي موسى (هامش في ب).
(5) في (أ): ونحرت، هكذا، وما أثبته من (ب).
(6) في (ب): المعذرة.
(7) انظر المرجع السابق 109/2/20-111.
(8) في (أ): بمخالفة وجوبه، وما أثبته من (ب).

(332/1)

---

(37) ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة
(فقمت بالأمر): أراد ما كان من إمامته واجتماع الناس إليه بعد قتل عثمان، قام بالأمر إذا نهض واستقل بأعبائه.
(حين فشلوا): وقت اعتراهم الفشل، وهو عبارة عن عدم الثبوت، وكثرة الانزعاج في تلك الحال، ومرج أمرهم مروج الخاتم في اليد.
(وتطلعت): تطلع للأمر وطالعه إذا أشرف عليه، وكان متحققاً له.
(حين تعتعوا(1)): تعتع في كلامه إذا تردد فيه، وتعتعت الرجل إذا أقلقته وأزعجته عن حاله.
(ومضيت): مضى في الأمر إذا نفذ فيه، من قولهم: سيف ماضي المضارب إذا كان نافذاً.

(بنور الله): بحجج الله، وما أعطاني من البصيرة النافذة.

(حين وقفوا): تحيروا، وغرضه بذلك حكاية ما وقع من الاضطراب قبل البيعة، والاستقرار بعد تقرير إمامته.

(وكنت أخفضهم صوتاً): أخفاهم كلاماً؛ لأن خفض الصوت أمارة صادقة على عظم اليقين وتحقق البصيرة، ورفع الصوت أمارة على الفشل والانزعاج.

وحكي عن الأصمعي أنه كالم المفضل بن سلمة(2) في مسألة فطالت أصوات المفضل وعلت، فقال له الأصمعي: لو نفخت في الشؤم تكلم كلام النمل وأضب(3).

(وأعلاهم فوتاً): أرفعهم سبقاً إلى معالي الأمور الدينية كلها.

---

(1) في شرح النهج: وتطلعت حين تقبعوا، ونطقت حين تعتعوا.

(2) هو: المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب، المتوفى نحو سنة 290هـ، لغوي عالم بالأدب، له مؤلفات منها: البارع في اللغة، والفاخر في الأمثال، وما يحتاج إليه الكاتب وغيرها (الأعلام 279/7).

(3) يقال: أضبوا إذا تكلموا متتابعاً، وقال الأصمعي: أضب فلان على ما في نفسه أي أخرجه (انظر لسان العرب 505/2).

(333/1)

(فَطِرت بِعِنَانِها): الضمير للإمامة، والعنان هو: ما يمسك به الراكب يملك به رأس الفرس، واستعاره هاهنا لاستحكامه في الأمر وإتقانه لأحواله.

(واستبددت برهانها): الاستبداد هو: الإيثار، والرهان: جمع رهن، وهو ما يجعل من العوض عند السباق، وصرت في أمري كله واستقراري على الدين.

(كالجبل لا تحركه القواصف): مثل الجبل في الرسوخ فلا يضطرب، والقواصف: جمع قاصفة وهي الريح الشديدة، قال تعالى: {فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ}[الإسراء:69].

(ولا تزيله العواصف): ومستقراً في موضعه لا يزول عنه، والعواصف: جمع عاصف وهي الريح عند المطر.

(لم يكن لأحد فيَّ مهمز، ولا لقائل فيَّ مغمز): الغمز والهمز واللمز أمور واحدة، وهو: عبارة عن نقص الإنسان والغض فيه، ويكون بالعين(1)، كما قال الله تعالى: {وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ}[المطففين:30]، ويكون باليد كقوله:

وكنتُ إذا غمزتُ قنَاةَ قومٍ .... كسرتُ كُعُوْبهَا أو تَسْتَقِيْمَا(2)

وأراد أنه عليه السلام على نهاية الكمال في خصال الإمامة واستنهاض آلة الإيالة(3) والسياسة.

(الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له): أراد أن من كان(4) عاجزاً لا يقدر على أخذ حقه فهو عندي بمنزلة العزيز في أخذ حقه والانتصار له.

(والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه): يعني ومن كان قوياً فلا تمنعني قوته عن أخذ الحق منه وإنصاف غيره منه.

---

(1) أي بحاسة النظر وهي العين.

(2) البيت هو لزياد الأعجم (ذكره محمد محي الدين عبد الحميد في تعليقه على شرح قطر الندى ص 70).

(3) الإيالة: السياسة، يقال: آل الأمير رعيته من باب قال، وإيالاً أيضاً أي ساسها وأحسن رعايتها (انظر مختار الصحاح ص 33).

(4) في (ب): يكون.

(334/1)

(رضينا عن الله قضاءه): طابت نفوسنا عن كل ما قضى الله فينا مِمَّا يسر النفوس ويكرهها.

(وسلمنا له أمره): في كل ما حكم به وأنفذه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، حاكياً عن الله: ((من لم يرض بقضائي، ويصبر على بلائي، فليتخذ رباً سواي))(1).

(أتراني أكذب على رسول الله [صلى الله عليه (وآله) وسلم](2) فوالله لأنا أول من صدقه)(3): أترى إذا كان مبنياً لما(4) لم يسم فاعله فهو يفيد الظن، وإذا كان مبنياً لما يسمى فاعله فهو بمعنى الرؤية، وقد يكون مستعملاً في العلم، أني أكذب على رسول الله في كل ما أخبرني به وحكيته أنا عنه، فأنا أول من آمن به؛ لأن الرسول عليه السلام بعث يوم الإثنين، وأسلم أمير المؤمنين يوم الثلاثاء(5)

---

(1) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 546/8، وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 651/9.

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) بعده في شرح النهج: فلا أكون أول من كذب عليه.

(4) في (ب): على ما لم يسم ...إلخ.

(5) خبر إسلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنه أول من أسلم:_ ... _أخرجه الإمام أبو العباس الحسني في المصابيح صـ 147 برقم 31: عن زيد بن أرقم قال: عليعليه السلام أول من

أسلم، وصـ 148 برقم 33 عن ابن عباس قال: لعلي عليه السلام أربع خصال ليس لأحد من العرب غيره: أول عربي وعجمي صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرجه من حديث طويل الإمام محمد بن سليمان الكوفي في المناقب جصـ: 277 برقم (191) بسنده عن أبي ذر بلفظ: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: ((أنت أول من آمن بي...إلخ)) وهو فيه أيضاً برقم: 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 204، 206، 207، 209، 210، 211، 213، وغيرها، انظرها في ج1/276-299._ ... _وأخرجه الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص 132 عن الناصر الأطروش بإسناده عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ: ((أولكم وروداً عليَّ الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب)) وأخرجه ابن المغازلي في المناقب ص 27 برقم (22)، وانظر خبر إسلام أمير المؤمنين وأنه أول من أسلم فيها ص 25-27، وانظر ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تأريخ ابن عساكر ص 41-105 من الرقم (59) إلى الرقم (140)، فقد روى حديث إسلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنه أول من آمن بالله ورسوله بأسانيد وطرق عديدة انظرها هناك مع تخريجاتها الموسعة._ ... _وأما حديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث يوم الإثنين وأسلم الإمام علي يوم الثلاثاء فقد أخرجه الإمام محمد بن سليمان الكوفي في المناقب جـ1/ 278 برقم (192) بسنده عن علي قال: بعث النبيصلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء، وبرقم (171،215) بسنده عن أنس بن مالك._ ... _قلت: وأخرجه الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين صـ 132 عن أبي رافع.

(335/1)

، فمن كان أول من آمن كان أبعد من الكذب لا محالة.

(فنظرت في أمري(1)): تدبرت أمري وأعملت فكرتي.

(فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي): فيه تأويلان:

أحدهما: أن يكون مراده أن إمامتي ووجوب طاعتي كانت قبل البيعة بما كان من النص من جهة رسول الله عليَّ باستحقاقي للإمامة، وجعله لإياي وصياً وولياً، فلهذا كانت طاعتي سابقة لما كان من أمر البيعة، ولهذا قال: أتراني أكذب على رسول الله في ادعائي للإمامة بالنص منه.

(وإذا الميثاق في عنقي لغيري): يريد أن الرسول قد كان أخذ عليه الميثاق في أنه يفعل أموراً ووافقه عليها لما جعله إماماً للأمة، فالميثاق للرسول في عنقه.

وثانيهما: أن يكون مراده أن طاعتي للخلفاء قبلي قد سبقت بيعتي، ويكون مراده بأن الميثاق في عنقه لغيره أنه صار تحت حكم غيره تابعاً له، ولهذا قال: فنظرت إشارة إلى ما كان منه في أول الأمر من إزالته عمَّا كان مستحقاً له والاستئثار بما هو أولى به من غيره وأحق به لا محالة.

(38) ومن خطبة له عليه السلام

(وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق): أراد أن من أدلى بشبهة ونصر مذهبه بها فإنه يروجها ترويجاً، ويقربها تقريباً تشبه الحق، ولهذا يلتبس حالها على ضعفاء الأفهام، ومن قعد به العجز عن إدراك البصيرة.

(فأما أولياء الله): الذين اصطفاهم للولاية، ونوّر بصائرهم، وصفّى أذهانهم للتمييز بين الحق والباطل.

(فضياؤهم): فنورهم.

(فيها): الضمير للشبهة.

(اليقين): التحقق والقطع بهداية الله تعالى وحسن إلطافه لهم باتباع الحق.

(ودليلهم): رائدهم(2).

---

(1) في أمري، زيادة في شرح النهج.

(2) في (ب): راميهم.

(336/1)

(سمت الهدى): طريق الهدى وقصده، ويحتمل أن يكون مراده الهدى المقطوع بصحته؛ لأن السمت عبارة عن السير بالحدس(1) والظن، فلهذا قال: دليلهم سمت الهدى.

(وأما(2) أعداء الله): الذين أراد إنزال(3) الضرر بهم .

(فدعاؤهم فيها(4) الضلال) أي هو دينهم لانهماكهم فيه وإكبابهم عليه.

(ودليلهم العمى): لانحرافهم عن الحق وانصرافهم عنه.

سؤال؛ لِمَ قال في حق الأولياء: فضياؤهم اليقين، وقال في حق الأعداء: فدليلهم العمى، ولم يعكس الأمر في ذلك؟

وجوابه؛ أن الغرض الأهم للأولياء التنوير لقلوبهم بنور الحق، واستيقان الأدلة الواضحة والقطع بها، والأهم الأعظم لأعداء الله هو الحض لمن اتبعهم على الضلالة وسلوك طريق الجهالة، فلهذا خصهم بالدعاء، وخص الأولياء بالضياء لما ذكرناه.

(فما ينجو من الموت من خافه): وضع الخوف مكان الهرب؛ لأنه سبب فيه، والمعنى لا ينجو من الموت من هرب منه.

(ولا يعطى البقاء من أحبه): وليس يكون البقاء واقفاً على اختيار مختار، وإنما هي آجال مقدرة

وأمور مقضية في الموت والبقاء عند علاّمها: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ}[فاطر:11]، وقوله: فما ينجو من الموت، بعد قوله في صفة الأولياء والأعداء ما قاله، من باب الاستطراد، إذ كان لا ملاءمة بينهما.

---

(1) في (أ): بالخير، وهو خطأ، وما أثبته من (ب).

(2) في (أ): فأما، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.

(3) في (أ): إنزل، والصواب كما أثبته من (ب).

(4) قوله: فيها سقط من (أ).

(337/1)

---

(39) ومن خطبة له عليه السلام

(منيت بمن لايطيع إذا أمرت): أراد بليت، من قولهم: منيته إذا ابتليته بكذا، ثم لا يريد طاعتي إذا أمرته بها.

(ولا يجيب إذا دعوت): ولا يلبي دعوتي بالإجابة إذا ما ناديته.

(لا أبا لكم): قد قررنا شرحه، والمراد ها هنا فُهِمَ بتأخرهم عن الإجابة عن النداء ونكوصهم عن امتثال مراده عند أمره لهم.

(ما تنتظرون بنصرتكم(1) لربكم): ما ترتقبون في القيام بأمر الله والنهوض للجهاد في سبيله؛ حيث قال: {إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[محمد:7].

(أما دين يجمعكم): أراد أن الهوى وإن كان مختلفاً من حيث كان لكل واحد غرض؛ لكن الدين وهو أن تكون كلمة الله هي العليا، هو الجامع للأغراض وهو جامع المختلفات لما في أهله من الغيرة والحمية والعزة.

(ولا حمية): الحمية هي: الاحتماء.

(تحمسكم(2)): بالسين والحاء المهملين(3) أي تغضبكم.

(أقوم فيكم): أنادي في أمكنتكم.

(مستصرخاً): طالباً لمن ينصرني، ويكون عوناً لي على ما أريده.

(وأناديكم): وأهتف بكم.

(متغوثاً): مستجيراً في أنديتكم.

(فلا تسمعون لي قولاً): لميلكم إلى التخاذل، وجنوحكم إلى الراحة.

(ولا تطيعون(4) لي أمراً): لعزمكم على المخالفة، وجدكم على المعارضة.

(حتى تكشفت(5) الأمور): اتضحت، من كشفه إذا أوضحه.

(عن عواقب الإساءة): إساءتكم لي لمخالفتكم(6) لأمري، فكان عاقبة ذلك المذلة والهوان.

(فما يدرك بكم ثأر): فانتهى بكم الذل إلى أنكم لا تدركون ذحلاً لأحد منكم، والثأر: الذحل، والثائر: الذي لا يترك ذحله حتى يأخذه.

---

(1) في شرح النهج: بنصركم.

(2) في شرح النهج: تحمشكم، بالشين بثلاث من أعلاها.

(3) في (ب): المهملتين.

(4) في (أ): ولاتقطعون، وما أثبته من (ب)، ومن شرح النهج.

(5) في شرح النهج: تكشف.

(6) في (ب): إساءتكم إليَّ مخالفتكم لأمري.

(ولا يبلغ بكم مرام): ولا ينتهي بنجدتكم إلى مقصد من المقاصد الدينية والدنيوية.

(دعوتكم): وأمارة ما قلته فيكم من الهوان والذل أني ناديتكم.

(إلى نصر إخوانكم): إلى الإعانة لمن كان أخاً لكم في الدين.

(فجرجرتم): الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته ضجراً به وكراهة للجمل.

(جرجرة الجمل الأشر(1)): الأشر بالشين المثلثة الفوقانية هي: البطر، ومنه أشر الرجل إذا بطر، والأسر بالسين المثلثة التحتانية: احتقان البول، ومنه قولهم: أسر الرجل إذا أصابه هذا الداء، وكله محتمل ها هنا؛ لأن الجرجرة تحتمل أن تكون من البطر، ومن شدة هذا الداء، ومراده المبالغة في تخاذلهم.

(وتثاقلتم): وجنحتم إلى الدعة من الثقل، وهو نقيض الخفة.

(تثاقل النضو الأدبر): النضو هو: البعير المهزول فإنه بطيء الحركة لهزاله وضعفه.

(ثم خرج إليَّ منكم جنيد متذايب(2)): ثم كان [في] (3)عاقبة الأمر بعد مكابدة الشدة خرج إليَّ(4) جنيد، وإنما حقَّره لضعفه وحقارته، ومن للتبعيض أي جنيد هو بعض منكم،

متذايب: مضطرب، من قولهم: تذايب الريح إذا اضطرب هبوبها، وسمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيه.

---

(1) في شرح النهج: الأسر.

(2) في شرح النهج: ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب ضعيف، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

(3) زيادة في (ب).

(4) قوله: إليَّ، سقط من (ب).

(339/1)

---

(40) ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله

قال: (هذه كلمة حق يراد بها باطل): اعلم أن الخوارج لما طعنوا عليه في أمر التحكيم حاجَّه ابن الكوّاء(1) وقال له: لِمَ حكَّمت الرجال في دين الله؟ فصرخ أمير المؤمنين بأعلى صوته، وقال: (إني لم أُحكِّم الرجال، وإنما حكَّمت كتاب الله فإن حكموا به قبلت وإلا رددت).

فقال له ابن الكوّاء: فلمَ حكَّمت أبا موسى الأشعري؟ فقال لهم:

(إنكم جئتم به مترعاً(2)، وقلتم: لا نرضى إلا به) فقال ابن الكوَّاء: إنه قد ضل وأخطأ، فقال له أمير المؤمنين:

(أرأيتم لو أرسل رسول الله مؤمناً يدعو الكفار فارتد على عقبه كافراً هل كان يضر رسول الله شيئاً)؟

قالوا: لا

قال: (فما ذنبي إذا ضل أبو موسى).

قال ابن الكوَّاء: فَلِمَ تركت التسمي بإمرة المؤمنين في كتابك، وكتبت اسمك واسم أبيك؟ فقال أميرالمؤمنين:

---

(1) هو: عبدالله بن الكواء، من بني يشكر بن بكر بن وائل، من رؤوس الخوارج، له أخبار كثيرة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام (انظر معجم رجال الاعتبار 263، وشرح ابن أبي الحديد 275/2).

(2) كذا في النسختين، وفي المغني 109/2/20: (وجئتموني به متريساً، وقلتم: لا نرضى إلا به)، ومن رواية وردت في شرح النهج 2/ 231 قال في آخرها ما لفظه: فقال علي عليه السلام: (إن القوم أتوني بعبد الله بن قيس مُبَرْنساً، فقالوا: ابعث هذا، رضينا به، والله بالغ أمره). انتهى.

(340/1)

(أليس رسول الله قد فعل ذلك، فإنه لما انعقد صلح الحديبية بينه وبين سهيل بن عمرو، وكتب النبي عليه السلام: ((هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو))، فقال سهيل: إنّا لو أقررنا أنك رسول [الله](1) ما حاربناك، فاكتب اسمك واسم أبيك، فقال لي(2): ((اكتب محمد بن عبد الله فإن ذلك لايضر نبوتي شيئاً)) (3) فهكذا أنا).

فقال له ابن الكوّاء: خصمتنا ورب الكعبة(4).

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (ب): له.

(3) أورد طرفاً منه وهو قوله: ((هذا ما صالح عليه رسول الله)) في موسوعة أطراف الحديث 222/10، وعزاه إلى سنن البيهقي 69/5، وللحديث فيها روايات عدة بصيغ مختلفة انظر الموسوعة، وأورد قريباً منه ابن أبي الحديد في شرح النهج 275/2، في رواية نقلها عن أبي العباس المبرّد مؤلف (الكامل) ذكر فيها مناظرة أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج في قضية التحكيم، وجاء فيها: ((.... فقالوا: فإن عمراً لما أبى عليك أن تقول في كتابك: هذا ما كتبه علي أمير المؤمنين، محوت اسمك من الخلافة وكتبت: علي بن أبي طالب، فقد خلعت نفسك، فقال: (لي في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: ((هذا كتاب كتبه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسهيل بن عمرو))، وقال له: لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك، ولكني أقدمك لفضلك، فاكتب محمد بن عبد الله، فقال لي: ((ياعلي، امح رسول الله))، فقلت: يارسول الله، لا تشجعني نفسي على محو اسمك من النبوة، قال: فقضى عليه فمحاه بيده، ثم قال: ((اكتب محمد بن عبد الله)) ثم تبسم إليَّ وقال: ((ياعلي، أما إنك ستسام مثلها فتعطي)).

(4) انظر الرواية بالتفصيل في المغني 2/20 ص109-111، وهي هنا باختصار.

(341/1)

فلما قالوا: لا حكم إلا لله، وغرضهم إبطال إمامته بالتحكيم، فقال:

هذه وإن كانت كلمة حق، فإن الخلق والأمر والقبض والبسط لله، ولكنكم قصدتم مقصداً فاسداً، وهو بطلان أمري بالتحكيم.

(نعم [إنه](1) لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة): ويبطلونها بما زعموه.

(وإنه لا بد للناس من أمير): مراعاة لمصالحهم، وإقامة لأمور دينهم.

(بر): عادل.

(أو فاجر): ظالم غشوم.

(يعمل في إِمْرَتِهِ المؤمن): يفرغ للأعمال الصالحة عن شواغل الفتن.

(ويستمتع فيها الكافر): ويفرغ لطلب المعيشة وإصلاحها، وهذه إشارة منه عليه السلام إلى أن إمرة الفاجر فيها صلاح عام كما ذكر، وقد أشار إلى ذلك الرسول صلى الله عليه وآله بقوله:

((إمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم)) لما في ذلك من كفِّ البغاة وزمِّ المتسلطين على الخلق بالفتن وإثارتها.

(وَيُبَلِّغُ الله فيها الأجل): أراد الأجل الذي قدره الله تعالى وحتمه بالموت دون ما يحصل بالقتل، فإن المقتول كان يجوز بقاؤه ويجوز موته، فأما الميت فلا شك في كونه مستوفياً لعمره المقدر له، فأشار بذلك إلى ما قلناه.

(ويجمع الله فيها الفيء(2)): الضمير في قوله: فيها راجع إلى الإمرة، وأراد بالفيء المغنم؛ لأن أمره إلى الإمام يقسمه في أهله كما أمر الله.

(ويقاتل به العدو): أراد الإمام، والضمير له، إما أهل الحق(3)، وإما أهل البغي والفسوق وأهل التمرد.

(وتأمن به(4) السبل): بقوته وشدة بسطته، وأراد الطرقات.

(ويؤخذ به): أراد بقوته ونفوذ سلطانه.

(للضعيف): حقه.

(من القوي): المتكبر عن أداء حقه بقوته.

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) في شرح النهج: ويجمع به الفيء.

(3) في (أ): الحرب.

(4) به، زيادة في شرح النهج.

(342/1)

(فيستريح برٌ(1)): في ظله وكنفه.

(ويستراح من فاجر): بكفِّه وزمّه عمَّا أراد من التسلط على غيره من الضعفاء.

ثم لما سمع ولوعهم بذكر التحكيم، قال:

(حكم الله أنتظر فيكم): ما يقدِّره لي ويقوِّي عليه عزيمتي من سلامتكم إن رجعتم، أو قتلكم إن نكصتم على أعقابكم، ثم قال:

(أما الإِمْرَة(2) الْبَرَّة): الصادرة على رضوان الله، والعاملة بأحكامه.

(فيعمل فيها(3) التقي): فيفرغ وَيُقْبِلُ على عمله للآخرة(4) وإصلاح دنياه.

(وأما الإمرة الفاجرة): المخالفة لأمر الله التي يكون مزاجها(5) الظلم.

(فيتمتع فيها(6) الشقي): فيكون فيه متاع لأهل الشقاء وبلغة لهم.

(إلى أن تنقطع مدته): ببلوغ أجله.

(وَتُدْرِكَهُ منيته): يعني الموت.

سؤال؛ لِمَ قال في الإمرة البرة: يعمل فيها التقي، وخص الإمرة الفاجرة يتمتع[بها] (7) الشقي، وكلاهما [لا بد له] (8) من المتعة؟

وجوابه؛ هو أن المؤمن ليس غرضه المتعة، وإنما غرضه التجارة بالأعمال الصالحة، المتاجر الرابحة بالجنة، وأما الشقي فأعظم أغراضه هو المتعة إذ لا همَّ له في الآخرة، فلهذا خالف بينهما لما ذكرناه، فذكر ما هو الأهم من مقصد كل واحد منهما.

---

(1) في (أ): ببر، وما أثبته من (ب)، وفي شرح النهج وفي نسخة أخرى: حتى يستريح بر.

(2) في (أ) أما الإمرة والبرة، وهو خطأ، وما أثبته من (ب) ومن النهج.

(3) في (ب): بها.

(4) في (ب): على عمل الآخرة.

(5) أي طبعها.

(6) في (ب): بها.

(7) سقط من (أ).

(8) سقط من (ب).

---

(41) ومن خطبة له عليه السلام

(إن الوفاء توءم الصدق): أتأمت المرأة إذا ولدت ولدين في بطن واحد، وأراد أن الوفاء والصدق أخوان، وهذا صحيح فإنه لا وفاء لكاذب في كل ما قال أو عقد به، ويحمله الكذب على الغدر، والإخلال بقوله ووعده.

(ولا أعلم جُنة أوقى منه) الجُنة بالضم: ما سترك(1) من لباس وغيره، أوقى من الوقاية، والمعنى أن الصدق أعظم ما يستتر به الإنسان من العيوب.

(وما غدر من علم كيف المرجع(2)): أراد ويستحيل الخدع والمكر ممن علم المعاد إلى الآخرة، وتحقق حالها في المناقشة.

(ولقد أصبحنا في زمان): صرنا إلى مدة، وأصبح من الأفعال التي يقترن (3) مضمون الجملة بأزمانها مثل كان.

(اتخذ(4) أكثر أهله الغدر كيساً): الكيس هو: الظرف وحسن التصرف، وأراد أنهم استعملوه وعدوه من الظرف، وحسن التصرف في أمورهم.

(ونسبهم أهل الجهل[فيه] (5)): وعزاهم من لا بصيرة له بذلك(6).

(إلى حسن الحيلة): إلى جودة التصرف، والحيلة هي الاسم، والمصدر هو الاحتيال.

([مالهم](7) قاتلهم الله!): تعجب من جهلهم فيما زعموه من ذلك.

(قد يرى الحُوَّلُ القُلَّبُ): أراد تكذيبهم فيما توهموه من ذلك بأنه يرى الحوَّل الذي حول الأمر، والقُلَّبُ الذي قلبها ظهراً لبطن، وحنكته(8) التجارب.

(وجه الحيلة): الخديعة والمكر.

---

(1) في (ب): ما يسترك.

(2) العبارة في (أ): وما غدر كيف المرجع، والصواب ما أثبته من (ب) والعبارة في النهج: (وما يغدر من علم كيف المرجع).

(3) في (ب): التي يعنون بها... إلخ.

(4) في شرح النهج: قد اتخذ.

(5) سقط من (أ).

(6) في (ب): وعزاهم ولا بصيرة له بذلك.

(7) سقط من (أ).

(8) في (أ): وحيكته، وهو تصحيف.

(344/1)

(ودونه مانع من الله(1) ونهيه): ويحول بينها وبينه الترغيبات بالأوامر بالكف عنها، والترهيبات بالنواهي بالوقوع فيها.

(فيدعها): فيكفُّ عنها ويتركها.

(رأي عين): رؤية ظاهرة مكشوفة كرؤية المبصرات، وانتصابه علىالمصدرية، كقولك: ضربته ضرب السوط، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال أي منكشفة.

سؤال؛ أيُمّا أوقع في البلاغة تنكير العين كما وقع في كلامه هاهنا، أو تعريفها كما وقع في التنزيل، في قوله تعالى: {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ}[آل عمران:13]؟

وجوابه؛أن كل واحد منهما لا غبار عليه في البلاغة والفصاحة، [و](2)لكن ما جاء به القرآن أبلغ؛ لأن اللام دالة على البلاغة، لأن اللام إن كانت للعهد فالغرض مثل رؤية ما تعهدون من أعينكم المبصرة، وإن كانت للجنس فالغرض مثل رؤية جنس الأعيان المبصرة في التحقق والقطع، وتنكير العين لا يكون معطياً هذه المعاني، فمن ثمَّ كان التعريف أبلغ.

(بعد القدرة عليها): بعد تمكنه منها وقدرته على تحصيلها.

(وينتهز فرصتها): ويغتنم نوبته منها، من الفرصة وهي: النوبة، يقال: أخذ فرصته من البر أي نوبته.

(من لا حريجة له في الدين): من لا يضيق صدره بترك الدين، ولا يحتفل به، من الحرج وهو: ضيق الصدر.

(42) ومن خطبة له عليه السلام

([أيها الناس](3) إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان): إن أعظم ما يقع منه خوفي عليكم خصلتان.

([اتباع](4) الهوى): وهو ما تدعو إليه النفوس وتحبه.

(وطول الأمل): وهو إبعاد مدة الآجال وتنفسها.

---

(1) في شرح النهج وفي نسخة: ودونها مانع من أمر الله ونهيه.

(2) سقط من (أ).

(3) سقط من (أ).

(4) سقط من (أ).

(فأما اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق): لأن النفوس أمَّارة بالسوء فاتباع هواها مجانبة للحق وانصراف عنه.

(وأما طول الأمل فينسي الآخرة): لأن في طول الأمل اشتغالاً بالعاجل من الدنيا، ومن أقبل على الدنيا أدبر عن الآخرة لا محالة.

(ألا وإن الدنيا قد ولت): أدبرت.

(جذَّاء(1)): من الجذِّ وهو: القطع، والغرض إما تولية جذَّاء، وإما مدبرة جذَّاء، فالأول وصف للتولية، والثاني وصف حال الدنيا، ويروى بالحاء المهملة أي سريعة، وسماعنا بالجيم وهو الأول.

(فلم يبق فيها(2) إلا صبابة[كصبابة الإناء](3)): الصبابة: البقية القليلة لتوليها وإدبارها.

(اصطبَّها): افتعال من صبَّه إذا سكبه وأهرقه.
(صابُّها): المريد لصبها، وهذا الأسلوب من أنواع البديع يسمى الاشتقاق، وهو أن يأتي بألفاظ متعددة يجمعها أصل واحد، فإن الصبابة والاصطباب والصاب مأخوذة من صبِّ الإناء، ومن هذا قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ}[الروم:43]، وقوله عليه السلام: ((ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله تعالى)) (4).
(ألا وإن الآخرة قد أقبلت): جاءت مقبلة.
(ولكل واحد منهما): أراد الدنيا والآخرة.
(بنون): استعاره من الأولاد والأمهات لأجل ولوعهم بها.
(فكونوا من أبناء الآخرة): مريديها ومبتغيها(5).
(ولا تكونوا من أبناء الدنيا): طالبيها ومريديها.

---

(1) في شرح النهج: حذاء، أي سريعة.
(2) في شرح النهج: منها.
(3) سقط من (أ).
(4) أورده في موسوعة أطراف الحديث بلفظ: ((ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً))، وعزاه إلى الشفاء للقاضي عياض 175/1.
(5) في (أ): وسعيها، وما أثبته من (ب).

(346/1)

(فإن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة): وهذا كله تمثيل بحال الأم والأولاد، وكل ما ذكره ترغيب عن الدنيا وتزهيد عن اتباعها.
(وإن اليوم): ما نحن فيه من أيام الدنيا.
(عمل): زمان عمل.
(ولا حساب): وليس زماناً للحساب.
(وغداً): عبارة عن زمن الآخرة.
(حساب): زمن حساب.
(ولا عمل): لانقطاع التكليف، ومشاهدة أمور الآخرة.

(43) ومن كلام له عليه السلام وقد أشار عليه أصحابه بالا ستعداد للحرب(1) بعد إرسال جرير بن

عبد الله(2) إلى معاوية

(إن استعدادي): تأهبي وأخذي لعدة(3) الحرب.

(لحرب أهل الشام): معاوية وإخوانه من أهل الفسق(4) والشقاق.

(وجرير عندهم): رسول من جهتي بين أظهرهم يدعوهم إلى الله تعالى وإلى طاعتي.

(إغلاق للشام): رد لأهل الشام، من أغلقت الباب إذا رددته.

(وصرف لهم(5) عن خير إن أرادوه): لأن في إظهار استعدادي وأخذي لأهبة الحرب تقوية لذلك وأمارة قوية [عليه] (6) فأنا لا أفعله.

(ولكن قد وقَّتُّ لجرير(7) وقتاً): ضربت له مدة معلومة، وأكدت عليه المواثيق، فهو:

(لا يقيم بعده): الضمير للوقت الذي وقته له.

---

(1) في نسخة وفي شرح النهج: لحرب أهل الشام.

(2) هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر البجلي، المتوفى سنة 54هـ، أسلم في سنة عشر من الهجرة، وهو من المفارقين للإمام علي عليه السلام، ويذكر أهل السير أن علياً عليه السلام هدم دار جرير ودور قوم ممن خرج معه، حيث فارق علياً عليه السلام، وتوفي جرير بالشراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة (انظر شرح ابن أبي الحديد 3/115-118).

(3) في (أ): بعدة.

(4) في (ب): الفسوق.

(5) في نسخة وفي شرح النهج: لأهله.

(6) سقط من (ب).

(7) في (أ): للجرير، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).

(347/1)

(إلا مخدوعاً): بالأكاذيب الباطلة، والأطماع الفاضحة(1).

(أو عاصياً): لمخالفته لي فيما أمرته به.

(والرأي عندي): والأصوب في حدسي ونظري.

(مع الأناة): مصاحبة الأناة ومراعاتها والوقوف عندها، وفي الحديث: ((الأناة من الله، والعجلة من الشيطان)) (2).

وفي المثل: ((من تأنى في أمره أصاب أو كاد، ومن استعجل أخطأ أو كاد))(3).

(فأرودوا(4)): فخذوا أمركم بالتؤدة والإمهال.

(ولا أكره لكم الإعداد): التأهب.

سؤال؛ ما التفرقة بين استعداده للحرب واستعدادهم، حتى أمرهم بالاستعداد، وأهمله في حق نفسه؟

وجوابه؛ هو أن استعداد الإمام مخالف لاستعداد الجند والرعية، فإن استعداده له شيار(5) عظيم وأبهة كبيرة(6)، فيكون فيها الصرف الذي ذكره لأهل الشام لما يعلمون من ذلك، بخلاف استعداد الرعية فإنه لا يؤبه له فلأجل هذا أمرهم بالاستعداد وترك نفسه لما ذكرناه.

---

(1) في (ب): الفاسدة.

(2) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 218/4، وعزاه إلى سنن الترمذي (2012)، ومشكاة المصابيح (5055)، وشرح السنة للبغوي 176/13، والمعجم الكبير للطبراني 148/6، والمغني للعراقي 17/2، 181/3، وغيرها، وهو في مطمح الآمال ص83.

(3) هو حديث نبوي شريف، أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص461 برقم (609) بسنده عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من تأنى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد)).

(4) أرودوا: أي ارفقوا.

(5) الشيار: الهيئة والحسن والجمال والزينة.

(6) في (أ): وأهبة كثيرة.

(348/1)

(ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلَّبت ظهره وبطنه): أراد بذلك إحاطته بمعرفة الخلافة واستيلاءه على كل أحوالها، وهو تمثيل لحاله بحال من يضرب سبعاً أو جملاً صائلاً في أنفه وعينه ثم يصرعه فيقلب ظهره وبطنه، ويستولي على جميع معانيه كلها.

(فلم أر إلا القتال(1) أو الكفر): أراد فما وجدت لي إلا أحد أمرين(2)، إما القتال لهم على بغيهم وعنادهم، وإما ترك قتالهم والكفر، وإنما كان ترك قتالهم كفراً لأمرين:

أما أولاً: فيحتمل أن يكون مراده أن القتال في سبيل الله واجب، ومعاوية وإخوانه لا يخفى بغيهم وفسقهم فلو لم يحاربوا؛ لكان بمنزلة من لايصدق بأحكام الله ومقتضى واجباته التي أوجبها من ذلك.

وأما ثانياً: فيحتمل أن يكون مراده من ذلك أن الرسول عليه السلام(3) قد قال: ((إن علياً يقاتل القاسطين)) (4) فلو لم يقاتل معاوية، للزم من ذلك تكذيب الرسول في ذلك فما ذكره في الكفر موجه على ما ذكرناه من التأويل.

(إنه قد كان على الأمة والي): أراد بذلك عثمان.

(أحدث أحداثاً): وقع في سيرته أمور منكرة، أنكرها الخاص والعام.

(وأوجد الناس مقالاً): أي أغضبهم، فوجدوا في قلوبهم عليه موجدة عظيمة، والموجدة: الغضب، ومنه فلان يجد في قلبه موجدة.

---

(1) في (ب): فلم أر لي إلا القتال...إلخ، وفي شرح النهج: فلم أر لي فيه إلا القتال أو الكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله.

(2) في (ب): الأمرين.

(3) في (ب): صلى الله عليه وآله وسلم.

(4) حديث أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين علي عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، انظره في مناقب الحافظ محمد بن سليمان الكوفي323/2، تحت الرقم (795-796) وص 338 برقم (813)، وص 339 برقم (814) وغيرها انظر الفهرس.

(349/1)

(فقاموا(1)): عليه أظهروا الإنكار من قولهم: فلان يقوم حجته.

(ثم نقموا): أحداثه التي أحدثها

(وغيَّروا(2)): ما نقموه عليه، وانتهى الحال إلى ما كان من قتله، وما كان من أمر الجمل وصفين وإثارة(3) الفتن من أجل ذلك.

(44) ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني(4) إلى معاوية

وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين وأعتقهم، فلما طالبه بالمال خاس به أي غدر، وهرب إلى الشام:

(قبح الله مصقلة!): أي أبعده(5) ونحاه عن الخير.

(فعل فعل السادة): من اصطناع المعروف بالمنة بالعتق على من أعتقه من السبي.

(وفر فرار العبيد!): من الإباق والغدر؛ لأن الغالب من حال العبيد هو الإباق.

(فما أنطق مادحه): فلم(6) ينطق مادحه بما فعل من المعروف.

(حتى أسكته): لما كان من فعله المنكر.

(ولا صدق واصفه): بالصفات المحمودة.

(حتى بكَّته): التبكيت: التقريع والتعنيف، أراد أن ما بين الأمرين [إلا](7) زمان قريب.

(فلو(8) أقام): فينا ولم يلحق بمعاوية.

(1) في شرح النهج: فقالوا.

(2) في شرح النهج: فغيروا.

(3) في (أ): وآثار، وما أثبته من (ب).

(4) هو: مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني، المتوفى نحو سنة 50هـ، من بكر بن وائل، كان من رجال أمير المؤمنين علي عليه السلام وأقامه عاملاً له في بعض كور الأهواز، ثم تحول إلى معاوية بن أبي سفيان فكان معه في صفين (الأعلام 249/7).

(5) في (ب): بعّده.

(6) في (ب): ولم.

(7) سقط من (أ).

(8) في شرح النهج: ولو.

(350/1)

(لأخذنا ميسوره): يُسره على رأي غير سيبويه(1)، أو شيء تيسر له على رأي سيبويه؛ لأن اسم المفعول عنده لا يكون مصدراً، وإنما يكون صفة على حاله.

(وانتظرنا به(2) موفوره): على الوجهين الذين ذكرناهما في الميسور.

(45) ومن خطبة له عليه السلام

(الحمد لله غير مقنوط من رحمته): القنط: اليأس، قال تعالى: {لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}[الزمر:53] أي لا تيأسوا.

(ولا مخلوٍّ من نعمته): ومراده من ذلك هو أن رحمة الله واسعة، فلا سبيل لأحد إلى الإياس منها، وأن نعمته شاملة للخلق(3)، فلا يخلو أحد عنها.

(ولا مأيوس من مغفرته): الإياس: عدم الرجاء، أي أن الله واسع المغفرة فلا ييأس منها مذنب.

(ولا مستنكف عن(4) عبادته): الاستنكاف هو: التكبر والعلو، وأراد أن الله تعالى أهل لغاية الخضوع، لمكان الإلهية فلا ينكف أحد عن ذلك.

(الذي لا تبرح منه رحمة): أي لا تزال دائمة متجددة على خلقه.

(ولا تفقد له نعمة): فقدت الشيء إذا عدمته، ومراده أن الخلق لا يعدمون نعمة الله في حالة من الحالات.

(والدنيا دار): مستقر.

(مني لها الفناء):قدر لها العدم والزوال؛ لأنها بلغة ووصلة إلى الآخرة.

(ولأهلها): ولمن كان مخلوقاً فيها.

---

(1) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، بالولاء، أبو بشر [148-180هـ] إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه وصنف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) في النحو، توفي بالأهواز، وقيل: وفاته وقبره بشيراز (الأعلام 81/5).

(2) هكذا لفظ العبارة في (أ) و(ب) وهي في النهج: وانتظرنا بماله وفوره.

(3) في (أ): ينحلق، هكذا بدون تنقيط، والصواب ما أثبته من(ب).

(4) في نسخة: من (هامش في ب).

(351/1)

(منها): من هاهنا لابتداء الغاية، والضميران للدنيا.

(الجلاء): بالجيم هو: الخروج من الوطن، والخلاء بالخاء المنقوطة المكان لا شيء فيه، وكلاهما متوجه هاهنا، وسماعنا بالجيم، والغرض أنهم خارجون عنها ومجلون(1) عنها.

(وهي حلوة): المطعم لذائقها.

(خضرة): المرأى لمن ينظر إليها.

(قد(2) عجلت): جعلت عجالة.

(للطالب): لمن يطلبها.

(والتبست): اختلطت.

(بقلب الناظر): من ينظر إليها ويلاحظها وتكون نصب عينه.

(فارتحلوا عنها(3)): ارتحل إذا فارق وطنه ومستقره، والغرض فارقوها.

(بأحسن ما يحضركم(4) من الزاد): فخير الزاد ما بلَّغ إلى الآخرة، أو أراد بالتقوى فهي أحسن الزاد، كما قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}[البقرة:197].

(ولا تسألوا): تطلبوا.

(فيها): الضمير للدنيا.

(فوق الكفاف): فوق ما يكفيكم منها.

(ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ): ولا تريدوا منها أكثر مما(5) يبلغكم إلى الآخرة، ولله در من قال:

ما زادُ فوق الزادِ خُلف ضائعٌ(6) .... في حادثٍ أو وارثٍ أو عارِ

(46) ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام

(اللَّهُمَّ، إني أعوذ بك من وعثاء السفر): [عاذ](7) يعوذ عوذاً وعياذة، إذا لجأ، ومراده أني ألجأ إلى الله، ووعث السفر هو: مشقته وتعبه.

---

(1) في (أ): ومجليون لها، وما أثبته من (ب).

(2) في شرح النهج: وقد.

(3) في شرح النهج: منها.

(4) في (أ): يخطركم، وفي النهج: ما بحضرتكم، وفي (ب): يحضركم، كما أثبته.

(5) في (أ): ما.

(6) في (أ): ضائعا.

(7) سقط من (أ).

(352/1)

(وكآبة المنقلب): الكآبة: سوء الحال، والانكسار من الذل، والمنقلب هو: الانقلاب، وأراد بالمنقلب؛ إما المنقلب إلى الآخرة، وإما المنقلب من السفر، فاستعاذ من الوعثاء في الورود والصدور من المطر والخوف، لأنهما كثيراً ما يسنحان في السفر، وأراد الدعاء أن لا يرجع خائباً من سفره بإحراز مقصوده.

(وسوء المنظر في النفس والأهل والمال(1)): أراد وأعوذ بك أن أرى في أهلي ونفسي ومالي منظر سوء يحزنني، ويضيق به صدري وقلبي، والمنظر: هو النظر كالمخرج بمعنى الخروج.

(اللَّهُمَّ، أنت الصاحب في السفر): المصاحب الكائن معنا أمره وإعانته في كل جهة.

(والخليفة في الأثر(2)): والذي يخلفنا فيمن(3) بعدنا من الأهلين والأولاد، وهذه الدعوة مأثورة عن رسو ل الله صلى الله عليه وآله(4)، وقد أتمَّها عليه السلام بأحسن تمام، وقفَّاها بأكمل تقفية، حيث قال:

(لا يجمعها(5) غيرك): أي ذلك محال في العقول في سواك.

---

(1) في شرح النهج: وسوء المنظر في الأهل والمال والولد.

(2) في النهج: وأنت الخليفة في الأهل.

(3) في (أ): فيما.

(4) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 166/3 ما لفظه: وصدر الكلام مروي عن رسول اللهصلى

الله عليه وآله وسلم في المسانيد الصحيحة وختمه أمير المؤمنين عليه السلام وتممه بقوله: (ولا يجمعهما غيرك)، انتهى، وحديث: ((اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر)) أورده في موسوعة أطراف الحديث 219/2، وعزاه إلى مسلم (979)، وسنن النسائي (المجتبى) 272/8، وسنن ابن ماجة (3888)، وحلية الأولياء 122/3، وإتحاف السادة المتقين 325/4، 326،328، وعزاه إلى غيرها.

(5) في شرح النهج: ولا يجمعهما.

(353/1)

(لأن المستخلف(1) لا يكون مستصحباً): أراد أن الواقف لا يكون سائراً.

(والمستصحب لا يكون مستخلفاً): والسائر لا يكون واقفاً، وإنما الذي يكون(2) له هذه الصفة، هو الذي لا يكون في جهة ولا يحصل فيها هو الله تعالى، كما قال تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}[الحديد:4].

(47) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الكوفة

(كأني بك يا كوفة): الخطاب للكوفة، كقوله تعالى: {يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ}[سبأ:10] وأراد استقراب ما يصيبها من هذه الأحداث.

(تُمَدِّينَ مد الأديم العكاظيِّ): عكاظ: كان سوقاً في الجاهلية يجتمعون فيه للتفاخر، وإنشاد الأشعار، والبيع والشراء، قال أبو ذؤيب(3):

إذا بُنِيَ القِبَابُ على عُكَاظٍ .... وقام البيعُ واجتمع الألوفُ(4)

---

(1) في النهج وفي (ب): المستخلف، وفي (أ): المتخلف، وما أثبته من (ب)والنهج.

(2) في (ب): تكون.

(3) هو: خويلد بن خالد بن محرث، المعروف بأبي ذؤيب الهذلي، المتوفى سنة 26هـ، وقيل: نحو سنة 27هـ، من شعراء هذيل المعروفين، شاعر مخضرم، كان راوية لساعدة بن خويلد الهذلي، وله ديوان شعر مطبوع (انظر معجم رجال الاعتبار صـ134، والأعلام 325/2).

(4) البيت أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج 197/3، وعكاظ: اسم سوق للعرب قبل الإسلام بناحية مكة، كانوا يجتمعون بها في كل سنة، يقيمون شهراً، ويتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون فلما جاء الإسلام هدم ذلك، وورد البيت في لسان العرب 853/2 ونسبه لأبي ذؤيب

أيضاً، وقال في شرحه: أراد بعكاظ فوضع على موضع الباء، وأديم عكاظي منسوب إليها، وهو مما حمل إلى عكاظ فبيع بها.

(354/1)

وأديم عكاظي منسوب إليه، وأراد أنها تمد وتطوى(1)، جعله عبارة عما يكون فيها من الفتن.

(تعتركين(2) بالنوازل): عرك الأديم يعركه عركاً، إذا دلكه، والنوازل: جمع نازلة وهي شدائد الدهر وحوادثه.

(وتركبين بالزلازل): ركبه(3) الأمر إذا علاه وبهظه، والزلازل جمع زلزلة وهي: الشدة والاضطراب، وأراد بذلك ما يكون في أيامه، أو ما يحدث بعده.

(وإني لأعلم): أقطع وأتحقق، بما أعلمني رسول الله عمَّا أعلمه الله.

(أنه ما أرادك(4)): قصدك.

(جبار): ظالم متكبر.

(بسوء): ما تكرهه النفوس، وتنفر عنه من القتل والأخذ والخراب.

(إلا ابتلاه الله بشاغل): سهّل له بلوى تشغله عمَّا يريده(5) من ذلك.

(ورماه الله بقاتل): من قولهم: رمته قسيّ المنايا، والمعنى سلَّط الله عليه قاتلاً يقتله.

(48) ومن خطبة له عليه السلام عند مسيره إلى الشام

(الحمد لله(6) كلما وقب ليل وغسق): كل هذه دالة على الشمول والإحاطة، وقب الليل إذا دخل، وغسق إذا أظلم، قال الله تعالى: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}[الفلق:3] أي ومن شر الظلام إذا دخل.

(والحمد لله كلما(7) لاح نجم وخفق): لاح النجم إذا طلع، وخفق إذا غاب.

(والحمد لله غير مفقود الإنعام): الفقد: هو العدم، يقال: فقد ولده إذا عدمه.

---

(1) في (أ): وتوطئ.

(2) في شرح النهج: تعركين.

(3) في (أ): ركب.

(4) في شرح النهج: ما أراد بك جبار سوءاً.

(5) في (ب): يريد.

(6) في (أ): الحمد لله على كل ...إلخ.

(7) في (أ): والحمد لله على كل ...إلخ.

(ولا مكافإ الإفضال): وأراد أن الله تعالى مستحق للحمد، بحيث لا يعدم إنعامه، ولا يكافئ أحد فضله. وانتصاب غير على الحال من اسم الله، فله الحمد على هذه الحالة. وانتصاب كل في قوله: كل ما وقب(1) على الظرفية للزمان، وما زمانيه، أي: أن الحمد لله في هذه الأزمنة المخصوصة الشاملة.

(أما بعد): كلمة تستعمل لقطع كلام، وخروج إلى كلام آخر.

(فإني(2) بعثت مقدمتي): طليعة الجيش وأوله.

(وأمرتهم): عهدت إليهم.

(بلزوم هذه الملطاط): وهو ساحل البحر وشفير الوادي، قال رؤبة:

نحن جمعنا الناس بالْمِلْطَاطِ .... فأصبحوا في وُرْطة الإفراطِ(3)

أمرتهم بالوقوف فيه.

(حتى يأتيهم أمري): فيوردون ويصدرون(4) على حسبه.

(وقد رأيت): تحققت وانقدح لي من المصلحة.

(أن أقطع هذه النطفة): أراد به الفرات، وهو أحد الأنهار، التي يقال: إنها من أنهار الجنة -سيحون وجيحون(5)، ودجلة، والفرات-، وكنى بالنطفة عن هذا النهر مع عظمه، وهو من عجيب الاستعارة ولطيفها أن يكنى(6) بالأقل عن الأكثر كما يكنى(7) بدمع العين عن البحر، واستعاره فيه كقوله:

فعيناي طَوراً تغرقان من البكاء .... فأعشو(8) وطوراً تجزران فأبصر

---

(1) في (أ): كل وقت، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).

(2) في شرح النهج: فقد.

(3) أورد صدره ابن أبي الحديد في شرح النهج 201/3، وهو في لسان العرب 368/3، ونسبه لرؤبة أيضاً، وروايته فيه:

نحن جمعنا الناس بالملطاط .... في ورطة وأيما إيراط_ ... _قال: ويروى: فأصحبوا في ورطة الأوراط

(4) في (أ): فتوردون وتصدرون.

(5) في (أ): ومفجون، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من (ب).

(6) في (ب): كنى.

(7) في (ب): كنى.

(8) في (ب): فأغشي، وقوله: تجزران أي تنضبان.

(356/1)

فاستعار النطفة للبحر كما استعار البحر لدمعة العين.

(إلى شرذمة منكم): الشرذمة: عدد قليل.

(موطنين أكناف دجلة): اتخذوا أكناف دجلة موطناً ومستقراً.

(فأنهضهم معكم إلى عدوكم): فآمرهم بالنهوض مصاحبين لكم، تجتمعون للانتصار على عدوكم.

(وأجعلهم من أمداد القوة لكم): المدد: ما يمد به الجيش من الرجال، وجمعه أمداد، والاستمداد: طلب المدد.

قال أبو زيد(1): مددنا القوم؛ أي صرنا لهم مدداً(2)، وأراد أنهم يكونون أعواناً لكم في القوة والاستظهار على أعدائكم.

(49) ومن خطبة له عليه السلام

(الحمد لله الذي بطن(3) خفيات الأمور): بطن الخفيات؛ أي علم باطنها وأحاط بها علماً، والخفيات هي: السرائر.

(ودلت عليه أعلام الظهور): الأعلام: جمع علم، ومراده أن الأعلام ظاهرة، وهي المكونات من مخلوقاته دالة عليه فهي شاهدة على إثباته.

(وامتنع على عين البصير): وفات بتعاليه على أعين البصراء بالامتناع عن أن يكون مدركاً.

(فلا عين من لم يره تنكره): أراد أن العين وإن لم تره بأحداقها فإنها لا تنكره؛ لما تراه من براهين وجوده ودلالاتها.

(ولا قلب من أثبته يبصره): أراد أن القلوب وإن أثبتته، فإن إثباتها [له](4) لا يكون عن رؤية منها له.

---

(1) هو: أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري [119-215هـ] أحد أئمة الأدب واللغة، من أهل البصرة ووفاته بها، وهو من ثقات اللغويين، من تصانيفه: (النوادر في اللغة) وغيره (انظر الأعلام 92/3).

(2) قول أبي زيد الذي ذكره المؤلف هنا، ذكره أيضاً في مختار الصحاح ص 619.

(3) في (أ): نظر.
(4) سقط من (أ).

(357/1)

(سبق في العلو فلا شيء أعلى منه): ليس الغرض من العلو هو الفوقية فإن ذلك مستحيل على الله، لما فيه من التشبيه والكون في الجهة، وله تأويلان(1):

أحدهما: أن يكون مراده أنه متقدم في الاستظهار والقهر والاستيلاء، فلا شيء أقهر منه ولا أقدر.

وثانيهما: أن يكون مراده أنه سبق(2) في الانكشاف والظهور بالأدلة والبراهين، فلا شيء أظهر من وجوده وثبوته.

(وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه): يعني أنه قرب بالرحمة واللطف بالخلق، فلا شيء يساويه في ذلك، أو قرب في نفوذ الأمر وسرعته، فلا أمر يساويه في ذلك ويماثله.

(فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه): أراد أنه وإن بَعُدَ بتعاليه عن القرب والإدراك، فإن ذلك لا يحجبه عن الإحاطة بأحوالهم والتدبير لهم.

(ولا قربه ساواهم في المكان به): ثم إن قربه منهم بالرحمة والأمر لم يقتض أن يكون مساوياً أي لهم(3) في [جهته](4) الأمكنة كالقرب في حقنا؛ فإن من كان قريباً من غيره (5) اقتضى أن يكون مساوياً له في جهته ليدنو منه.

(لم يطلع العقول على تحديد صفته): أراد أن العقول وإن دلت على كونه قادراً وعالماً وحياً وسائر صفاته؛ فإنها قاصرة عن الاطلاع على كنه حقيقة القادرية والعالمية، وغيرهما من الصفات؛ لأن حقيقة الذات إذا كان(6) غير معلوم (7) للبشر(8)، فهكذا حالة الصفة أيضاً خلافاً للمعتزلة وأكثر المتكلمين، وقد رمزنا إلى ذلك في كتبنا العقلية، وذكرنا الحق فيه.

---

(1) في (أ): تأويلات، وهو تصحيف.
(2) في (أ): أن يكون مراده يسبق، وما أثبته من (ب).
(3) في (أ): له.
(4) زيادة في (ب).
(5) في (ب): غير.
(6) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: كانت.
(7) في نسخة: معلومة (هامش في ب).
(8) في (ب): للشيء.

(ولم يحجبها عن واجب معرفته): الضمير للعقول، وأراد أنها وإن لم تطلع على حقيقة الصفة فإنها غير محجوبة عن واجب معرفته بما أظهر لها من البراهين على ذلك.

(فهو الذي تشهد له أعلام الوجود): فهو المعهود بشهادة الأدلة الوجودية.

(على إقرار قلب ذي الجحود): على أن قلوب الجاحدين مقرة بوجوده وإن كانت ألسنتهم منكرة لوجوده عناداً وجحوداً وتمرداً وضلالاً.

(تعالى الله عمَّا يقول المشبهون له): بالخلق في الجسمية، والأعضاء والجوارح، والكون في الأمكنة والحلول في المحالّ.

(والجاحدون له): بنفي وجوده، وإثبات أمور كاذبة، وخيالات باطلة كالعقول والأفلاك كما(1) تزعمه الفلاسفة، أو إثبات نجوم(2) مؤثرة في هذه العوالم كما يزعمه أهل التنجيم، وغير ذلك من المذاهب الرديئة والأقاويل المنكرة.

(علواً كبيراً): تعالياً(3) يكبر عن أن ينال بحد(4) وصفه.

(50) ومن خطبة له عليه السلام

(إنما بدء(5) وقوع الفتن أهواء تتبع): أشار بما ذكره إلى الأسباب الموجبة لوجود الفتن ووقوعها فقال: هي أهواء تتبع أي: أنها أمور تفعل متابعة للهوى للنفوس، ويوافق بها مراداتها، والنفوس أمارة بالسوء.

(وأحكام تبتدع): تخترع من غير دلالة عليها.

(يخالف [فيها] (6)كتاب الله): إما تخالفه بأن لا يكون فيه ما يدل عليها، وإما تخالفه بأن تكون مناقضة لحكمه.

(ويتولى عليها رجال رجالاً): أراد ويقهر فيها رجال لرجال آخرين بالاستيلاء والسلطنة، وهذه التولية تكون منحرفة عن الحق.

---

(1) في (أ): عما، والصواب ما أثبته من (ب).

(2) في (أ): نجم.

(3) في (أ): تعالى، وهو خطأ، وما أثبته من (ب).

(4) في (أ): بجر.

(5) في (أ): يدنو.
(6) سقط من (أ).

(359/1)

(على غير دين الله): على غير مراده وقصده، وعلى مخالفة أمره وكتابه.
(فلو أن الحق خلص من لبس الباطل): أراد أن الحق لو تميز عما يشوبه من التباس الباطل به وتعلقه به [و](1)من بعض وجوهه.
(انقطعت عنه ألسن المعاندين(2)): بتجلي(3) وتوضح، وعند(4) وضوحه وانكشافه ينقطع عنه ألسنة من عانده بالإنكار له والجحود.
(ولو أن الباطل خلص من مزاج الحق): أراد أن الباطل لو تميز عن أن يمازجه شيء من الحق.
(لم يخفَ على المرتادين): لم تلحقه خفية على الطالبين له، والمرتاد هو: الطالب، وفي الحديث: ((إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله)) (5) أي يطلب له موضعاً ليناً.
(ولو أن الحق خلص من لبس الباطل): امتاز عن تعلقه وشموله له.
(انقطعت عنه ألسن المعاندين(6)): لأنه يصير واضحاً جلياً، لامطعن فيه لأحد ممن يخالف الحق ويعدل عنه.
سؤال؛ أراه في كلامه هذا سمى تعلق الباطل بالحق لبساً، وسمى تعلق الحق بالباطل مزاجاً وكل واحد منهما له اتصال بالآخر، فما وجه التفرقة بينهما؟

---

(1) سقط من (أ).
(2) في (أ): العاندين.
(3) في (ب): بتجلٍ.
(4) في (أ): وعبر، وفيه غموض، وما أثبته من (ب).
(5) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 231/1، وعزاه إلى سنن أبي داود3، ومسند أحمد بن حنبل 396/4، والسنن الكبرى للبيهقي 94/1، وشرح السنة للبغوي 375/1، ومشكاة المصابيح للتبريزي 345.
(6) في (أ): العاندين، وقوله: (ولو أن الحق خلص من لبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين) ورد في النسختين مكرراً.مرتين، كما تراه، وهو في النهج ليس مكرراً.

(360/1)

وجوابه؛ هو أن اتصال الباطل بالحق له تأثير عظيم، فله فيه موقع جليل بحيث يلتبسه ويغطي عليه، فلهذا سمى اتصاله به لبساً، بخلاف اتصال الحق بالباطل؛ فإن حكمه ضعيف لا يكاد يوجد فيه(1)، فلهذا سمى اتصاله بالباطل مزاجاً؛ لأن المزاج يكون أقله كمزاج الخمر بالماء والعسل فإنه يكون جزءاً قليلاً منها.

(ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث): الإشارة بقوله من هذا ومن هذا إلى الحق والباطل، والضغث: قبضة من حشيش، وفي مثالهم: ضغث على إبّالة، والإبّالة هي: الحزمة الكبيرة، ومراده يؤخذ من هذا(2) نصيب ومن هذا نصيب.

(فيمزجان): يخلطان بعضهما في بعض بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر.

(فهنالك): إشارة إلى مو ضع الامتزاج؛ لأن هنا موضوع للإشارة إلى الأمكنة، واللام دالة على البعد.

(يستولي الشيطان): يشتد أمره، ويستحكم سلطانه.

(على أوليائه): أتباعه وأعوانه، بإيثار الباطل والانقياد له، وغمص(3) الحق واجتنابه.

(وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى): بما كان(4) منهم من إيثار الحق [واتباع](5) آثاره، والإعراض عن الباطل وإهداره، وفي كلامه هذا من الحث على طلب البصائر، والتشمير على(6) ساق الجد في تحصيلها ما لا يخفى على الأذكياء.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن آثر الحق على هواه، وترك الباطل وراء ظهره وتعدَّاه.

---

(1) في (أ): يوفيه، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب).

(2) في (أ): يؤخذ منها، وما أثبته من (ب).

(3) غمص الشيء: استصغاره، وغمص النعمة، أي: لم يشكرها.

(4) في (ب): لما قد كان..إلخ.

(5) زيادة في (ب).

(6) في (ب): عن.

---

(51) ومن كلام له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفين، ومنعوهم من الماء

والشريعة: مشرعة الماء، وهي: مورد من يشرب(1) منه:

(قد استطعموكم القتال): سألوكم القتال وطلبوه منكم، من قولهم: استطعمت فلاناً إذا سألته أن يطعمك، يشير بذلك إلى بغيهم وعنادهم.

(فأقروا على مذلة): المذلة: الذل والهوان.

(وتأخير محلة): الْمَحَلَّة بالفتح هو: المنزل، يقال: هذه مَحَلَّةُ القوم أي منزلهم، والإقرار: من القرار، وهو نقيض الظعون، والتأخير: هو(2) نقيض التقدم، والمعنى في هذا هو أن القوم قد طلبوا منكم القتال ودعوكم إليه، فإن لم تعطوهم إياه وتمنحوهم الضرب بالصوارم والطعن بالرماح فاقعدوا في أماكنكم على الذل، وتأخروا عن المراتب العالية، وهذا منهعليه السلام تهييج(3) لهم على القتال، وإلهاب لأحشائهم في اقتحام موارد الموت، ولا يجوز أن يكون، قوله: فأقروا(4) من الإقرار لأنه عدّاه بعلى، فلهذا كان من القرار.

(أرووا(5) السيوف من الدماء): أوصلوها أكنافهم واقطعوا بها أوصالهم؛ لتكون السيوف شاربة من دمائهم راوية.

(ترووا من الماء): بقتلهم والوصول إلى ما حازوه من الماء فترووا منه.

(فالموت في حياتكم مقهورين): أراد أن حياتكم بالتأخر عن القتال وركوب المذلة هو الموت بعينه لما فيه من الخمول والنقص في الأعين.

(والحياة في موتكم قاهرين): أراد أن موتكم بالقتل هي الحياة في الحقيقة في الآخرة الدائمة لما فيه من العز ومنشور(6) الذكر بقهركم لهم وإذلالكم إياهم.

---

(1) في (ب): شرب.

(2) قوله: هو سقط من (أ).

(3) في (ب): تهيج.

(4) في (أ): وأقروا.

(5) في شرح النهج: أو رووا.

(6) في (ب): منسوب.

(362/1)

(ألا وإن معاوية قاد لُمَّة من الغواة): اللُّمَّة: الجماعة، حذفت لامه وعوض منها مثل كُرّة وقُلَّة، وإنما ذكره باسمه المعروف به، ولم يقل: ألا وإن صاحبهم ليدل بذكر لقبه على ما اشتمل عليه من لقب له في الصفات الخبيثة، والسمات السيئة، وقوله: قاد تعريض بجهلهم وأنهم لا يملكون بصيرة لأنفسهم في مخالفته بهم، عماة عن الحق، غواة عن طريقه، طغاة أجلاف.

ويصدق ذلك أن رجلاً من أهل الشام قاتل قتالاً شديداً، فقال له بعض أصحاب أمير المؤمنين: يا فتى، أتدري من تقاتل؟ قال نعم، إن أصحابي يخبروني أن صاحبكم هذا لا يصلي، فقال له: فكيف تقول ذاك، وهو أول من صلى وأجاب الرسول إلى الهدى، وأصحابه أهل القرآن والفقه، فرجع الفتى وترك القتال، ثم عاد إلى أصحابه فقالوا: خدعك العراقي، فقال: لا والله، ولكنه نصح(1) لي، وخلّى المحاربة(2).

(وغمَّس عليهم الخبر): غمَّس بالسين المثلثة التحتانية والغين والعين(3) جميعاً إذا لبس الأمر فلا يدرى من أين يؤتى، وأراد أنه لبَّس عليهم أمورهم وأتى لهم من كل جهة.

(حتى جعل نحورهم أغراض المنية): حتى أوردهم حياض الموت، والغرض بغين منقوطة هو: ما يرمى من قرطاس وغيره، وأراد أنه صير نحورهم هدفاً للنبال ودرَّية(4) للرماح من أهل الحق.

---

(1) في (ب): نصيح.

(2) المغني، الجزء المتمم العشرين 2/98-99.

(3) أي: عمّس.

(4) الدرية: لما يتعلم عليه الطعن (القاموس المحيط صـ 1655)، قال في اللسان1/976: والدرية الناقة: والبقرة يستتر بها من الصيد فيختل، وقال أبو زيد: هي مهموزة ؛ لأنها تدرأ للصيد أي تدفع، إلى أن قال: الأصمعي: الدرية غير مهموز: دابة يستتر بها الصائد الذي يرمي الصيد ليصيده، فإذا أمكنه رمى. انتهى.

(363/1)

واعلم: أن كلامه في هذه الخطبة مشتمل على نوعين من أنواع البديع:

أولهما: قوله: (أرووا السيوف من الدماء(1) ترووا من الماء): وهذا يسمى التجنيس المزدوج، ونظيره قوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}[آل عمران:54]، {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}[النساء:142]، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ}[البقرة:194]، وهو كثير.

وثانيها(2): الطباق، وهو قوله: قاهرين، ومقهورين، وحقيقة الطباق؛ أن يأتي بالشيء وضده، ومنه قوله تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا}[التوبة:82] ومنه قول دعبل(3):

لا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ .... ضَحِكَ الْمَشِيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

وقول الجعدي(4):

---

(1) في (أ): أورد، وهو خطأ، والصواب كما أثبته من (ب)، وقوله: من، سقط من (أ).

(2) في (ب): وثانيهما.

(3) هو: دعبل بن علي بن رزين الخزاعي [148-246هـ] أبو علي، شاعر آل البيت، أحد الأعلام، شيعي، ذبَّ بشعره عن آل البيت " وهجا ظالميهم، وهجا هارون المسمى بالرشيد، والمأمون والمعتصم والواثق من بني العباس، وطال عمره، وله ديوان شعر مطبوع (معجم رجال الاعتبار ص 140).

(4) هو النابغة الجعدي قيس بن عبد الله بن عدي بن ربيعة الجعدي العامري، المتوفى نحو سنة 50هـ، أبو ليلى، شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، وكان ممن هجر الآوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم، وأدرك صفين فشهدها مع الإمام علي عليه السلام، ثم سكن الكوفة فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها، وقد كفَّ بصره، وقد جاوز المائة، وأخباره كثيرة، وله ديوان شعر مطبوع. (انظر الأعلام 207/5).

(364/1)

فَيَا عَجَبا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ .... وفيٌّ وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرُ

وهذان النوعان لهما موقع عظيم في البلاغة.

(52) ومن خطبة له عليه السلام(1)

(ألا وإن الدنيا قد تصرمت): التصرم هو: الزوال والتفرق، أي ذهبت قليلاً قليلاً، كقوله تعالى: {نَزَّلْنَا الذِّكْرَ}[الحجر:9].

(وآذنت بانقضاء): الإيذان: هو الإعلام، والانقضاء: هو الذهاب، ومنه قولهم: انقضى الأمر أي ذهب.

(وتنكَّر معروفها): إما صار ما كان منها معروفاً منكراً لكثرة ما يعرض له من التغيير، وإما صار المعروف فيها منكراً لقلة من يفعله ويأتيه.

(وأدبرت حذَّاء): أي أنها ولت مسرعة، واشتقاقه من الحذذ وهو خفة شعر الذَنَب.

(فهي(2) تحفز بالفناء سُكانَها): الضمير للدنيا، أراد أنها تعجل بالموت من كان لابثاً فيها.

(وتحدو): تسوق.

(بالموت جيرانها):من كان معمراً فيها.

(وقد أمرَّ منها ما كان حلواً): يعني أن حلاوتها ممزوجة بمرارة، فما يحلو منها شيء من لذاتها إلا وأعقبه مرارة من ضرائها.

(وكدر منها ما كان صفواً): فما يصفو منها شيء من نعيمها إلا وكان عاقبته الكدر من بؤسها.

(فلم يبق منها): لزوالها وتقضي الأكثر منها.

(إلا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ(3) الإداوة): السَمَلة بالسين بثلاث من أسفلها هو: البقية من الماء، والإداوة: إناء من أدم للماء.

(أو جرعة كجرعة المَقَلة): والمَقَلة بفتح القاف والميم: حجرصغيرة توضع في أسفل الإناء، لقسمة الماء، وذلك يكون عند(4) قلة الماء في المغاور.

---

(1) بعده في شرح النهج: وقد تقدم مختارها، ونذكر ما نذكره هنا برواية أخرى لتغاير الروايتين.

(2) في (أ): وهي.

(3) في (أ): كلمة، وهو تحريف.

(4) في (أ): عنه، وهو خطأ.

(365/1)

(لو تمززها): يمصُّها(1).

(الصديان): المتقطع جوفه من العطش.

(لم ينقع): بالقاف، من قوله: نقع الماء العطش نقوعاً إذا سكَّنه.

(فأزمعوا عباد الله الرحيل): الإزماع هو: الثبات في الأمر.

قال الكسائي(2): يقال: أزمعت الأمر، ولا يقال: أزمعت عليه(3).

وأراد اثبتوا على الانتقال.

(عن هذه الدار): دار الدنيا.

(المقدور على أهلها بالزوال): المحكوم على من كان فيها من أهلها والساكنين [فيها](4) بالذهاب والعدم

(ولا يغلبنَّكم): ولا يقهركم، من غلبه إذا قهره.

(منها(5) الأمل): ما تأملونه من الحياة والميل إلى لذاتها المنقطعة.

(ولا يطولنَّ عليكم [فيها](6) الأمد): ما نفس لكم(7) من هذه الآجال فهي حقيرة بالإضافة إلى انقطاعها.

(فوالله لو حننتم حنين الْوُلَّه العِجَال): الحنين: هو شدة الشوق، والْوُلَّه: جمع واله وهو: الذي ذهب عقله من شدة الوجد والحزن، والعِجَالُ: جمع عجالة وهي الناقة التي تسرع إلى ولدها.

---

(1) في (أ): لمصها، وما أثبته من (ب).
(2) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي، أبو الحسن الكسائي، المتوفى سنة 189هـ، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها وتعلم بها، وسكن بغداد، وتوفي بالري عن سبعين عاماً، له تصانيف منها: معاني القرآن، والمصادر، والقراءات وغيرها. (انظر الأعلام 283/4).
(3) قول: الكسائي هذا ذكره أيضاً في مختار الصحاح صـ274 بلفظ: وقال الكسائي يقال: أزمع الأمر، ولا يقال: أزمع عليه.
(4) سقط من (أ).
(5) في شرح النهج: فيها.
(6) سقط من (أ).
(7) في (ب): لهم.

(366/1)

(ودعوتم(1) بهديل الحمام): الهديل بدال منقوطة من أسفل هو: صوت الحمام، يقال: هدل هديلاً مثل هدر هديراً، وإنما قال عليه السلام: بهديل الحمام؛ لأن العرب تزعم أنه كان على عهد نوح عليه السلام فرخ اصطادته جوارح الطير قالوا: فليس حمامة إلا وتبكي(2) عليه إلى الآن.

(وجأرتم جؤار متبتِّلي الرهبان): الجؤار: هو التضرع، والتبتل: هو الانقطاع من الدنيا وإهمالها إلى الله تعالى، والرهبان: جمع راهب، وهم هؤلاء الذين يكونون في الصوامع رغبة إلى الله وانقطاعاً إليه، وتخلياً عن الدنيا، فهم حابسون لأنفسهم فيها.

(وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد): أما الخروج من الأولاد فهجرهم، والخروج من الأموال بإنفاقها لله تعالى وفي سبيله.

(التماس القربة إليه): طلباً للزلفة.

(في ارتفاع درجة عنده): من رفيع المنازل التي أعدها لأوليائه.

(أو غفران سيئة أحصتها كتبته(3)): الملائكة الموكلون بالكتابة للأعمال.

(وحفظها(4) رسله): الملائكة الموكلون بالحفظ، كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ}[الإنفطار:10-11].

---

(1) في (ب): وذعرتم.
(2) في (أ): ويتلى،و في (ب) ما أثبته، قال في لسان العرب 784/3 ما لفظه: وقال بعضهم: تزعم

الأعراب في الهديل أنه فرخ كان على عهد نوح عليه السلام، فمات ضيعة وعطشاً، فيقولون: إنه ليس من حمامة إلا وهي تبكي عليه. انتهى، وقريب مما أورده المؤلف هنا في مختار الصحاح ص692، وانظر القاموس المحيط ص1382.

(3) في شرح النهج: كتبه.

(4) في شرح النهج: وحفظتها.

(367/1)

(لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه): اللام هي جواب القسم، والمعنى أن تلك العناية منكم والاجتهاد يكون قليلاً بالإضافة(1) إلى مثل ما أعد الله للأولياء من الكرامة وقرة الأعين.

(وأخاف عليكم من(2) عقابه): الذي أعدَّ لأعدائه من النكال والويل.

(وتالله): قسم ثاني، والأول(3) عام لكونه جاء بالواو، والثاني خاص لكونه جاء بالتاء احتكاماً في البلاغة، وتوسعاً في الفصاحة، وقد جاء الأمران في كتاب الله تعالى: {فَوَرَبِّكَ} {وتالله}.

(لو انماثت قلوبكم انمياثاً): ذابت أفئدتكم ذوباً.

(وسالت عيونكم): دموع أعينكم جارية على خدودكم من العبرة.

(رغبة إليه): طمعاً فيما عنده من الثواب.

(ورهبة منه): لما عنده من أليم العقاب.

(دماً): انتصابه على التمييز أي سالت دماً، وما بينهما من الكلام عارض.

(ثم عمرتم في الدنيا): طالت أعماركم وأنتم على هذه الحالة من الرغبة والرهبة وذوب القلوب، وسيلان الأعين دماً خشية من الله.

(ما الدنيا): ما هذه هي: الظرفية، والتقدير مدة كون الدنيا.

(باقية لكم): دائمة لكم وأنتم فيها دائمون.

(ما جزت أعمالكم): ما هذه للنفي، وهي جواب القسم بالنفي، والأول كان بالإثبات، والمعنى ما كافت(4) أعمالكم.

(-ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم-): ولو لم تتركوا غاية مما تقدرون عليه.

(نِعَمَه): منصوب على المفعولية بجزت(5)، وما بينهما متوسط عارض.

(عليكم(6)): الواقعة عليكم والشاملة لأحوالكم.

---

(1) في (ب): بإضافته.

(2) قوله: من سقط من (ب).

(3) في (ب): فالأول.
(4) في (ب): ما كانت.
(5) في (ب): لجزت.
(6) في شرح النهج: أنعمه عليكم العظام.

(368/1)

(وهداه إياكم إلى الإيمان): ونعمته باللطف إلى الهداية إلى الدين بما كان من إرسال الرسل، وبعث الأنبياء وغير ذلك من الألطاف الخفية.

(53) [ومن خطبة له عليه السلام في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية](1)

ثم ذكر صفة الأضحية وهي ما يذبح في أيام النحر، يقال لها: إضحية وأُضحية بكسر الهمزة وضمتها، وضحية وأضحاة:

(ومن تمام الأضحية): إكمالها لتكون مجزية عن السنة.

(استشراف أذنها): استشرف الشيء إذا رفع بصره إليه ووضع كفه على حاجبه(2) ليتحقق أمره ويتيقنه فيطالع أذنها.

(وسلامة عينها): لا يعتريهما شيء من التغير الذي يطرأ عليهما.

(فإذا سلمت العين): من العوارض كالعمى والعور وغير ذلك.

(والأذن): من القطع والشق والخرم والثقب.

(سلمت الأضحية): أجزت.

(وتمت): السنة بذبحها.

(ولو كانت عضباء): قال أبو زيد: العضب كسر القرن الداخل، وهو المشاش(3).

(تجر رجلها إلى المنسك): أراد ولو كانت عرجاء فلا بأس بذبحها، وهذا يدل على اعتبار حالة العين والأذن في الأضحية لا غير، من غير زيادة على ذلك، والمنسك: موضع النسك، وقياسه الفتح، وكسره هو المسموع وإن خالف القياس.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من النهج بشرح مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده رحمه الله.
(2) في (ب): جانبه.
(3) في (أ): المساس، وهو تصحيف.

(54) ومن كلام له عليه السلام

(فتداكوا عليَّ): تدافعوا عليَّ أي دفع بعضهم بعضاً، من الدكِّ وهو: الدفع. وقوله: عليَّ، أي: من فوقي.

(تداك الإبل): مثل تدافع الإبل.

(الهيم): جمع أهيم وهي: العطاش، قال الله تعالى: {فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}[الواقعة:55].

(يوم وردها(1)): وردها(2) الماء لتشربه، يقال: هذا يوم وردي، أي يوم ورود الحمَّى علي.

(قد أرسلها راعيها): من غير ترتيب بينها، ولا مناوبة في شربها.

(وخلعت(3) مثانيها): حبالها التي تثنى(4) عليها للإمساك لها.

(حتى ظننت): خيل إليَّ من جهة الظن لكثرة(5) ازدحامهم عليَّ.

(أنهم قاتلي): بالازدحام على أخذ كفي.

(أو بعضهم قاتل بعض):حيث [كان] (6)بعضهم على بعض.

(لدي): في موضعي ومكاني وحوزتي(7).

(وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره ورأسه وعينه [حتى منعني النوم(8)]): إحاطة بأحواله، واشتمالاً على جميع أموره في الإقدام والإحجام.

(فما وجدت يسعني(9)): فما لقيت أمراً يكون لي(10) فيه سعة عند الله وفسحة يعذرني(11) بها.

(إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله): إلا أحد أمرين(12):

---

(1) في (ب): ورودها.

(2) في (ب): ورودها.

(3) في (أ): وجعلت، وما أثبته من (ب) ومن النهج.

(4) أي تعطف.

(5) في (أ): لكثر.

(6) زيادة في (ب).

(7) في (أ): وحوزي، وما أثبته من (ب).

(8) زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(9) في (أ): بسعتي.

(10) في (أ): له.

(11) في (أ): لعذري، وما أثبته من (ب).
(12) في (ب): الأمرين.

إما قتالهم لمخالفتهم الحق وبغيهم فيما جاءوا به، وإما الكفر بما أتاني به الرسول وأثرته عنه، وأخبرني به حيث قال لي: ((إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والما رقين عن الدين)) (1)، فإن لم أقدم على قتالهم كان ذلك رداً لما جاء به محمد صلى الله عليه وآله.

(فكانت معالجة القتال أهون عليَّ من معالجة العقاب): من حيث كان تعب القتال منقطعاً وتعب العقاب غير منقطع.

(وموتات الدنيا): [بما] (2) يكون من الجروح(3) ومعاناة الحرب موتة بعد موتة.

(أهون عليَّ من موتات الآخرة): لأن موتات الآخرة لا آخر لها، وموتات الدنيا لها آخر، وهو الموت الحقيقي، فلأجل هذا تجرعت حربهم وصبرت عليه.

(55) ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

(أما قولكم أكل(4) ذلك كراهية الموت؟): أراد أنه ليس الأمر كما زعمتم من ذلك، وإنما كان لأمور سأحكيها لكم.

---

(1) رواه قاضي القضاة في المغني 95/2/20، وأخرج قريباً منه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق 200/3 رقم (1206) بسنده عن الإمام علي بلفظ: (أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين). ومع اختلاف يسير في بعض ألفاظه أخرجه في نفس الجزء أيضاً من الرقم (1207) إلى الرقم(1213)، وبروايات أخرى أخرجه في نفس الجزء أيضاً عن عبد الله بن مسعود، وعن أم سلمة، وعن أبي أيوب الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، من الرقم (1214) إلى الرقم (1219)، وانظر تخريجها الموسع هناك.
(2) سقط من (أ).
(3) في (ب): الجرح.
(4) في (أ): كل، بدون همزة الاستفهام، وما أثبته من (ب).

(فوالله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليَّ): هذا كلام(1) أورده على جهة الاستعارة، ومعناه: ما أبالي دخلت على الموت بالوقوع بين أسنة الرماح ونصال السيوف، أو خرج الموت إليَّ فأزهق روحي وأنا على فراشي، وواضع خدي على الوسادة، فاستعاره لما فيه من البلاغة والوفاء بالمطابقة، والتكافؤ بذكر الشيء ونقيضه.

سؤال: لِمَ أضاف الدخول إلى نفسه، وأضاف الخروج إلى الموت فقال: (دخلت على(2) الموت أو خرج الموت إليَّ) و[لِمَ] (3)لم يعكس الأمر في ذلك، فما وجهه؟

وجوابه: هو أن الدخول في الحرب تغرير بالروح ووقوع في خطر عظيم ومهلكة كبيرة(4) فلما كان الأمران عنده مستويين أضاف إلى نفسه أعظمهما(5) وهو الدخول، لما فيه من الغرر وركوب الخطر والمسامحة بالنفوس التي هي أعز الأشياء وأغلاها.

(وأما قولكم: شكاً في أهل الشام): من أن(6) تأخري كان من أجل شكي وأنا على غير بصيرة في حربهم.

(فوالله ما دفعت الحرب يوماً): أخرتها وتقاعدت عن إنجازها.

(إلا وأنا أطمع): أرجو وأؤمل.

(أن تلحق(7) بي طائفة): تتبعني فرقة من هذه الفرق الباغية والأحزاب المختلفة.

(فتهتدي بي): فأكون سبباً لها في الهداية، واتباع الحق والصواب، وأكون إماماً لها في ذلك.

(وتعشو): لتستدل وتميل.

(إلى ضوء ناري): إلى هدايتي ونور بصيرتي، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشواً إذا استدللت[بها] (8).

(وذلك): إشارة إلى ما ذكره من الهداية واللحاق به.

---

(1) في (ب): الكلام.

(2) هكذا في (أ- ب)، وقد سبق اللفظ: دخلت إلى...إلخ.

(3) زيادة في (ب).

(4) في (أ): كثيرة.

(5) في (أ): أعظمها.

(6) قوله: أن، سقط من (ب).

(7) في (أ): يلحق.

(8) سقط من (أ).

(أحب إليَّ من أن أقتلها على ضلالها): وهي ضالة بمخالفتي(1) والبغي عليَّ ولو قتلتها فليس علي في ذلك من جناح في قتلها.

(وإن كانت تبوء بإثمها): أي يكون عليها وباله، ومنه قوله تعالى:{وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ}[البقرة:61]، {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ}[البقرة:90].

قال الأخفش: صار عليهم وباله.

(56) ومن كلام له عليه السلام

(ولقد كنَّا مع رسول الله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا): أراد جميع الأقارب، كما كان في بدر [وغيره](2) وسائر الغزوات(3) مع الرسول عليه السلام تقرباً إلى الله تعالى وإرضاءً له.

(ما يزيدنا ذلك): القتل للآباء والأبناء.

(إلا إيماناً): بالله وتصديقاً به.

(وتسليماً): وانقياداً لأمر الله وحكمه.

(ومضياً): جرياً، من قولهم: مضى في طريقه إذا جرى فيها.

(على اللقم): أراد الطريق، وسمي لقماً؛ لأنه يلتقم الناس، كما يسمى سراطاً(4) لأنه يسترطهم أي يبتلعهم بسلوكهم له.

(وصبراً على مضض الألم): وجع الألم، من قولهم: أمضني الجراح إذا أوجعك.

(وجداً): الجد: نقيض الهزل.

(في جهاد العدو): استئصال شأفته وقطع دابره.

(ولقد كان الرجل منَّا): ممن يكون على ديننا.

(والآخر من عدونا): ممن لا يدين ديننا.

(يتصاولان): يتواثبان بالسلاح، يصول كل واحد منهما على صاحبه يريد قتله.

---

(1) في (ب): لمخالفتي.

(2) سقط من (أ).

(3) في (أ): وسائر العرب، وهو غير واضح، وما أثبته من (ب).

(4) سرط بالسين المهملة، يقال: سرط الشيء: بلعه، واسترطه: ابتلعه، وفي المثل: لا تكن حلواً فتسترط ولا مرا فَتَعْقَى أي ترمى من الفم للمرارة. (انظر مختار الصحاح ص295).

(تصاول الفحلين): أي مثل تصاول الفحلين، وصؤل البعير بالهمز إذا صار يقتل(1) الناس ويعدو عليهم.

(يتخالسان أنفسهما): يريد كل واحد منهما أن يختلس نفس صاحبه بالسيف.

(أيهما يسقي صاحبه كأس المنون): والمنون: هو الموت والسقي والكأس من باب الا ستعارة، كما قال تعالى:{وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ}[البقرة:93].

(فمرة لنا(2)): تكون الريح(3) والدائرة والغلبة لنا عليهم في الأخذ والقتل والسبي، كما كان في بدر وحنين وغيرهما من المغازي.

(ومرة لعدونا): في الانتصار علينا كما كان في أُحد ومؤتة من الأخذ والقتل.

(منَّا): بقتل بعضنا وسلامة الآخرين، صبراً منَّا واحتساباً.

(فلما رأى الله صدقنا): علم من باطن قلوبنا الصدق في نصرة دينه والصبر في جهاد عدوه.

(أنزل بعدونا الكبت): الإذلال والمهانة، ويقال: كبته لوجهه أي صرعه.

(وأنزل علينا النصر): عليهم والغلبة لهم.

(حتى استقر الإسلام): ثبتت قواعده، وقامت دعائمه.

(ملقياً جِرانَه): الجِران هو: مقدم عنق البعير، وانتصاب ملقياً على الحال من الإسلام، يقال: ألقى بجرانه إذا استقر به المكان.

(ومتبوِّئاً أوطانه): تبوأت المكان إذا اتخذته مبآءةً(4)، وأراد أنه استقر في أماكنه التي بلغها.

(ولعمري): هو مبتدأ محذوف الخبر أي لعمري قسمي.

(لو كنَّا نأتي ما أتيتم): من المخاذلة وقلة التناصر.

(ما قام للدين عمود): استعارة(5) له من أعمدة الخيمة التي لا تنتهض إلا به.

---

(1) في (ب): إذا صال القتل...إلخ.

(2) في النهج: فمرة لنا من عدونا.

(3) في (أ): الرمح، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ب).

(4) في (أ): مبآء.

(5) في (ب): واستعاره.

(ولا اخضرَّ للإيمان عود): استعارة من عود الشجرة فإنه لا يورق ولا يثمر(1) إلا إذا اخضر.

(وايم الله): جمع يمين، حذفت نونه لكثرة الاستعمال، وهو مبتدأ وخبره محذوف أي قسمي.

(لَتَحْتَلِبُنَّها دماً): أي الأيام، والضمير يفسره(2) شاهد الحال، ودماً انتصابه على التمييز بعد المفعول.

(ولتُتْبِعُنَّها ندماً!): على خذلانهم لي وتأخرهم عن متابعتي، وليعلمن مكاني بعد استبدالهم لغيري، ولقد كان الأمر كما قال، أبدلهم الله بأمير المؤمنين مروان بن الحكم وبالحسن الأكبش الأربعة من أولاده فطغوا وبغوا وخالفوا وغيَّروا.

(57) ومن كلام له عليه السلام لأصحابه

(أما إنه سيظهر عليكم(3) بعدي): يليكم على جهة الاستظهار عليكم بعد وفاتي.

(رجل رَحْبُ البلعوم): الخطاب لأهل الكوفة، والرحب: هو الواسع، ومنه الرحبة، والبلعوم هو: مجرى الطعام إلى المعدة.

(مندحق البطن(4)

---

(1) في (أ): ولايتم، وهو تحريف.

(2) في (ب): تفسيره.

(3) عليكم، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(4) ذكر المؤلف رحمه الله هنا في شرح قوله: (مندحق البطن): أن أمير المؤمنين عليه السلام عنى بهذا الكلام زياداً. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 56/4 ما لفظه: وكثير من الناس يذهب إلى أنه عليه السلام عنى زياداً، وكثير منهم يقول: إنه عنى الحجاج، وقال قوم: إنه عنى المغيرة بن شعبة، والأشبه عندي أنه عنى معاوية؛ لأنه كان موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً يقعد بطنه إذا جلس على فخذيه، إلى قوله: كان معاوية يأكل فيكثر، ثم يقول: ارفعوا، فوالله ما شبعت، ولكن مللت وتعبت، تظاهرت الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا على معاوية لما بعث إليه يستدعيه، فوجده يأكل، ثم بعث فوجده يأكل، فقال: ((اللهم، لا تشبع بطنه))، قال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهاوية .... كأن في أحشائه معاوية

): الاندحاق هو: الظهور، يقال: دحقت رحم الناقة إذا ظهرت من الولادة، وأراد أنه ظاهر البطن، وعنى بذلك زياداً(1) فكانت هذه صفته، ويجوز أن يكون كنى بذلك عن كثرة أكله، كما قال الله

تعالى: {كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ}[المائدة:75]، جعله كناية عن قضاء الحاجة.

(يأكل مايجد): [يخضم ما وقع في يده وقدر عليه.

(ويطلب ما لا يجد)](2): مما فات عن يده(3) ولم يقدر عليه.

(فاقتلوه): فإنه مستحق للقتل لفجوره وفساده وبغيه على أهل الحق وعناده.

---

(1) هو زياد بن أبيه [1-53هـ]، أمير من الدهاة، من أهل الطائف، اختلفوا في اسم أبيه؛ لأن أمه كانت بغياً، تبناه عبيد الثقفي، أسلم في عهد أبي بكر، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى الأشعري، ثم ولاه أمير المؤمنين فارس، وامتنع بعد وفاته على معاوية، حتى أغراه معاوية واستماله بأن ألحقه بأبيه أبي سفيان سنة44هـ، فكان يدعى: زياد بن أبي سفيان، ثم ولاه البصرة والكوفة وسائر العراق حتى توفي (انظر معجم رجال الاعتبار ص152، والأعلام 53/3). قلت: وخبر استلحاق معاوية لزياد بن أبيه بأبي سفيان مشهور تذكره كتب التاريخ، فمن ذلك ما قاله: الحسن البصري: ثلاث كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة منهن كانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها، واستلحاقه زياداً مراغمة لقول رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: ((الولد للفراش، وللعاهر الحجر))، وقتله حجر بن عدي، فيا ويله من حجر وأصحاب حجر! (انظر شرح ابن أبي الحديد 193/16).

(2) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(3) في (ب): مما كان في غير يده.

(376/1)
